مجلة العربية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

● مخلوقات من الفضاء تتردد بين الأرض والسماء

د. عبد المحسن صالح

● صراعي في الحياة بين حبي للناس وخوفي منهم

فدوى طوقان

● أفلام.. أمام المحاكم

رءوف توفيق



عشاق الشرق بين العلم والفن

حتى لا نبالغ في التجريح الذاتي لأنفسنا

نظرة في الجذور

مدى مسئولية الماضي عن أزمة الحاضر

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

حتى لا نبالغ فى التجريح الذاتي بسبب ضخامة حجم التراجعات العربية الراهنة ، وحتى لا نفسر معضلتنا العميقة المستعصية بتفسيرات جزئية ووقتية متغيرة بتغير الوقائع والظروف والملابسات الآنية ، لابد من وقفة متانية مع الجذور الاجتماعية التاريخية لأزمة الكيان العربى وأزمة العقل العربى وأزمة الانسان العربى .



ابن خلدون



الجاحظ



طه حسين



ساطع الحصرى

إن رصد المتغيرات الراهنة امر لابد من الاستمرار فيه بطبيعة الحال . لكن العقل العربى مطالب اليوم اكثر من اى وقت مضى بعدم الاكتفاء بهذا الرصد الحـــدثي للمتغيرات الراهنة ، والاطلالة من وراء ذلك الى العوامل الاجتماعية والتاريخيـــة والحضارية الفعالة التى جعلت من الكيان العربى ما هو عليه الان . فهذه العوامل هى التى تتغذى منها اغلب التراجعـــات والانتكاسات فى الحياة العربية المعاصرة.

وما نطرحه هنا هو مجرد اجتهاد فكري قابل للحوار فى محاولة لتفسير التمزق العربى الداخلي ، وضعف القابلية الانتاجية والحضارية فى المجتمعات العربية ، وسهولة تعرضها للمؤثرات والتحديات الخارجية .

ونحن إذا عدنا الى العوامل والجذور الاجتماعية العميقة ، والبعيدة الغـــور التى اثرت فى تكوين المجتمع العربى نجد اول ما نجد ان المنطقة العربية تتصف بخاصية جغرافية وبشرية تكاد تنفرد بها بين مناطق العالم الاخرى ، وهى انها منطقة تضم اقدم مراكز الحضارة فى تاريخ البشرية كمدن وادي الرافدين ووادى النيل واقليم اليمن ومدن الساحل الســـورى والساحل التونسى ، وتضم فى الوقت ذاته عدداً من اوسع واجدب الصحارى فى العالم كصحارى جزيرة العرب ، وبادية الشام التى تفصل بين سوريا والعراق وصحراء سيناء التى تفصل بين المشرق ومصر ، وصحراء مصر الغربية التى تفصل بين مصر وبين ليبيا واقليم المغرب العربى ككل ، ثم امتدادات الصحراء الافريقية الكبرى التى تفصل بين ليبيا والسودان وتصل الى جنوب الجزائر لتشكل فواصلها هنـــاك مساحات صحراوية او شبه صحراوية بين بلدان المغرب الكبير ذاتها من موريتانيا الى تونس وليبيا . فكان مراكز التحضر العربى بمثابة جزر منفصلة عن بعضها البعض ، تحيط بها امواج الرمال الصحراوية فى كل جانب ، فتهددها بالتصحر ، ليس مناخيا فحسب ، بل حضاريا وفكريا كذلك . إذ إن هذه المفارقة الجغرافيـــة اوجدت مفارقـــة اجتماعية حضارية ذات ديمومة تاريخية : هى مفارقة التقابل والتجاذب والتصارع بين ظاهرة الحضارة وظاهرة البداوة ، او بين واقع الاستقرار الحضري فى تلك المراكز الحضارية ، الزراعية والتجارية ، وواقع الانتقال الرعوي فى تلك الصحارى وبواديها ، بحيث اصبح تاريخ المنطقة العربية منذ اقدم العصور خاضعا لقانون ذلك التجاذب المتوتر بين قوى الحاضرة وقوى البادية ، فتسود الأولى ردحاً من الزمن يقصر او يطول حسب قوة المركز الحضارى المسيطر ، ثم تاتي موجة رعوية اخرى من البادية لتسود الحاضرة ردحا اخر من الزمن ، وتغير من طبيعة تكوينها البشري والقيمي والسياسى والثقـافى والاقتصادى بما يتلاءم ونوعية الموجة الرعوية القادمة .. وهكذا .

نظــــــرة في الجـــــذور

مدى مسئولية الماضي عن أزمـــة الحاضــــر

الخصوصية العربية

وهذا القانون اكتشفه وحلله بدراية وعمق فيلسوف التاريخ العربى العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى نرى ان أى تحليل لجذور التكوين الاجتماعى التاريخى العربى لابد وان ينطلق من مقدمته ومن نهجه ورؤيته ، قبل القفز الى تبني مناهج علم الاجتمـــــاع الأجنبيـــة من مادية وليبرالية وغيرها ، لان منهج ابن خلدون مستمد من الخصوصية العربية ذاتها ، وقوانينه مستوحاة من واقع هــــذه الخصوصية ومميزاتها الذاتية ، فى حين ان تلك المناهج الأجنبية ، على ما فيها من حداثة وجدة فى التحليل والنظر ، مستمدة من خصوصيات اخرى وبيئات ومجتمعات مختلفة فى الكثير من خصائصها ، بحيث لا تتلاءم قوانينها وتنظيراتها مع صيرورة المجتمع العربى ، بل وتتصادم معها ، وهذا ما يفسر لنا ظاهرة اخفاق العديد من الايديولوجيـات العربيـة المعاصرة التى حاولت علاج المعضلات العربية بالتنظير الاوربي من شرقي وغربي ، فكانت هى فى واد ، وكانت المعضلات العربية فى واد اخر تنتظر من ياتي لتشخيصها حسب منظورها الخاص .

ورغم اننا نتحدث ، بفخر ، عن ابن خلدون منذ عشرات السنين ، ونزعم إحياء تراثه ، ونحتفل بعيد مولده وذكرى وفاته ، إلا ان احدا لم يتقدم بعد ، فى ساحة الفكر الاجتماعى التحليلي النقدي ليواصل مسيرة ابن خلدون فى تشخيص المجتمع العربي ويحاول تطويرها بما يناسب العصر الحديث ، واستخراج رؤية فكرية من منطلقها لفهم هذا الاستعصاء فى الواقع العربى بازاء محاولات التقدم والتوحيد والاستقرار ، وتحديد الكيفية الملائمة والناجعة لتخطى حالة الاستعصاء هذه ، وإيجاد الحل المنتظر للمعضلة المستفحلة البعيدة الجذور .

ورغم ان مفكرين عربا من امثال طـه حسين وساطع الحصري قد درسوا ابن خلدون ونبهوا الى اهميته إلا ان ذلك لم يخلق بعد حركة عربية ذاتية فى الفكر الاجتماعى العربى لمواصلة هذا الاهتمام وتطويره وايصاله الى نتائجه المرجوة . ولفترة من الوقت كان المثقفون العرب الذين يهتمون بابن خلدون وبالخصوصية العربية يواجهون نوعا من الارهاب الفكرى يشهره فى وجوههم المسيطرون على الاوساط الثقافية ودور النشر من المعجبين باوغست كونت وكارل ماركس ودركهايم . ولم يتم اعتراف هؤلاء بابن خلدون مفكرا اجتماعيا قابلا للنظر إلا بعد ان تم (تعميـده) كصاحب نظرة اقتصادية مادية فى معاهد الاستشراق بموسكو وباريس ! .. ولله فى خلقه شئون ! ..



اوغست كونت

بين الاستقرار والترحل

بعد هذا الاستطراد الذى وجدنـاه ضروريا للتنبيه الى فكر اجتماعي متجذر فى عمق تراثنا التاريخي ، العلمي والعقلي، نعود الى ظاهرة الصراع فى التكوين العربى بين نزعة الاستقرار الحضري ونزعة الترحل الرعوية ، او بعبارة اخرى ظاهرة الديالكتيك (الجدلية) بين الحضارة والبداوة التى تمثل فى رأينا اخطر ديالكتيك فى صيرورة التاريخ العربى وهو ديالكتيك خاص بالمنطقة العربية لم يفطن اليه الفكر الديالكتيكي الاوربى الذى ركز على اهمية الصراع بين الطبقات داخل المجتمع الحضرى الاوربى المستقر ، من زراعي وصناعي ، ولم يتنبه الى امكانية وجود جدل اجتماعى تاريخى من نوع اخر هو الجدل الصراعى بين بنية المجتمع الحضرى ككل ، بكافة طبقاته ، وبنية المجتمع الرعوي ككل ايضا ، بكافــة عناصره .

وهذه الحقيقة الاجتماعية التاريخيــة لا تعود فحسب الى واقع وجود مساحات صحراوية ـ رعوية او بدوية داخل المنطقة العربية تفصل بين اقاليمها المتحضرة ، وانما ايضا الى واقع اخطر من ذلك وهو ان المنطقة العربية ككل محاطة بصحارى وسهوب اسيوية رعوية شاسعة تمتد من جدار الصين الى بر فارس وتمثل خزانا تاريخيا هائلا للموجات الرعوية البدوية الكاسحة التى لم تكن الموجة التترية بقيادة هولاكو غير واحدة منها . اضف الى ذلك تداخل افريقيا العربية مع افريقيا الرعوية السمراء والسوداء مما ادى الى تعرض مصر وبلدان الشمال الافريقى الى موجات بدوية افريقية قادمة من الجنوب ، بالاضافة الى موجات البادية العربية نفسها التي كانت تعبر صحراء سيناء وصحراء مصر الشرقية وتكمن في الصعيد لتنقض بعدئذ على مراكز الحضارة المغربية كما فعل أعراب بني هلال بمدينة القيروان وسائر المراكز الحضرية في تونس والساحل المغربي . او كما حدث على الجانب الاخر عندما انتظمت قوى البادية الافريقية في حركتى المرابطين والموحــــدين بالمغرب واجتاحت مراكز الحضارة العربية الاندلسية المتحضرة واخضعتها فكرا وسياسة واجتماعا لمفهومها الرعوي .

ومن ناحية البحر المفتوح تعرضت مصر والشام للموجات الافرنجية المتبربرة ايام الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها ، مما ادى ايضا الى تدمير مراكز الحضارة العربية التى إن سلمت من موجات البر لم تسلم من موجات البحر بحكم طبيعتها الجغرافية السهلية المفتوحة التي تفتقر الى الموانع والحواجز الجغرافية الحصينة التى يمكن ان تحميها من غائلة هذه

الموجات المكتسحة ومن تسلل او هجرة العناصر الغريبة الدائمة التسرب الى الوطن العربي ان لم يكن بفعل الغزو ، فبفعل الهجرة المتتابعة للسكن والعمل والالتجاء ثم السيطرة !

عوامل هدم وتعطيل

ان تعرض المدينة العربية ، التي هي مركز التحضر ، لسيل الموجات الرعوية المتتابع قد ترك في تكوين المجتمع العربي وبنيته الآثار والترسبات والبثور التالية :

اولا - بالنظر الى كون القبيلة هي الوحدة الاجتماعية في الموجات الرعوية ، فانها انتقلت ايضا الى صلب مجتمع المدينة والريف وجلبت معها نزاعاتها وعصبياتها ونظرتها الى العمل المهني والتقني وكل انواع العمل الحضري . اضف الى ذلك ان القبيلة ، بعكس الاقطاعية الزراعية في المجتمع الاوربي او الياباني او الصيني ، تميل بطبيعتها الى مزيد من التشرذم حيث تتحول القبيلة الى عشائر والعشائر الى بطون وافخاذ متنافسة وهكذا . بينما تنضم الاقطاعية الزراعية الى الاقطاعية الاخرى لتكون نواة الدولة الموحدة كما حدث في اوربا واليابان والصين والهند .

ثانيا : ان هذه التعددية القبلية والعشائرية في صلب نسيج المجتمع العربي تسببت في وجود تعددية غير صحية اخرى هي التعددية الطائفية والمذهبية . فنحن إذا عدنا الى الاسباب الجذرية لنشوء اغلب الطوائف والمذاهب في بلادنا العربية نجد انها نتيجة الصراع السياسي - الاجتماعي بين القبائل والعشائر والعوائل من قيسية ويمنية ومن اموية وهاشمية ..الخ . ثم توسع هذا الصراع بدخول الأقوام غير العربية في الدولة الاسلامية بحيث اذا انتمى الأتراك الى مذهب رد عليهم الفرس بالتعصب لمذهب اخر ، مثلما حدث في



مكسيم رودنسون

البداية عندما مال الامويون في صراعهم السياسي الى اتجاه ، فرد عليهم خصومهم باتجاه مضاد . وتلبّس الاتجاهان الطابع الديني المذهبي .

وهكذا فان التكوين المجتمعي في المنطقة العربية لم يصب فقط بتعددية القبائل والعشائر والافخاذ ، ولا بتعددية القوميات والاخلاط المتسربة من تركية وفارسية وشركسية وارمنية ، وانما بتعددية المذاهب والطوائف ايضا ، بحيث اذا ذابت فوارق القبائل والقوميات بحكم التزاوج والتّعايش الطويل الامد ، عبر التاريخ ، بقيت فوارق المذاهب والطوائف تثير النعرات وتذكر الناس باصولهم التاريخية المختلفة وتمثل افضل ذريعة في يد القوى المعادية لتفتيت المنطقة العربية واعادة احياء هذه الظاهرة التعددية - (الفسيفسائية) التي لا تتماشى وجودها مع اى اتجاه حقيقي لخلق كيان مترابط ومتماسك ومستقر ومتحضر يستطيع رد التحديات الخارجية ، والتركيز على العمل والانتاج وتحقيق التقدم في الداخل .

والجدير بالملاحظة ان الاسلام قد حارب منذ البداية نزعة التعددية القبلية في المجتمع العربي ، وحذر من الخضوع لقيم البداوة غير الايجابية ، وقد قال النبي العربي الكريم عن نزعة التفاخر القبلي : « دعوها فانها منتنة » اى كريهة الرائحة . غير ان النزاعات القبلية والشعوبية في تاريخ العصور الاسلامية التالية اعادت هذه التعددية غير الصحية الى التكوين الاجتماعي العربي . والواقع ان كل مخططات اسرائيل والقوى الاجنبية الطامعة تتلخص في احياء هذه التعددية الجاهلية في المنطقة العربية .

ثالثا : إن اهم ظاهرة نجمت عن خضوع مناطق الحضر للموجات الرعوية المتبدية هي ظاهرة الانقطاع او التقطع او اللااستمرار في حياة الحضارة العربية . فالواقع ان اغلب حركات الازدهار الحضاري العربي قد تم اغتيالها على يد القوى الرعوية الكاسحة ولم يتح لها مجال النمو والنضج الطبيعي ، والانتقال من مرحلة حضارية الى مرحلة حضارية اعلى كما حدث في اوربا واليابان بالانتقال من الحضارة الزراعية الاقطاعية الى الحضارة الصناعية الراسمالية . وهذا ما يفسر في نظرنا لماذا لم يتحول المجتمع العباسي المزدهر تجاريا الى مجتمع صناعي راسمالي . وذهب مكسيم رودنسون ، المستشرق الفرنسي ، وغيره في تفسير هذه الظاهرة الغريبة تفسيرات شتى غير مقنعة وغير نهائية ، ومازال الجدل في اوساط الفكر الاجتماعي التاريخي قائما حول هذه المسالة .

ذبول غير طبيعي

وتفسيرنا الذي يمكن ان نقدمه هنا ، على ضوء الديالكتيك بين المجتمع المتحضر والقوى الرعوية ، هو ان المجتمع العباسي المتقدم فكريا وعمرانيا والمزدهر تجاريا ومهنيا واقتصاديا لم تترك له القوى الرعوية المتخلفة المحيطة به في الصحارى العربية والاسيوية والافريقية فرصة النمو الطبيعي وامكانية التراكم الراسمالي المؤدي الى الثورة الصناعية ، بل اخذت تقطع طرق امداداته ومواصلاته التجارية ثم انقضت على مراكزه الحضرية ذاتها بالتسرب سياسيا ودينيا الى مؤسسة

مدى مسئولية الماضي عن أزمـــة الحاضـــر

الخلافة والحكم ، ثم بالانقضاض الحربى المباشر عليه عندما تم تفكيك بنيتـــه الحضارية من الداخل .

فلجماع الدارسين ينعقد على ان عهد الخليفة المامون يمثل ذروة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية فكريا واقتصاديـــا وعمرانيا ، وهذا الازدهار كان من الطبيعى ان يواصل النماء والتطور والانتقال الى مراحل اعلي لو احتفظ المجتمع العباسي المتحضر بتماسكه ومناعته الداخلية . فماذا حدث ليفسر كل هذا الارتداد الفكرى والحضارى والسياسي فى عهدى المعتصم والمتوكل ومن اتى بعدهما ؟

هل يعقل ان الحضارة العباسية التى بلغت اوج شبابها فى عصر المامون ، قد انتكست هكذا بشكل طبيعى نحو الذبول والشيخوخة ؟ ان ذلك ضد طبيعة الاشياء . لأن الذبول الحضارى الطبيعى يتطلب عصوراً طويلة متعاقبة ، شانه شان النمو المتدرج فى البداية . فلابد ان عاملا قسريا خارجيا قد اقتحم على التحضر العباسي مسيرته ونموه وتطوره واعاده خطوات واسعة الى الخلف .

وهذا واضح تماما بسيطرة الموجـــة التركية البدوية على مقاليد المجتمع العباسي فى عهد المعتصم الذى كان مواليا للعنصر التركى بتاثير امه التركية ، مما يعنى ان الولاء العربى قد ضعف حتى فى مستوى الخلافة بتسرب العناصر غير العربية الى صميم النسيج المجتمعى فى اعلى خلاياه . (ومثـل هـذا الولاء المزدوج سيكون من اهم اسباب البلاء فى تاريخ العرب) .

فالذى حدث ان الخلافة فى عهد المامون قد واجهت تحديات العناصر البدوية الاعرابية فى الشام والجزيرة ، وتحديات العناصر الاسيوية فى خراسان واطراف بلاد فارس ، وتوهم المعتصم بعد توليه ان الاستنجاد بقوة من المحاربين الاتراك سوف يحمى الدولة ، ولم يدرك ان سيطرتهم لن تضر الخلافة والســـلطة السياسية فحسب ، بل ستؤدى على المدى الأبعد الى تهديم البناء الحضارى والتقدم الاقتصادى الانتاجى الذى بدا منذ صدر الاسلام ، وذلك بحكم الطبيعة الرعوية المتخلفة لاولئك المحاربين الاتراك .

الانقلابات الرعوية

وقد خلف لنا الكاتب والمفكر العباسى الكبير ، الجاحظ ، وثيقة تاريخية هامة عن طبيعة هذه الموجة الرعوية التركية التى هيمنت على عاصمة الخلافة ومراكزها الاخرى عندما قال فى رسالته الشهيرة عن الترك : « الترك اصحاب عمد (خيام) وسكان فياف ، وارباب مواش وهم اعراب العجم .. فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ولا بنيات ، ولا شق انهار ولا جباية غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيـل وطلب الغنـــائم وتدويخ البلدان .. وصار ذلك هو صـــناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم .. » .

ان الطبيعة المحاربة غير الانتاجية وغير التحضرية لهؤلاء واضحة فى رسالة الجاحظ المعاصر لهم ولتلك الفترة . ويلخص الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « العصر العباسى الثاني » ملامح هذا الانقلاب الرعوي فى المجتمع العباسى بقوله : « وكان جمهور هذا الرقيق (التركى) بدوا جفاة فكانوا يركبون الخيل ويركضونها فى الشوارع ، فتطا بعض الشيوخ والاطفال والنساء ، مما اضطر المعتصم ان يبني لهم سامراء شمالى بغداد » .

ويمكننا ان نضيف الى وصف الدكتور شوقى ضيف ، بلا مبالغة ، ان الذى وطاته خيل البدو الاتراك لم يكن اهالى بغداد فحسب ، وانما مستوى التحضر العربى الاسلامى فى ذلك الوقت ودرجة النمو الاقتصادى التجارى والمهنى الانتاجي فى الدولة العباسية .

واي مؤرخ اجتماعى يتصدى لمحاولة تفسير عدم تطور المجتمع العباسى من مجتمع تجاري مهني مزدهر الى مجتمع صناعى راسمالى (بالمعنى الاقتصادى المحض للراسمالية وليس بمعناهـــا الايديولوجى السائد حاليا) ، لابد له أن يقف طويلا امام مثل هذا التقطع الحضرى والانتاجى الذى تسببه الموجات الرعوية للمجتمعات العربية وتترك بصماتهـــا وترسباتها واضحة فى تكوينها الاجتماعى الحضرى والانتاجي لامد طويل .

وفى تجربة تاريخية مماثلة بلغ المجتمع العربى فى الشام ومصر درجة متقدمة من التحضر والانتاج التجارى والمهني والفنى اواخر العصر المملوكى عندما امتص الموجة المملوكية وعرّبها الى حد معين ، وحضّر عناصرها إلى درجة ملحوظة . وكان من المحتمل ان يشهد المجتمع العربى فى مصر والشام فى تلك الفترة تحولا اقتصاديا وحضاريا هاما بالانتقال من المرحلة التجارية المزدهرة مع الجمهوريـــات الايطالية كجنوة والبندقية ، الى المرحلة الصناعية التى كانت اوربا على وشك الانتقال اليها .

غير ان هذا المجتمع العربى المتحضر اقتحمته الموجة الرعوية العثمانية القادمة من سهوب اسيا الصغرى بالغزو المباشر ، فقطعت استمراريته الحضاريـــة ونموه الاقتصادى والانتاجي ، كما فعلت الموجة التركية الاولى فى عهد المعتصم بالمجتمع العربى بالعراق والمشرق . وحـادثة قيـام سليمان القانونى ، السلطان التركى ، باجبار افضل المهنيين المصريين والشاميين على ترك العمل بمدنهم العربية والرحيل فى ركابه الى اسطنبول ، اشهر من ان تعرّف . فضلا عن حمله ارقى المقتنيات والاثار والادوات من القاهرة ودمشق وحلب إلى عاصمته .

ان هذا التقطع الحضارى والبشرى فى حياة المجتمعات العربية ليس بالحدث السهل ، ولم يتم تجاوز اثاره بعد .

فازدواجية الولاء ، وتعددية العناصر ، وتدني مستوى الانتاجية ، فى العمـــل والحضارة ، والمفارقات القائمة فى النسيج المجتمعى العربى بين اعلى مستويات التحضر ، وادنى مستويات التخلف بشكل غير متجانس .. كل ذلك ما يزال فاعلا فعله وتاركا اثاره ، فيما يتعلق بمدى تماسك المجتمعات العربية ضد الاخطار التى تهددها ، ومدى فاعليتها الانتاجية وقدراتها الحضارية بالنسبة لتحدى التنمية والبناء الداخلي . والى وقفة اخرى مع هذه الجذور الاجتماعية التاريخية للازمة العربية الراهنة .

محمد جابر الانصاري

هل يتجهون نحو دين طبيعي ؟

ما حكم العقل ببطلانه يستحيل أن يكون دينا

بقلم: محمد الغزالي

في عصرنا هذا كثر الحديث عن الانسان وحقوقه ، وعن الأشواق والآمال التى ينبغى ان تتحقق له ، وعن المتاعب والمظالم التى يجب ان يبرأ منها ..

ويكاد الاجماع العالمى ينعقد ـ ولو نظريا ـ على ضرورة تكريم الانسانية المجردة ، مهما اختلفت الأنساب والالوان والآراء والأديان . !

وقد يظن البعض ان هذا كسب محدود ، ونراه نحن كسبا كبيرا ، فان البشر على ظهر هذه الارض عانوا الوانا من الغمط والحيف لا حصر لها ، بل تعرضت اجيال لعذاب الاستئصال دون سبب !

فاذا تعاونت الشعوب والدول على تامين حاضرها ومستقبلها ، ووضعت برامج مادية وادبية لاعلاء قدر الانسان ودعم مكانته الاجتماعية والسياسية فذلك ارتقاء مقدور مشكور !

ولم نلحظ خلافا يذكر فى الخطط المرسومة لتكريم الانسان وصون حقوقه ! فالمتحدثون من الصين او من امريكا يتدفقون على تجريم الاضطهاد ، وتحريم الارهاق ، ويهفون الى ايجاد عالم تسوده الاخوة والمساواة ، وتتوطد فيه الحريات والكرامات ..

لاحظنا أن « للعقل » احكاما هى موضع التسليم التام ، وأن هناك علوما تتجاوب معه ، وينمو فيها ويزدان : هذه العلوم تتنافس الامم على تحصيلها وتثميرها ، وقد يتفضل المتقدم على المتخلف ، والواعى على القاصر .

ولاحظنا ان لسلامة الاجسام قيمة كبيرة وان الامم ترعى انواع الرياضة التى يصح بها البدن ويقوى ، كما تحرص على مستويات التغذية التى لابد منها ..

ولاحظنا ان مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب لا خلاف عليها فما احترم احد زورا ولا ازدرى صدقا ! وما أحسب احداً من اهل الارض يمج طعم المعروف او ينكر وجهه الوسيم ، الجميع يؤكدون قول الشاعر :

ولم ار كالمعروف اما مذاقه
فحلو ، واما وجهه فجميل !!

الانسانية عملة مانوسة لا تهبط قيمتها ، ولا يستوحش منها احد له قلب سليم وعقل سليم .

والعالم الحاضر له ذكريات تاريخية كثيرة اقلها حلو واكثرها مر ، وقد استفاد منها خبرة وكون احكاما ، وربما نشات عنده عقد مبهمة كالفرد الذى لدغه حنش فصار يخشى الحبل ..

وعلى اية حال فان العالم محق فى كراهيته للاستبداد السياسى والتعصب الدينى ، والنعرات الجنسية ، والفوارق الطبقية ، وهو محق فى نشدانه للعدالة والسماحة والاخاء والتراحم ..

وقد كان الناس يحسبون ان هيئة الامم ومجلس الامن سيكونان حكومة عالمية تطارد العدوان وتقيم الموازين القسط بين الناس كافة ! ثم استيقظوا من حلمهم على واقع كالح !

فماذا يقول العرب ووطنهم يغتصب منهم جهرة ، وتعين على اغتصابه اكبر دول العالم ؟ وماذا يقول المسلمون فى افغانستان ، أو فى « مورو » أو فى غيرهما وهم يعانون ضيما يوشك على قتلهم ؟

والغريب ان الولايات المتحدة قاطعت

ما حكم العقل ببطلانه يستحيل أن يكون دينا

هيئة اليونسكو وتعمل على تقويضها لأن الهيئة لم ترض عن جور اليهود فى فرض طابعهم على ارض ليست لهم !

ترى ما هى اغوار وابعاد « الانسانية » التى تراضينا عليها وقبلناها عنوانا وموضوعا ؟ اننى ـ بتجرد كامل ـ ابحث هذه القضية ، ذلك لأنى أرى العالم عاد الى اصله او حن الى فطرته عندما رفع شعار هذه الانسانية !

ان الدين الذى بلغه المصطفون الاخيار من فجر الخليقة الى الآن هو هذه الانسانية الراشدة لأنها تسمع صوت العقل ، الصالحة لأنها تسمع صوت الضمير اى صوت القلب الطهور الذى يحسن الحسن ويقبح القبيح .. !

وعندما يكون الدين هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فما الجديد الذى ينكره الانسان ، وينتصب لمقاومته ؟ نعم ساء عرض الدين فى اعصار طويلة ، وطولب البشر احيانا بما يخالف الفطرة ، وتاباه الطباع القويمة ، ولست اقبل هذا الوضع ، ومن حق اولى الالباب ان يرفضوا ما يكذبه العقل ، وما تتاذى منه الفطرة ، لانه ليس دينا نازلا من السماء ، وإنما هو نبت سام خرج من الارض ..

ان سير اليهودية وقف لأن ماصحبها من صلف ودعوى يصد عنها ، فالله لم يختر شعبا ليدلله ، ويمكنه من رقاب البشر ، ذاك فضلا عما ذكره العهد القديم والتلمود من صفات لله لا تليق به ولا تصدق فيه ..

وقد نشب صراع ضار بين النصرانية والعلم زهقت فيه أرواح بريئة لأن اباء الكنيسة جافوا العقل وعطلوا وظائفه وانكروا امتداده ، وما كان عيسى الا انسانا نبيلا يقول للناس : « إن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » .

ووقع المسلمون فيما وقع فيه من قبلهم كما جاء فى الحديث : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ! قالوا : اليهود والنصارى ؟؟ قال : فمن إذن .. ؟؟ » .

ومن المؤسف أن ناسا من المتكلمين فى الاسلام اشبهوا كهنة الديانتين السابقتين فى ضيق الافق ، ورداءة النظر ، ومرض الذوق ، وغش العرض ، فكانوا بلاء على الاسلام وغطاء على نوره وصدا عن سبيله ؟

بيد أن الله تاذن بحفظ كتابه وصون وحيه وتجديد دينه ونفى الترهات عنه ، ما بقى الليل والنهار ..

الا فلنعلم ان ما حكم العقل ببطلانه يستحيل ان يكون دينا ، وقد كان ابراهيم الخليل يشير الى طبيعة الحق فى اصل الايمان عندما قال لأبيه « يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » ؟ .

وكان يقيم الايمان على مهاد اليقين العلمى عندما قال : « يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم ياتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا » .

وفى هذا الاتجاه نفسه من إرساء العقيدة على الصواب المستيقن تقرا الآية الكريمة « قل ارايتم ما تدعون من دون الله ، اورنى ماذا خلقوا من الارض ؟ ام لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين » .

الدين الحق ، هو الانسانية الصحيحة والانسانية الصحيحة هى العقل الضابط للحقيقة المستنير بالعلم ، الضائق بالخرافة ، النافر من الاوهام ! بيد ان الذكاء الحاد وهو جزء من هذه الانسانية ما يكمل ويستقيم إلا بجزء اخر ينضم إليه ويتحد معه هو القلب النظيف من الكبر والاثرة ، الشاكر لأنعم الله والمعترف بامجاده والماضى الى غايته فى هذه الحياة على ضوء من اسمائه الحسنى ، وهداه القويم ..

واعرف وانا محزون أن هناك من هبط بمعنى الدين وكاد يجعله والانسانية نقيضين ! ، وان هناك من هبط بمفهوم الانسانية ، فعزلها عن ولي نعمتها ، اعنى عن ربها الكبير ، وحبسها فى نطاق الضرورات والمرفهات وحسب !

واريد ان امحو هذا التفاوت ، واستبعد اسباب الخصام بين المعنيين ، فهما عند التامل والانصاف معنى واحد .

واساس الصلح فى نظرى تجريد الايمان من كل وهم يدمغه البرهان ! وتجريد الانسانية من كل غرور يقطعها عن الوحي .

وقد رايت من خبرتي بالاسلام ان الخطب سهل ، وانه مع احترام الفطرية البشرية ـ وهي قاسم مشترك بين الخلائق كافة ـ فاننا سنتفق على كلمة سواء ..

فليس مما يليق بدعاة الانسانية ان يذهبوا بانفسهم ويستعلوا على هاديهم ، ويستغلوا اخطاء بعض المتدينين ليدعوا الوحي الالهي جملة ، ويكتفوا بمرئياتهم وحدها ، وما اكثر هناتها !!

ولم ار اقدر من القران الكريم على اقتياد الانسان الى الحق ، والرشد ، وترشيحه لحسنات اليوم والغد ! ولم اعرف اقدر من محمد عليه الصلاة والسلام فى حل المشكلات وانارة الظلمات !

كنت اتابع التجارب الاخيرة لاطلاق الاقمار الصناعية من مكوك الفضاء الأمريكي ، وتالمت لان القمرين ـ واحدهما اندونوس ـ زاغا عن مدارهما ، واتخذا طريقا يجعل سعيهما في الفضاء سدى !

قلت : لقد بذل العلماء جهودهم ، وما يستطيعون اكثر من ذلك ! ان الجهد البشري قدّر وما هدى ! اما قدرة الله فشان اخر ، ان الله أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وما نوازن بين الخلق والخالق ، فان ماقد يبلغه العلماء من ابداع هو سنا من الهام الكبير المتعال ، بيد ان ما حدث يلفت النظر الى عظمة من اطلق الكون في الفضاء فهو يسير في نظامه المرسوم مسخرا دءوبا ، يعلو ويدنو ، ويشرق ويغرب ، ما يتزحزح عن مداره قيد انملة ، ولا يتقدم ولا يتاخر في مساره لحظة عين !

يستحيل ان يخرج شيء على إرادة الله منذ استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض : ائتيا طوعا او كرها .. قالتا اتينا طائعين .. !

في جو التوحيد الذي جعلني القران اتنفس فيه تمر بي خواطر لعلها جديرة بالتسجيل .. ضمني يوما مجلس نابض بالتفكير العميق والحوار المخلص ، وبينما انا مشغول به دارت عيني في المكان كله ، ووعيت ارجاءه جيدا ، واذا هاتف نفسي يقول لي : ان الصورة التي تراها الآن هنا يراها ربك اوضح واشمل «ابصر به واسمع».

وانتابني لون من الخشوع العابر ، ثم رحلت عن هذا المكان ، وكان سفري بالطائرة وحللت في فندق اخر ، وضمني مع اخرين مجلس جديد ، وتجدد الهاتف النفسي الاول مع زيادة !

ان الله يراك الآن في هذا المجلس ،

ويرى الذين حلوا بعدك في المجلس السابق ، ان رؤيته لم تنقص لا هنا ولا هناك « فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين » .

وتتابعت الهواتف : لماذا استوقفك هذان المجلسان ؟ ان الشهود الالهي يشرق على كل مكان قل فيــه الناس او كثروا « إن الله لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء » او لا تذكر قول العلماء انه يستوي في العلم الالهي يونس وهو في بطن الحوت ومحمد وهو في سدرة المنتهى ؟ وكذلك تستوي فيه هباءة ترتعش في شعاع الشمس ، وحصاة تصهرها الحرارة على بعد الف ميل في باطن الارض .. !!

وتحرك عقلي مع هذه الخواطر المتداعية وتساءل : لماذا لفتك هذا العلم المحيط وحده ؟ القضية اكبر من استيعاب السمع والبصر والعلم لذلك كله ! القضية قضية ايجاد وإمداد !

فان كل حي يتنفس فبقدرة الله وارادته يعيش ، انه ـ تبارك اسمه ـ قيّم السموات والارض ومن فيهن يسوق الرزق لكل فم ، ويدير الاجهزة الهاضمة في البشر والدواب والحشرات والزواحف والطيور كي تبقى الى حين .. !

واستطرد عقلي يتابع النظر : ان ذلك مايقع الان بيقين ، فهل ذلك جديد في الكون الحافل بالحياة والاحياء ؟ ام انني وغيري من الخلائق قطرات في بحر الوجود الذي انطلق من الازل ، واستمر هديره الى يوم الناس هذا ، وسوف يبقى ما شاء له القائم على كل نفس بما كسبت ، الذي جعل الارض فراشا والسماء بناء، والذي امات واحيى ، واضحك وابكى ، ؟؟

نعم فى اللحظة الواحدة قد يقهقه نشوان بالسرور ، وقد يحشرج محتضر راحل عن الدنيا .

والمشيئة العليا من وراء الاضداد كلها تعمل ، لا يحدها زمان ولا مكان ،

ما اغرب هذا الوجود كله ، وما اعظم من ابدعه ، واشرف على مسيرته ، ســبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كمــا اثنيت على نفسك ..

اننا ـ بما أودع فينا من عقول ـ نستطيع معرفة الله ، ونستطيع دراسة عظمته في الكون الذي نراه ، لكننا لن نعرف الغيوب !

واول هذه الغيوب المعجزة ان نعرف كنه الخالق ، ذلك مستحيل ، ان الكلمة لا تعرف كاتبها ، ان القمر الصناعي ـ لو عقــل ـ ما يعرف كنه الذى اطلقه !

الشمس تطلع كل صباح في عالمنا الصغير على خمسة مليارات من البشر ، كل امرىء منهم يضبط جسمه وفكره ووجدانه ، ومشاعره المهتاجة او الراكدة ، وحياته القاصدة او الصاعدة ، طفلا كان او شيخا ، ذكرا كان او انثى ... هذا الرب الكبير ، يضبطها جميعا في آن واحد ، مع عوالم اخرى لا ندريها،أفليس من الغرور والتطاول أن يحاول احد منا معرفة سر هذه الذات ؟

ان الايمان ليس لغزا ، والدين ليس بدعا ولغط الشكاكين ليس الا سخفا « اكان للناس عجبا أن اوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم .. » ؟

المشكلة الاولى ما يضمه الناس الى الدين من هوى والدين منه برىء ، وما نزال نؤكد ان كل حكم يرفضه العقل ، وكل مسلك يأباه امرؤ سوي ، وتقاومه الفطرة السليمة يستحيل ان يكون دينا ، وتدبر قوله سبحانه وتعالى « واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها . قل ان الله لا يامر بالفحشاء ، اتقولون على الله مالا تعلمون ؟ قل امر ربي بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد .. »

ولما كانت الانسانية قد بلغت شاوا كبيرا من الارتقاء في عصرنا الحاضر ، وكانت الحضارة الغربية ـ بشقيها الصليبي والشيوعي ـ هي سيدة الموقف ، وقائدة العالم ، فان صلة هذه الحضارة بالاسلام اهمتني ، واستولت على مساحة رحبة من فكري ..

وقد انتهيت بعد ســياحة عقلية بعيدة المدى الى ان العالم يحتاج الى دين طبيعي لا تكلف فيه ولا تعسف ! دين يوائم العقل لا يخاصمه ابدا ، ويتجاوب مع الفطرة فهو منها وهي منه !

وصلة الحضارة الحديثة بالعرب ايام صدارتهم لا يمكن انكارها ، فان احبار اليهود واباء الكنيسة جميعا حرصوا على الالتحاق بجامعات الاندلس ، والارتواء من ثقافتها الخصبة .

وقد ترجموا القران الى العبرية واللاتينية ! وبقيت هذه التراجم حكرا على الاحبار والحاخامات حتى تمكن رجال الاصلاح الدينى فى اوربا من الاطلاع على هذه النسخ المترجمة ، وكان لها في مناهجهم الفكرية أثر كبير ..

ومنذ ثورة « كرومويل » فى انجلترا سمح بنشر القران بالانجليزية لاول مــرة ، ثم نشر بالالمانية . مع الاشارة هنا الى ان قراءة القران المترجم في الاقطار الكاثوليكية كانت محرمة ! وتعرض صاحبها لقرار الحرمان ! ومن ثم فان الترجمات القرانية لم تشع الا حيث اعلنت الحرية الدينية ، وهذا ما مكن رجال الفكر المائلين الى عقيدة التوحيد من تفهم الاسلام والمقارنة بين تعاليمه ومواريثهم ، واصدار احكام تتسم بالشجاعة والتحرر ..

كان من حظى ان اقرا عدة صفحات من كتاب لمفكر مسيحى واسع الذكاء اسمه « ابــادى » Abbadie ، طبع بامستردام سنة ١٧٦٩ للميلاد . والطبعة التى قرات ترجمة لصفحاتها الاولى هى الطبعة السادسة !

ومن السطور التى استوقفتنى هذه الكلمات « ... ان المسيح يعلن فى إنجيله : « الفقهاء يعرفون من انتاجهم .. » . وهذا القول لا يبعد عن الحقيقة اذ الحقيقة نفسها هى التى نتعلم منها !

واستنادا إلى هذا المبدا لا يسعنا إلا ان يكون لنا راى رفيع فى مكانة محمد وعدّه نبيا عظيما ، فقد علم البشر ان يفردوا ربهم بالسلطان المطلق ولم يمنح هذا السلطان احدا من الخلق ! ودفع الاجيال المتعاقبة إلى عبادة الله ذى الجلال والاكرام فالله فوق عرشه رفيع الدرجات ، والناس فى إطار الخليقة الفقيرة إليه وحده .

هل هناك شرع اكثر صحة من هذا الشرع ، إن القران كتاب نبيل (!) ومن المؤكد ان محمدا شتت به ضلالات كثيرة ، ونحن نخطىء إذا انكرنا الالقاب التى يضفيها المسلمون على محمد .. » .

هذا كتاب طبع فى اوائل القرن الثامن عشر ينصف الاسلام ويؤكد ما شرحناه هنا من ان اوربا بحاجة الى دين طبيعي ، إلى ايمان فطري إلى تعاليم يرتضيها العقل الحر ، والطبع النقي .

ترى هل ينهض العرب بهذا العبء ؟

محمد الغزالى

تكنولوجيا الغذاء :

... إنهم يزرعون في الماء والهواء والصحراء

الجوع يهدد العالم كله فى بداية القرن القادم أى بعد ١٦ عاماً ، ونحن فى الوطن العربى فى مقدمة الذين يتعرضون لتهديد الجوع ... فماذا فعلنا فى مواجهة الأزمة القادمة ؟

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

تعرضنا فى مقالات سابقة لبعض ابعاد الثورة التكنولوجية الجديدة فى العالم ، وتطبيقاتها فى عدد من المجالات الاقتصادية وتاثيراتها الاجتماعية ، والافاق التى تفتحها نتائج ابحاث الكيمياء الحيوية والالكترونيات الدقيقة والذكاء الاصطناعى وثورة المعلومات . ومن المجالات التى يجب ان نتنبه اليها منذ الان هو تكنولوجيا انتاج الغذاء على ضوء الموقف الحالى فى سوق الغذاء الدولى .

وتبرز اهمية هذا المجال بالنظر الى ما تنبات به معظم التقارير والأبحاث عن مستقبل العالم ابتداء من تقرير نادى روما الشهير باسم « حدود النمو » وانتهاء بتقرير « العام ٢٠٠٠ » الذى أعدته لجنة تشكلت بقرار من رئيس الجمهورية الامريكى ، ورفعته الى الحكومة الامريكية ، وكلها تشير الى أن العالم سوف يواجه بازمة غذاء مع بداية القرن الحادى والعشرين اذا ما استمرت الأوضاع الراهنة على ما هي عليه .

ولا يحتاج الانسان العربى إلى ان ينتظر كل هذه الاعوام ليتعرف على اهمية تكنولوجيات انتاج الغذاء . إذ يكفى ان يتامل فى الاعتماد المتزايد لمعظم البلاد العربية فى غذائها على الخارج ، والذى يتعاظم عاما بعد عام ، ويضع هذه البلاد فى مركز حرج ودقيق إزاء الدول المصدرة للغذاء . فالغذاء ليس سلعة تجارية ، وانما هو مادة استراتيجية شانه فى ذلك شان السلاح تماما . ومن المتصور ان تستخدمه الدولة المصدرة ، او على الأقل ان تهدد بذلك ، لتحقيق اهدافها او لعقاب من يقفون عقبة امام هذه الاهداف . كما يكفى ان نتذكر انه فى يناير ١٩٨٤ كانت هناك عشرون دولة افريقية تعانى من المجاعات ، يبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٠ مليونا ، وان الامم المتحدة ومنظمة الغذاء الدولية اصدرتا اكثر من اعلان ونداء يدعو دول العالم الى اغاثتها ومساعدتها .

لقد شهد سوق الغذاء الدولى فى حقبة السبعينات ثلاثة تطورات رئيسية : أولها انتهاء الرصيد الاحتياطى الضخم الذى كان احد سمات هذا السوق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والذى أدى فى بعض السنوات إلى قيام الولايات المتحدة بان تدفع لفلاحيها ما يوازى قيمة الانتاج المتوقع من اراضيهم حتى لا يقوموا بزراعتها . وثانيها ازدياد اعتماد دول العالم فى استيراد الحبوب على امريكا وكندا ، الأمر الذى يضع هاتين الدولتين فى موقف احتكارى ، ويضع العالم كله فى موقف لا يحسد عليه اذا ما تعرضت الدولتان لظروف مناخية غير مواتية للزراعة خاصة وانهما فى منطقة جغرافية واحدة وتتاثران بنفس العوامل . وثالثها دخول الاتحاد السوفييتى منذ عام ١٩٧٢ سوق الغذاء كمستورد لكميات كبيرة من القمح .

فى هذا السباق يقوم عدد من الدول بتجارب وابحاث رائدة فى مجال تكنولوجيات انتاج الغذاء . من المهم ان نتعرف عليها وان نشارك فيها وفى تطويرها ، والا نكتفى بالدور التقليدى لنا وهو دور المستهلكين او المشترين . فهناك تجارب لزراعة اكثر من محصول واحد فى الموقع الواحد ، والزراعة فى الهواء ، والزراعة المائية ، وزراعة الصحراء .

ففى كل من اليابان والولايات المتحدة تمت دراسات لزراعة اكثر من محصول فى نفس الموقع بحيث يستطيع كل محصول من المحاصيل المزروعة ان يستفيد من المحاصيل الاخرى ، مثل ان يستمد احد المحاصيل النيتروجين من الهواء فيوفر بذلك الاسمدة الازوتية للمحاصيل الاخرى . وهناك اختبارات للزراعة فى الهواء بلا تربة ولا ماء بحيث تنمو الجذور عبر ثقوب كثقوب الغربال ، تتدلى فى الهواء ، وتنمو هذه المتدلية فى الهواء بواسطة الرش بالماء والاوكسجين والمواد المغذية . وهناك تجارب ناجحة لزراعة الصحراء قام بها معهد زراعة المناطق الصحراوية فى جامعة « تتورى » اليابانية التى تقع فى جزيرة هونشو ، وتمكن فيها من زراعة مساحات كبيرة بالفراولة وزهور الجلاديوس



والبطاطس والبطاطا ، كما تمكن من زراعة الطماطم سنتين متتاليتين فى الارض .

ومنذ عام ١٩٦٠ تتم فى مناطق عديدة فى اليابان الزراعة فى بيوت مصنوعة من صحائف بلاستيكية موضوعة فوق اطارات من البامبو او المعدن ، ويتم التحكم فى درجة الحرارة او الرطوبة فى هذه البيوت بما يناسب كافة انـــواع الخضروات والفواكه .

وهناك الزراعة فى الماء . ويقوم هذا النظام على انتاج الخضروات فى احواض للبذور خالية من التربة يغمرها الماء وضوء الشمس . فبدلا من التربة هناك لوح من المطاط موضوع فوق سطح مشبع بالماء المخلوط بالاسمدة ، وللوح ثقوب عديدة تزرع فيها البذور . وتوضع احواض المطاط فى صف داخل بيوت زراعية مدفأة ، وتقوم هذه الأحواض مقام الحقل الزراعى . وعلى سطح الماء فى هذه الأحواض توضع الواح المطاط لتطفو على سطحه . وفى ثقوبهـا تنمو النباتات الصـغيرة لمختلف انـواع الخضروات ، وتمد الأحواض بمحلول مغذ ليساعد على انتشار جذور النباتات من خلال الحوض . ويقتصر هذا الأسلوب على زراعة الخضروات ذات الأوراق ، او الخضروات الجذرية مثل الفجل والجزر

كما تمت الاستفادة من نتائج ابحاث الكيمياء الحيوية واستخدام هرمونات النبات فى الزراعة لانضاج النبات فى وقت اقصر بكثير من المدة الطبيعية اللازمة لذلك . وهرمونات النبات هى التى تنظم النمو والتطور والتكاثر للنبات : لذلك فان فهم التركيب الهرمونى ووظيفته يسمح لنا بمعرفة اى الهرمونات مثلا تؤدى الى نمو الجذور او مكافحة الحشرات الضارة او تكبير حجم الثمرة او التحكم فى لونها .

وهناك ابحاث تجرى على مجموعة الهرمونات المعروفة باسم « اوكسين » والتى تنظم نمو اجزاء النبات بمعدلات متناسبة ، وعلى علاقة الأوكسين بالظروف البيئية المختلفة مثل : لماذا تؤدى كمية معينة من اشعة الشمس الى نمو مختلف للنبات ؟ وما تاثير كمية الضوء على هذا النمو ؟ وهناك هرمونات تساعد النبات على تحمل الجفاف ، واخرى تحد من طول سيقان بعض النباتات مثل القمح حتى تستطيع مواجهة الرياح .

وهناك عمليات التهجين المختلفة التى تقوم بها مراكز الابحاث ، فالمركز الدولى لبحوث الارز فى الفليبين مثلا قام بتهجين انواع مختلفة من الارز للحصول على افضل سلالة من حيث النوعية وقصر الايام اللازمة للزراعة وحجم الانتاج . ويقوم باحثو المركز بحفظ مجموعات من الخلايا التناسلية للارز لتطوير انواع جديدة يمكن ان تقاوم الامراض ، وتكافح الآفات ، وتتحمل الجفاف او الفيضانات ، وتعيش تحت انواع مختلفة من الطقس ..

وفى مجال انتاج السمك تشكل الاسماك التى ربيت فى مزارع خاصة نسبة ١٠٪ من مجمل استهلاك اليابان ، وتطورت اساليب تربية الأسماك وليس صيدها وحسب ، وزاد انتاج اليابان من الأسماك التى تربى فى مزارع من ٦٠٠ الف طن فى عام ١٩٧٠ الى مليون ومائة الف طن فى عام ١٩٨٠ .

ويدرس الخبراء الآن امكانية تربية الأسماك فى مناطق فى عرض البحر .

ونسأل .. اين نحن من هذه التطورات ؟

واين خططنا ونظرتنا طويلة الأجل حتى نضمن غذاء الأجيال القادمة من العرب ؟

وكيف يتم الاهدار المستمر وعدم استثمار موارد السودان الهائلة من الاراضى الزراعية ؟

عصر المدن المليونية في الخليج :

كل شيء للمدينة .. أقل القليل للريف والبادية

بقلم : الدكتور حسن الخيّاط

ان ما يميز خارطة الاستيطان البشري فى المنطقة الخليجية حاليا انها خارطة بعيدة عن التعقيد . فليس فى ملامحها ما يوحي بان انماطها التوزيعية تخضع فى كليتها لنظريات الموقع او لقوانين البيئة والسلوك . فقد خضعت المنطقة فى الثلاثين سنة الأخيرة لثورة حضرية ، هى ثورة الحواضر الكبرى . ثورة قضت او كادت تقضي على الريف وقراه وقزّمت مدنه الصغيرة . فقد نمت الحواضر الكبرى بمعدلات فلكية على حساب اقاليمها ، فاختل التوازن سكانيا واقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا بين هذه الحواضر وتلك الاقاليم . واستقطبت الحواضر معظم السكان ، مما شجع البعض ان يصف دولها بانها « دول ـ مدن » او « المدن ـ الدول » .

فقد نمت مدينة الكويت الكبرى مثلا بمعدل سنوي يزيد على ١٣ بالمائة ، لتصبح هى وضواحيها ومدنها التابعة اول مدينة مليونية على جبهة الخليج العربى ، ولتشكل اكثر من ٩٠ بالمائة من اجمالى سكان دولة الكويت . ومدينة الدوحة الكبرى عاصمة دولة قطر هى مثل آخر لهذا الاستقطاب السكاني ، إذ انها نمت بسكانها بمعدل سنوي يقرب من ١٥ بالمائة ليصبح حجمها فى حدود ٢٢٠ الف نسمة فى دولة لا يزيد حجم سكانها على ٢٧٠ الف نسمة ، ولتشكل هى وضواحيها اكثر من ٨٠ بالمائة من سكان دولتها قطر ، ولينتشر ٩٠ بالمائة من سكان هذه الدولة فى دائرة حول مدينة الدوحة نصف قطرها ٢٥ كيلومترا .

وتتكرر هذه الانماط التوزيعية الاستقطابية للسكان فى دول الخليج العربية الاخرى بنسب متفوتة . ففي دولة البحرين ينتشر ما يقرب من ٨٠ بالمائة من سكانها فى دائرة حول المنامة ـ المحرق نصف قطرها ٥ كيلومترات ، وتصبح هذه النسبة اكثر من ٨٥ بالمائة فى منطقة نصف قطرها ٨ كيلومترات . اما فى دولة الامارات العربية المتحدة فان مدن ابو ظبي ودبي والشارقة تستقطب اكثر من ٦٥ بالمائة من اجمالى الحجم السكانى لهذه الدولة البالغ ١٫١٥٠ مليون نسمة بعد ان نمت هذه المدن بسكانها بمعدلات عالية جدا فاقت ٢٠ بالمائة . وبمثل هذه السرعة والاستقطاب نمت المجمعات الحضرية الخليجية الاخرى فى البصرة والدمام ـ الخبر والهفوف ـ المبرز ومسقط ـ مطرح .

فالتوزيع الحضري فى دول الخليج العربية هو توزيع استقطابي . فقد افرطت الحواضر الكبرى بسكانها على حساب المستوطنات الاخرى ، فاختل التوازن الاقليمى فى الانتشار البشري وتوزيع المكاسب والخدمات . انه توزيع تمثل الحواضر الكبرى فيه كل شيء وتترك القليل للريف والبادية ومستوطناتهما . فالحواضر الكبرى تمثل دولها سياسيا واقتصاديا واداريا وعسكريا ، وفيها يحتشد معظم السكان وعناصرهم الشابة الفتية ، وعليها تقوم الدول وتستمد قوتها البشرية . وبسبب انفتاح الخليج على العالم الخارجى اتخذت الصناعة والتجارة والخدمات من هذه الحواضر الكبرى مواقع لفعالياتها واتصالاتها ، مما زاد فى نموها وتوسع عمرانها واحتوائها للحركة الاقتصادية وما يلزم لها من الهياكل الارتكازية . ولأن السلطة السياسية تتمركز فيها فقد اضاف اليها قوة جذب اضافية لتكون مواقع للسفارات الاجنبية والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية والتجارية مما زاد فى تضخمها واحالها قبلة للوافدين اليها من الداخل والخارج ، مما ساعد فى تفريغ الريف والبادية من سكانهما . فالحجم الكبير هنا قد اورث حجما اكبر ، وان السمكة الكبيرة ، أو المدينة









المدن الخليجية بحاجة إلى تخطيط علمي جديد حتى لا تصبح هذه المدن « كل شيء » وما حولها « لا شيء »

الكبيرة قد ابتعلت او تغذت على الاسماك الصغيرة . انه قانون المدينة الاولى فى النمو الحضري ، وليس قاعدة المرتبة ـ الحجم ذات التوزيع الهرمي المدرج المتزن الناضج للمستوطنات البشرية ـ انه الاستقطاب على حساب التوازن الاقليمي .

وهنا نتساءل : هل من الحكمة ان تطغى استراتيجية الاستقطاب فى النمو الحضري ؟ وهل هناك حجم سكانى امثل يتعين ان يتوقف عنده او يتباطأ نمو الحواضر الكبرى ؟ وهل ان استراتيجية التوازن الاقليمي فى التوزيع السكاني والحضري هى بديل مناسب يتواءم مع ظروف وامكانات وبيئات دول الخليج العربية ؟ هذه استفسارات لنا حديث حولها فى هذه المقالة .

ايجابيات وسلبيات الاستقطاب :

ان لاستراتيجية استقطاب السكان فى مدن كبرى ايجابياتها وسلبياتها . فمن ايجابياتها ان فى الحواضر الكبرى تتعدد الوظائف والنشاطات الاقتصادية والخدمية وتتشعب وتتعقد ويتبلور تقسيم العمل ويزداد التخصص ويرتفع مستوى الابتكار، ويؤكد البعض على ان الحواضر الكبرى هي المؤشر لارتفاع الحضارة من تكنولوجيا ومستوى دخل ومعيشة . ففيها تزداد نسب الحرف الثالثة (الخدمات) على الثانية (الحرف التحويليــــة) على الأولى (الاستخراجية) . ان هذه ترجمة لقانونى انجل وكولن كلارك فى العلاقة بين مستوى الحضارة وتطور ميزانية الأسرة بالنسبة للاول، ومستوى الحضارة وواقع الحرف ومستوى المعيشة بالنسبة للثـــاني . وللقانونين علاقة باحجام المدن ، اذ كلما ارتفع الدخل ومستوى المعيشة ، وهــذا ما حدث فى المنطقة الخليجية ، اشتد الاتجاه الى الحواضر الاضخم وارتفعت الانتاجية ومستوى المعيشة ، واصبحت المدن الصغيرة والقرى اعجز عن ان تشبع الحد الأدنى المتزايد من حاجات السكان فتتضاءل اهميتها او تنقرض تاركة المسرح الجغرافي لنمو الحواضر الكبرى تمكيناً لها من توفير الحاجات العليا المتزايدة . فالاحجام الاكبر تقدم فرصاً اكثر للسكان والوظائف ، وانها اكفأ حضاريا واقدر على اجتذاب ما يستجد منها ، بذلك تتداعى الوظائف ويتضخم الحجم باطراد بمعادلة الربح المركب . كما ان الحواضر الكبرى تقوم بدور اخر ، هو دور سياسي عالمي . فهى الواجهة المتطورة لبلادها ، واجهة سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية . وهى رمز العزة والسيادة ، وتعبر عن الكيان الوطني ، وتساعد فى توحيد الأمة ، ومن خلالها تطل الدولة على العالم الخارجى .

ولكن بعد حجم معين ، وهو ما يسمى بأنسب الحجم ، تتحول الايجابيات فى الحواضر الكبرى الى سلبيات . والسلبيات هذه كثيرا



ما اشير الى بعضها فى كتابات الفلاسفة والمؤرخين والاجتماعيين وغيرهم فى القديم والحديث ، وان لم نتفق مع اكثرها . فقد استنكر فلاسفة الاغريق ظاهرة تضخم المدن ، ونظر اليها ابن خلدون على انها عوامل انحلال وانقراض الدول والحضارات ، وتطرف شبنجلر فراى متشائما بانها خربت حضارات التاريخ واصبحت مقابر لها .

واذا تجاوزنا الاراء المتشائمة هذه ونظرنا الى واقع الحواضر الكبرى المعاصرة لظهرت لنا سلبيات من اشكال وانواع وانماط اخر . ففى هذه الحواضر يتعقد الجهاز الحضرى ويختل التوازن بين الوظائف وتزداد كلفة التوسع والصيانة وترتفع اسعار الارض وايجارات المباني وتعم المضاربات العقارية وتختنق حركة النقل وتزداد المسافة بين المنتج والمستهلك وبين المسكن ومكان العمل ، وترتفع اسعار منتجات المدينة والمنتجات الغذائية ، ويتعدد الوسطاء وترتفع تكاليف الخدمات وتزداد مخاطر التلوث .

وهناك سلبيات اخر افرزها استقطاب السكان فى الحواضر الكبرى . فقد استأثرت هذه الحواضر بالموارد المادية والبشرية الوطنية على حساب الاقاليم ، واصبحت قوة جذب للاكثر موهبة وتعليما وطموحا من ابناء الريف والبادية ، واعتمدت عليهم فى تجديد شبابها . وفى سبيل استيعاب هذه الاعداد الوافدة المتزايدة من السكان ورفع مستوى معيشة الآخرين اضطرت الحكومات الى انفاق مبالغ طائلة من المال وصرف جهود كبيرة على الاعمار وتوفير الخدمات وبناء الهياكل الارتكازية . ان مثل هذا النزيف السكاني والعقلي والمادي الداخلي من الريف والبادية يجعل خطط المستقبل لتنميتها اشد صعوبة ، وهو لايختلف عن النزيف العقلي والسكاني والمادي الدولي من البلدان الاقل نموا الى البلدان المتقدمة .

ومن الناحية الادارية فقد افرزت الحواضر الكبرى مشاكل حادة فى مجال تطبيق القانون وملاحقة الجريمة . وان فى هذه الحواضر الكبرى تفقد القيم التقليدية قيمتها وتظهر فيها علائم ازمة الهوية . ولأن الحواضر الخليجية الكبرى اتجهت اتجاها استهلاكيا تعتمد فيه فى كل متطلباتها من الخامات والغذاء على مصادر بعيدة فان زمام اقتصادها ليس فى يدها وانها تقوم على اساس خطر ، ويمكن ان تهوى فى الازمات الاقتصادية او السياسية او الحربية . *

وعلى اساس ماتقدم يعتبر البعض هذا الوزن السكانى المفرط للحواضر الخليجية بانه نمو طفيلي او كما يحلو للبعض تسميته سرطاني . فالحواضر الطفيلية هى ما اعتمدت اساسا فى مصادر قوتها ونموها واستثماراتها على الاقليم المحيط بها ، بحيث تسلب مدنه الصغيرة وقراه امكانات نموها وتفقدها حاجة اقليمها لها ، وتصبح هى ، اى المدن الصغيرة والقرى ، واقاليمها تابعة تستمد وحيها وحياتها وافكارها من الحاضرة المركزية . وهكذا يقع الاقليم ومستوطناته الصغيرة فى حلقة مفرغة . فلا المستوطنات قادرة على رفع مستوى اقليمها لضعفها وعجزها المادى وذبولها الحضارى ، ولا الاقاليم قادرة على بعث وتطوير مستوطناتها الصغيرة بسبب ان فوائضها وطاقاتها المادية والبشرية هى المادة الخام لتطور وعمران الحواضر الكبرى . وهذا هو اساس الاستقطاب فى الحواضر الكبرى واختلال التوازن الاقليمي بين هذه الحواضر والمستوطنات البشرية الأخرى فى الاقاليم .

استراتيجية التوازن الاقليمي

ولكن الصعوبات التى اشير اليها ينبغي ان لا تكون حاجزاً او عائقاً فى سبيل تحقيق الطموح فى خلق التوازن السكانى والحضرى فى منطقة الخليج على المدى البعيد على الأقل . وقد يكون لتحقيق ذلك ، وكما اشار البعض ، وبخاصة الدكتور سعد الدين ابراهيم ، وهو من المهتمين بقضايا التحضر والحضرية ، هو فى تبني ايديولوجية حضرية جديدة لا تقفز فوق الواقع ، وانما تنقد الواقع الراهن وتفحصه وتصهره من اجل خلق واقع جديد وهنا يجب ان ترتكز هذه الاستراتيجية للتوازن الاقليمي على عدة ركائز نشير الى بعضها بما يأتي :

١ ـ انه لحقيقة بان الحواضر الكبرى فى دول الخليج العربية قد وصلت بسكانها الى نسب عالية من اجمالي سكان دولها ، وانها بذلك قد خلقت حالة من عدم التوازن فى التوزيع البشرى . وكمدخل لاستراتيجية جديدة ينبغي أولا ان نوقف نمو هذه الحواضر او نقلل ، على الأقل ، من نسب نموها كخطوة اولى . ويكون السبيل لهذا الغرض هو اتخاذ اجراءات تشريعية او حوافز سلبية تكفل تناقص هجرة الناس الى الحواضر الكبرى ، او قد تشجع البعض من سكانها على الهجرة الى خارجها .

٢ ـ وكخطوة مكملة يتعين ان نخلق فرصا جديدة وحياة مناسبة وبيئة حضارية واجتماعية متكاملة فى مستوطنات خارج الحواضر الكبرى لتكون مراكز استقطاب جديدة للسكان ، سواء كان مصدر هؤلاء السكان من الحواضر الكبيرة ذاتها ، او من الريف والبادية ، او حتى من البلدان الاجنبية ، وبهذه المبادرة تكون قد انطلقت بداية جديدة نحو عهد من التوازن الحضري والاقليمي . وتكون مراكز الاستقطاب الجديدة هذه اما من المستوطنات القائمة فعلا ، او بخلق مستوطنات جديدة باحجام متوسطة فى مواقع ذات اساس اقتصادي يرتكز على الموارد المحلية التي تكفل لها تلك الاحجام ، او بايجاد مدن توابع على مسافات من الحواضر الكبرى ، او قد تعتمد كل هذه الانواع من المستوطنات في ان واحد . وفيما يلي لمحة عن كل نوع من مراكز

الاستقطاب الجديدة :

أ ـ خلق مستوطنات جديدة يكون الهدف الوصول بها الى احجام متوسطة في مناطق تنمية المصادر الطبيعية او في مواقع صناعية . فهنا توجد امكانات اقتصادية تكفل نجاح مثل هذه المستوطنات الجديدة وتحويلها الى مدن متكاملة مزدهرة ، وليست على شكل معسكرات عمل فقط . وبذلك تتوفر فيها امكانات خدمة المناطق المحيطة بها وتوفر لها كافة الخدمات . ولكن الصعوبة في هذه المدن المستقلة والتي تبعد بمسافات عن الحواضر الكبرى انها لا توفر في بداية طريقها الجذب الكافي لليد العاملة حيث يصعب اقناع الافراد باستيطانها او العمل فيها وترك المدن الكبرى . ويمكن تشجيع مثل هذه المدن المتوسطة باقامة الصناعات الجديدة فيها والعمل باللامركزية الادارية . كما يمكن اعطاء هذه المدن أولويات في برامج التنمية الاجتماعية وتنمية المرافق والخدمات ، او على الاقل يكون نصيب الفرد فيها من ميزانية الدولة مساويا لنصيب الفرد في راس المال القومي . وبذلك ستكون هذه المدن مراكز حية تشع تأثيرا ايجابيا على المناطق المحيطة بها ، وبذلك يمكن توصيل الحضرية كاسلوب حياة الى قسم اكبر من السكان عبر هذه المراكز الاقليمية .

ب ـ والى جانب تطوير او بعث المدن المتوسطة ينبغي توجيه اهتمام مساو الى المدن الصغيرة القائمة فعلا لانها تمثل راسمال وبيئة جاهزة . فهناك الكثير من مثل هذه المدن ، ومعظمها مواقع قديمة . وكان اختيار اسلافنا اصلا لاسباب وجيهة ، ولكن الاحداث التاريخية والاقتصادية والسياسية التالية افضت الى اهمالها ، وغالبا الى تدهورها . ويمكن استعادة قيمها التاريخية والثقافية بالحد الادنى من الجهد والنفقات . ولكنه ينبغي ايضا تأمين قدرتها الحيوية الاقتصادية .. بينما تظل المدينة الجديدة خاما وناقصة في وظائفها ومرافقها مدة طويلة قبل ان تنضج . فالمدن القائمة اقتصادية اكثر من المدن الجديدة كنواة للتنمية الاقليمية . وبطبيعة الحال لن تنتخب من المدن الاقليمية الصغيرة لهذا الغرض الا من تتوافر فيها شروط الموقع الجيد اولا والامكانات المادية ثانيا .

ج ـ ويرى البعض انه من الايسر اجتذاب الناس الى خارج الحواضر الكبرى بخلق مدن توابع سكنية منفصلة عن هذه الحواضر انفصالا كافيا ، وبذلك تتحول الحاضرة الكبرى من وحيدة النواة الى عديدة النوى . ويرى اصحاب هذه الاستراتيجية بانه بحكم موقع هذه التوابع من الحواضر الكبرى سيتشجع السكان على استيطانها او الانتقال اليها لانها توفر الاتصال الدائم بتلك الحواضر . هذا فضلا عن انه من اليسير توفير الخدمات الاساسية لهذه التوابع من مصادرها الاساسية في الحواضر . ولكن هناك تخوفات من فشل هذه الاستراتيجية ، وذلك ان المدن التوابع ستكون معتمدة في خدماتها وفرص عملها كليا على الحواضر الكبرى مما يجعلها مستوطنات عديمة الشخصية في خضم التجمع الواسع . وهناك تخوف اخر هو ان مثل هذه التوابع سوف لن تستطيع توفير فرص للعمل للراغبين فيه ، وهذا يجعلها عالة على المجمع الحضري المجاور ويجعلها مزدحمة بحيث تخلق مشاكل اضافية . كما ان رحلة العمل اليومية بينها وبين المدن الكبرى ستكون كثيفة ممايخلق ضغطا اضافيا على مرافق المواصلات وشرايينها الرئيسية .

وهناك ملاحظتان نختتم بهما هذه المقالة وهما :

١ ـ ليس المقصود باستراتيجية التوازن الاقليمي هو بعث وتنمية المستوطنات الاقليمية باحجام متواضعة ، بل لابد لكل اقليم من قاعدة حضارية فعالة لا تتحقق الا بحجم حضري معقول . فتغطية الاقليم بمجاميع من مدن ومستوطنات صغيرة هو اسوا في نظر البعض من الاستقطاب الميتروبوليتاني لانه سيبقي في الاقليم خصائصه الريفية والبدوية .

٢ ـ إن اعادة التوزيع الحضري والسكاني يتطلب توفير ما يجتذب الناس الى المستوطنات الاقليمية . فالصناعة مثلا مغناطيس السكان والهجرة ، ويستدعي تشجيع المدن الاقليمية تقديم كافة التسهيلات لها في تلك المدن . كما ان خبرات المناطق المختلفة قد اكدت ان بناء مستوطنات حول الصناعات الاستراتيجية والتحويلية امر ممكن وعملي . ومن مقتضيات التوازن الاقليمي ايضا ان يعاد توزيع المرافق والمؤسسات بما فيها التعليمية كالجامعات ، ومنح الامتيازات والتسهيلات المادية للقطاعات المنقولة كتعويض عن الصعوبات الحضارية التي تعاني منها المدن الاقليمية المهملة . فمن الممكن ان تنشا المستوطنات الحضرية حول الجامعات ومراكز البحوث ، كما حدث في انشاء جامعة الامارات العربية المتحدة في مدينة العين ،وجامعة قطر خارج مدينة الدوحة . ولسوء الحظ ان هذه المؤسسات الجامعية قد اقيم عدد منها في مراكز حضرية كبيرة ، وكان يمكن استخدام هذا الرصيد في تنمية مناطق فتحت حديثا . فهي اذا انشئت في مناطق فارغة خارج المدن الكبيرة لن تؤدي وحسب الى جذب الاف من الناس ، بل انها يمكن ايضا ان تصلح كجماعات نموذجية لتجارب هامة في التغيير الاجتماعي . كما يمكن تطوير بعض المستوطنات الحضرية كمواقع سياحية على شواطىء الخليج او في المناطق الاثرية والتاريخية . وقد تضطرنا الاوضاع السياسية ان نسعى لقهر الصحراء التي تفصل بمسافاتها الشاسعة بين الدول العربية الخليجية ومدنها الكبرى باقامة الجسور الانسانية والمستوطنات البشرية التي توصل بين مجتمعات وابناء هذه الدول . والحكمة التي ننهي بها هذه المقالة هي : ان الارض غير المستوطنة هي ارض لا صاحب لها .

حسن الخياط
جامعة قطر

بنيامين غور آرييه :
فيلسوف "اليد القوية" ضد عرب ١٩٤٨


بنيامين غور ارييه



بقلم: عصام شريح

بنيامين غور ارييه ، مستشار رئيس حكومة العدو للشؤون العربية ، هو احد المنظرين الفاشيين العنصريين لسياسة « اليد القوية » او « القبضة الفولاذية » ، التى اصبحت نهجا ثابتا فى ممارسات الحكومات الصهيونية المتعاقبة ، ضد عرب ١٩٤٨ ، وهذه السياسة هى باختصار سياسة القمع الشامل ضد العرب ، سياسيا وثقافيا واقتصاديا .. لكن .. على الرغم من القسوة والوحشية التى تتصف بها هذه السياسة ، فانها تقف شبه عاجزة ، عن مواجهة تيار الوعي الوطني والقومي المتدفق بين صفوف عرب ١٩٤٨ .. ومع ذلك فان آراء بنيامين غور ارييه ، تبقى مؤشرا رئيسيا على « سياسة اليد القوية » الصهيونية ، وعلى الاتجاه العام للفكر الصهيوني ، الذى هو بالضرورة فكر ارهابي المنحى ، عنصرى النزعة .

ارييه والحركات الوطنية

يقول ارييه ان نشاط الوطنيين العرب (عرب ١٩٤٨) ضد الكيان الاسرائيلي ، قد تجاوز ما يسميه هو « بالخط الاحمر » ، اى ان مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، ينبه إلى ان عرب ١٩٤٨ ، قد نهضوا فعلا بعد سبات امتد لبعض الوقت وان « الحلبة السياسية فى القطاع العربى تمخضت خلال السنوات الاخيرة ، عن تيارات وطنية جديدة ، كما ان الولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية لدى العرب هؤلاء ، قد تجاوز منذ وقت طويل المجال السياسي ، ووصل الى درجة القيام بنشاطات فدائية ضد اسرائيل » . ويستشهد ارييه على ذلك بالاشارة الى ان القوات الاسرائيلية ، القت القبض منذ عام ١٩٦٧ ، على حوالى ١٦٠٠ عربى ، بتهمة القيام بنشاطات فدائية ، كما ان خمس عشرة مدينة وقرية عربية من اصل مائة وخمس عشرة مدينة وقرية ، قام سكانها « باعمال شغب » ، اسفرت عن شل الخدمات الحيوية فى منطقة الجليل ، وعن عزل بعض المستوطنات اليهودية فى هذه المنطقة ، بعد ان قام متظاهرون باغلاق الطرق الرئيسية ، بمناسبة « يوم الأرض » .

وبالطبع فان ارييه يتجاهل تماما المشاعر الوطنية لعرب ١٩٤٨ ، ويحاول تقزيم عملية النهوض الوطني لهؤلاء العرب وذلك بالحديث عن تيارات عربية تتراوح ما بين التطرف والاعتدال ، وكلها تعمل على زعزعة اعمدة الكيان الصهيوني ، واهمها الامن والاستقرار ، ويصنف ارييه الحركات العربية الوطنية داخل فلسطين المحتلة بما يلي :

١ ـ الحركات المتطرفة : وهى تضم فئتين هما : « حركة ابناء البلد » ، و « الحركة الوطنية التقدمية » . اما « حركة ابناء البلد » ، فهى فى الواقع امتداد « لمنظمة الارض » ، التى ظهرت بين عرب الجليل فى الخمسينات ، وكان الشاعر محمود درويش من مؤسسيها ، وقد استفادت « حركة ابناء البلد » من تجربة « منظمة الارض » ، حيث انها تلتزم جانب الحذر ، وتنتهج اسلوبا يتسم بالمرونة

● نشاط عرب ١٩٤٨ ضد الكيان الاسرائيلي قد تجاوز الخط الأحمر!

● "أبناء البلد" و"الحركة الوطنية" ظاهرتان جديدتان بين أبناء ١٩٤٨

احيانا ، دون التنازل عن المبادىء ، وذلك لتجنيب الحركة مصير « منظمة الارض » ، التى حلتها سلطات العدو ، وحظرت اى نشاط لها ، بحجة تجاوزها ما تسميه هذه السلطات « بالخط الاحمر » . ويقول اريبه بهذا الصدد : « ان اعضاء حركة ابناء البلد الذين تعلموا من التجارب السابقة ، يبدون حذراً ، ولا يشدون الحبل اكثر من اللازم » ، بيد ان المستشار سرعان ما يرفض هذا الحذر ، ليعلن ان الحركة ، كما تبدو فى بياناتها ، هى حركة خطيرة ، تستهدف « ازالة اسرائيل ، واقامة دولة علمانية ، فوق جميع الاراضي الفلسطينية » . ومن الواضح ان « حركة ابناء البلد » تستقطب الراى العام لدى عرب ١٩٤٨ ، بدليل ان اريبه يقول انه لا يستطيع تحديد عدد اعضاء الحركة بالضبط ، ويضيف : « يبدو لي ان رؤساء الحركة انفسهم لا يعرفون عدد أعضاء حركتهم » . ولان الحركة لها هذا الاستقطاب الواسع المدى بين جماهير عرب ١٩٤٨ ، فان مستشار رئيس الحكومة يتهم اعضاءها بانتهاج سياسة غاية فى التطرف ، ويقول : « ان اعضاء حركة ابناء البلد يحاولون جر حزب راكاح الى مثل هذا الخط السياسي ، وشعارهم هو : ان الطريق الوحيد السليم والكفيل بالقضاء على اسرائيل واعادة الحقوق الى اصحابها ، انما هو الطريق العسكرى » .

اما عن الحركة « المتطرفة » الثانية « الحركة الوطنية التقدمية » فيصفها غور اريبه بانها اشد تطرفا من حركة ابناء البلد خاصة وان نشاطها يتركز فى الجامعات ، وان اعضاءها هم فى الغالب ، طلبة جامعيون او خريجو جامعات ، اى ان اريبه يريد القول بان «الحركة الوطنية التقدمية» تمتاز عن « حركة ابناء البلد » بالاسس النظرية الواضحة ، والاهداف المحددة ، ومع ان المستشار لا يفرق كثيراً بين الحركتين ، الا انه يسير الى فارق واحد مهم ، وهو ان الحركة الوطنية التقدمية ، تؤمن بالعمل والممارسة ، وليس بالتنظير فقط ، ويقول فى هذا الشان : « ان الحركة الوطنية التقدمية ، تتهم حركة ابناء البلد ، بانها تتكلم فقط ، بينما هى (اى الحركة الوطنية) ، تسعى الى الوصول الى اهدافها عن طريق الممارسة » . ولتبرير سياسة القمع ضد اعضاء الحركة الوطنية يتهم اريبه سبعة من الاعضاء بالسفر الى اسبانيا ، للاتصال مع اعضاء فى منظمات فلسطينية فدائية ، وبالفعل ، فان هؤلاء قاموا بعمليتين فدائيتين بعد عودتهم الى فلسطين المحتلة ، ويعترف اريبه بانه تم القاء القبض عليهم كما صدرت ضدهم احكام بالسجن لفترات مختلفة .

والى جانب هاتين الحركتين ، يشير مستشار رئيس حكومة العدو للشؤون العربية ، الى تنظيم ديني ، كان قد تاسس قبل اربع سنوات ، ويؤمن هذا التنظيم بان الجهاد هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

٢ ـ المعتدلون : يقول اريبه فى وصفه « لتيار الاعتدال » المزعوم بين عرب ١٩٤٨ ان اعضاءه هم من « الاكثرية الصامتة » ، وان هؤلاء يحاولون الحفاظ على موقف « معتدل » ، وعدم الانجراف الى تيار « التطرف » !! ، ومن الواضح هذا ان المستشار يحاول استخدام سياسة الجزرة فى تحذير العرب من القيام باي نشاط فعلى ضد الكيان الصهيونى ، ويشير الى ان حكومته نبهت « المعتدلين » من ان « تيار التطرف » سوف يقود الى مواجهة بين « الاقلية العربية » ، والاكثرية اليهودية ، وهى مواجهة معروفة النتائج سلفا .

اريبه وسياسة القوة

ومما لاشك فيه ، ان اريبه يعتبر من اشد الساسة فى الكيان الصهيونى عداء للعرب خاصة وانه يهودى شرقي فى الاصل ومما لاشك فيه ايضا ، ان اريبه لا يفوت فرصة ، دون ان يؤجج حملات التحريض ، ضد عرب ١٩٤٨ ، فقد قال بعد مسيرات الحداد التى قام بها عرب الجليل والمثلث على ضحايا مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين فى بيروت ، قال : « ان من الضرورى الضرب على ايدي « المتطرفين » فى الشارع العربى ، بيد من حديد » ، زاعما بان هذه المسيرات حملت طابعاً من التطرف لا يمكن التغاضي عنه !

وغور اريبه الشهير بعبارته « ان العرب لا يحترمون غير القوة » ، يهدد الجماهير العربية فى الارض المحتلة بقوله : « اذا تحولتم الى اعداء لنا ، فلسوف نشن عليكم حربا شعواء ، تماما مثلما نفعل فى ميادين القتال » .

وانطلاقا من سياسة التهديد والوعيد هذه ، يقود اريبه الحملة الهادفة الى خنق

بنيامين غور آرييه: فيلسوف "اليد القوية" ضد عرب ١٩٤٨

النهوض الوطني والقومي لعرب فلسطين ، من خلال القرارات المتواصلة التى تصدرها حكومة العدو ، بناء على مشورته ، ففى عام ١٩٧٥ ، تشكلت « اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية (البلدية) العربية » ، لكن المستشار عرقل باستمرار عقد اجتماعات لهذه اللجنة ، بحجة « ان كل نشاط فى الوسط العربى ، يعتبر عملا متطرفا » .

واستنادا الى نصائح ارييه ، منعت سلطات العدو عقد « مؤتمر الجماهير العربية » فى مدينة الناصرة ، واعتبرته عملا خارجا على القانون ، وقد عقب « توفيق طوبي » على هذا القرار بقوله : « ان منع عقد المؤتمر فى ١ ـ ١٢ ـ ١٩٨٠ ، هو اجراء خطير ، يمس حرية التعبير والتنظيم ، حيث قامت السلطات لاول مرة ، باستخدام نصوص قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ ، والذى كان معمولا به فى زمن الانتداب البريطانى » .

وبناء على نصيحة من المستشار ارييه ، أصدر رئيس حكومة العدو السابق مناحيم بيغن ، قرارا بتاريخ ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٨١ ، يقضي باعتبار « لجنة التنسيق العربية » لجنة خارجة على القانون ، وقد منعت هذه اللجنة من عقد اى اجتماع ، لأن ارييه اتهمها بانها مرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن الواضح هنا ان من السهل جدا توجيه تهمة من هذا النوع لأى نشاط يقوم به عرب ١٩٤٨ ، ويذكـــر ان « لجنة التنسيق العربية » التى شكلت بتاريخ ٢١ ـ ٢ ـ ١٩٨١ ، تضـــم فى عضويتها كلا من « حركة ابنـــاء البلد » و « الحركة الوطنية التقدمية » ، ورابطة تخليد تراث الشاعر راشد حسين ، ورابطة النهضة . وبتوجيه من ارييه ايضا ، عارضت حكومة العدو ، تشكيل « لجنـة المتابعة العربية » التى ضمت رؤســاء المجالس المحلية « والاعضاء العرب فى الكنيست » ، وقد زعم ارييه ان هذه اللجنة خاضعة لسيطرة حزب « راكح » . وقال : « انه لا مكان في اسرائيل ابدا لمثل هذه اللجنة » . وحتى الطلاب العرب ، منعوا من استخدام قاعات الجامعة ، لممارسة نشاطات ثقافية واجتماعية تحت زعم ان الطلاب العرب متطرفون .

ويمكن القول ان سياسة اليد القوية التي يتبناها قادة الكيان الصهيوني ، والتي غالبا ما تكون تكتيكاتها من توجيهات ونصائح بنيامين غور ارييه ، انما تتمثل ، باستخدام سياسة « العصا » غالبا ، و « الجزرة » احيانا ، اي باستخدام القمع والارهاب غالبا ، واستخدم المرونة احدانا ، كما ان غور ارييه هو مصمم الاعيب المكر والخداع ، بين المنظمات والحركات الوطنية العربية ، من اجل اضعافها ، والتمهيد للقضاء عليها عندما تسنح الفرصة المناسبة .

عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧

يولي غور ارييه اهتماما فائقا لما يسميه « بصحوة عرب ١٩٤٨ » ، ويعزو هذه الصحوة في مجملها ، الى الاتصال الذي حدث بين عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ ، في اعقاب حرب الخامس من حزيران (يونيو) ويشرح ارييه هذه المسالة على الوجه التالي :

ان التحول السياسي الاول لدى عرب ١٩٤٨ ، انما حدث في عام ١٩٥٩ مع تاسيس منظمة الارض ، فقد تحدث العديد من الاكاديميين العرب اعضاء هذه المنظمة تحـدثوا انذاك ، عن ضم منطقة الجليل لسوريا ، وضم منطقة المثلث للاردن ، وعن القضاء على اسرائيل . وازاء تفاقم خطر هذه المنظمة « المتطرفة » ، سارعت الحكومة الاسرائيلية الى حل منظمة الارض ، وفرضت حظرا على نشاطاتها ، بيد ان الافكار والمواقف الوطنية ، لدى ذلك الجيل الأكاديمي العربي ، اخذت بالانتشار في شتى انحاء فلسطين ، وكان كلما ازداد عدد الاكاديميين والمثقفين ، كلما تعمقت الافكار الوطنية والقومية بينهم .

لكن التحول الجذري لدى عرب ١٩٤٨ ، انما حدث في اعقاب حرب حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، فقد ادت اللقاءات والاتصالات مع اخوانهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد انقطاع دام تسعة عشر عاما ، الى الهاب مشاعرهم الوطنية ، علما بان عرب ١٩٤٨ ، كانوا « يفاخرون » قبل ذلك ، بانهم « يعيشون في ظل الحضارة والتقدم والانتعاش الاقتصادي .. » ، إلا انهم راوا في عرب ١٩٦٧ ، ما راوه في انفسهم في عام ١٩٤٨ ، اي خاضعين للاحتلال ومضطهدين ، ويتعرضون لخطر الطرد والابعاد عن ارضهم ، ويكابدون من الظلم والدكتاتورية العسكرية ، بيد انهم راوهم ، على الرغم من ذلك ، مرفوعي الرؤوس ، ووطنيين متحررين من القيود العديدة المفروضة على عرب ١٩٤٨ .

ثم يضيف ارييه ، انه في مقابل هذه الصحوة لعرب ١٩٤٨ ، فانه كانت هناك هزيمة حرب عام ١٩٦٧ ، ويقول انه سمع العديد من عرب ١٩٤٨ ، يتساءلون : كيف السبيل الى انزال هزيمة باسرائيل ؟ !! .. كيف السبيل الى تحقيق انتصار عربي ؟ !! ويشير المستشار الى انه ، وعلى الرغم من هذه التساؤلات الحائرة ، فان المنظمات

الفدائية الفلسطينية ، تمكنت خلال الفترة ما بين حرب عام ١٩٦٧ ، وحرب عام ١٩٧٣ من تجنيد ثلاثمائة وعشرين شخصاً من عرب ١٩٤٨ ، في صفوفها ، وقد نفذ هؤلاء بالفعل عمليات فدائية في مختلف انحاء الكيان الصهيوني ، وخاصة في المنطقة الشمالية .

وفي الواقع فان الحيرة والاحباط اللذين عانى منهما عرب ١٩٤٨ كثيراً نتيجة لهزيمة حرب حزيران (يونيو) ، لم يطولا كثيراً ، إذ بعد ست سنوات فقط ، اي في حرب تشرين الأول (اكتوبر) لعام ١٩٧٣ ، انهارت أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، ويقول اربيه في ذلك : ان حرب اكتوبر ، كما هو معروف الحقت ضرراً كبيراً بسمعة الجيش الاسرائيلي ، وبالتحديد بصفة الردع التي كان يتميز بها الجيش . فالجيش الذي لا يقهر ، تعرض لهزيمـــة عسكرية ، وهذه الهزيمة شجعت عرب ١٩٤٨ ، على الاستهتار بالجيش الاسرائيلي وبقوة اسرائيل ، بل ان كثيرين من هؤلاء العرب اخذوا يفاخرون ، بان الجندي العربي ، لا يقل كفاءة وقوة عن الجندي الاسرائيلي ، ويقولون : ها هو الجيش الذي لا يقهر ، قد هزم اخيراً ...

التكاثر الطبيعي

ومن الامور التي يتحدث عنها بنيامين غور اربيه بمرارة ، مسالة التكاثر الطبيعي بين عرب ١٩٤٨ ، فهو يقول ان عدد عرب ١٩٤٨ ، كان قبل خمسة وثلاثين عاما ١٦٥ الف نسمة ، اما الان ، فقد ارتفع عددهم الى حوالي سبعمائة الف نسمة ، او يزيد ، ومن المتوقع ان يبلغ هذا العدد في عام ١٩٩٥ ، حوالي مليون نسمة .

ومما يقض احلام المستشار ايضاً ، ان حوالي مائتي الف طالب من عرب ١٩٤٨ ، اي حوالي ثلث عددهم ، يجلسون الان على مقاعد الدراسة في المراحل التعليمية المختلفة ، ابتداء من رياض الأطفال ، وانتهاء بمعاهد المعلمين ، هذا بالاضافة الى ثلاثة الاف طالب عربي ، يتلقون دراستهم العليا في الجامعات ، وبعضهم يدرس للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراة .

وازاء واقع التكاثر الطبيعي بين عرب ١٩٤٨ ، ينصح اربيه ، باتباع سياسة تعتمد على رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للعرب ، اعتقاداً منه ، بان نسبة التكاثر الطبيعي هذه ستنخفض في حال تقدم الاوضاع الاقتصادية والثقافية لعرب ١٩٤٨ ، خاصة وان الاحصاءات المتوفرة لديه ، تشير الى ان عدد العرب يتضاعف كل ١٧ سنة ، في حين يتضاعف عدد اليهود كل ٣٤ سنة .

الجري وراء الوهم

ان القشرة الحضارية « الرقيقة » التي يحاول عن طريقها مستشار رئيس حكومة العدو للشئون العربية تغطية افكاره الفاشية والارهابية ، لن تخدع احداً ، وخاصة عرب ١٩٤٨ ، الذين يعرفون تخبط المستشار ، وهو يعرض «افكاره الحضارية» عن انتهاج سياسة رفع المستوى الثقافي والاقتصادي للعرب ، من اجل إزاحة الخطر الديمغرافي الذي يحملون في طياتهم ، إذ ان اربيه نفسه هو الذي اعرب عن هلعه من ازدياد عدد المثقفين والاكاديميين بين عرب ١٩٤٨ ، وهو القائل : « انه كلما ازداد عدد هولاء ، كلما تعمقت الافكار الوطنية فيما بينهم » .

وعلى ايـة حـــال ، فان المستشـــار الصهيوني ، لا يستطيع التحول من ارهابي وداعية للعنف ضد العرب ، ومعتنق لسياسة اليد القوية ، الى مبشر بالحضارة ، والذئب سيبقى ذئبا ، ولو تخفّى بجلد خروف .

عصام شريح

من هو :

بنيامين غور اربيه - من مواليد ١٩٢٨ فى العراق ، بدا نشاطه الصهيونى عندما كان عمره سبعة عشر عاما ، حيث انضم الى تنظيم صهيونى سرى فى العراق ، وهاجر الى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٤٨ ، وقاتل فى صفوف عصابة الهاغاناه ، التى تحولت بعد الهزيمة العربية فى تلك الحرب ، الى ما يسمى اليوم بالجيش الاسرائيلى . بعد الحرب عمل بنيامين غور اربيه فى جهـــاز الاستخبارات الصهيونى ، حيث ركز جهده على النشاطات والمهام السرية ، وترك الجهاز فى عام ١٩٧٤ ، وكان برتبة مقدم ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ، انضم الى جهاز رئيس الحكومة للشؤون العربية ، متطلعا الى شغل منصب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، لكنه اضطر للانتظار خمس سنوات قبل ان يصل الى هذا المنصب فعلا فى عام ١٩٧٩ ، حيث شغله خلال تلك الفترة على التوالى كل من شموئيل طوليدانو والدكتور موشي شارون .

توزيع عرب ١٩٤٨ كما كان عليه فى نهاية ١٩٨٠

(١١٥ مدينة وقرية عربية)

الجليل والشمال (اللواء الشمالى ولواء حيفا)	٣٢٩،٤٠٠ نسمة
المثلث (منطقة الخضيرة وشارون وبتح تكيفا)	١١٨،٠٠٠
النقب الشمالي (اللواء الجنوبى)	٤٩،٨٠٠
القدس (وشرقي القدس وقرى ابو غوش وبيت صفافا وعين رفات وعين نقوبـا)	١١٨،٤٠٠
اللد والرمله	١٢،٣٠٠
يافا	١٠،٣٠٠
المجموع	٦٣٨،٢٠٠

تحيّة لمجمع اللغة العربية
وتهنئة بعيده الذهبي

شعر: الدكتور عبدالله الطيب

مضى على مجمع الضا   د نصف قرن فحيّوا
خمسون عاماً تصرّمـــــــن وهو بعدُ صبيُّ
يقول إنّي بدأت الـــــمسير نعم المضيُّ
إنّ التخلّف عارٌ   إذا العقولُ المطيُّ
خمسون عاماً تصرّمــــن سيرها جُلذيُّ (١)
أحيا الفصيحة فيهنّ   جهدهُ المرضيُّ
وقد أطلّ على النيـــــل عيدهُ الذهبيُّ
وغاب عنه رجالٌ   ما الدمع فيهم عصيُّ
وللمنايا سهامٌ   ترمي ونحن الرميُّ
كانوا نجوماً هداةً   إذ ليلنا مثنا بغيُّ
لمّا نعوا لي أنيساً   كم حزّ ذاك النعيُّ (٢)
همى عليهم سحابٌ   من رحمةٍ سرمديُّ

بالضاد تعتزّ مصرُ   وشعبها العربيُّ
ولن يزال بمصرٍ   للضاد حزبٌ وفيُّ
وللحنيفة ركنٌ   في أرض مصر قويُّ
والنيل من جنّة الخُلـــــد ماؤهُ الكوثريُّ

قد هيّج الشعر هذا اللـــــقاء وهو حريُّ
إذ هزّ أعماق نفسي   مجالهُ الفكريُّ
والشعر والفكر صنوا   ن قد قضى الطائيُّ (٣)
وصاحبي من بني الجـــنّ مسلمٌ سُنّيُّ
تلا بحرف اليزيدي   ما روى الدوريُّ (٤)
والأربعين حديثاً   ومذهبٌ مالكيُّ
وسالكٌ بجنيدٍ   وعقدهُ أشعريُّ

وفي السياسة عندي   طريقهُ مرجئيُّ
وقد يشارك في النقـــــد وهو تخليليُّ
ولم يغب عنه في النقـــــد مذهبٌ بنيويُّ
نعم الرئيُّ وما ذمّ في القريض الرئيُّ

قد أحسن ابن خميسٍ   وبهجت الأثريُّ (٦)
وعاد مذكور روحٌ   من الحماس فتيُّ
أعان ذلك بيانٌ   صلتٌ وقلبٌ ذكيُّ
كما يقول ويشفي   بقوله مهديُّ
وما الخليل العلائيّ   نجل هارون سيُّ (٧)
وكم أفاد علوماً   تحقيقهُ العلميُّ
والمجمعيّون كلٌّ   بحّاثةٌ ألمعيُّ
وآخذ بسبيلٍ   بها يتمّ الرقيُّ
وفي ربوع المعالي   لهم أثاثٌ ورئيُّ

وابن خميسٍ قوافيـــــه جرسهنّ شجيُّ
ثمّ المعاني الرشيقا   ت لفظهنّ سويُّ
يشدّ لطف الحجازيّ   أسرهُ النجديُّ
رقيقهُ حضريُّ   وجزلهُ بدويُّ
والشيخ من منبع الشعـــــر غارفٌ وغذيُّ

وبهجت أبهج القلـــــب نسجهُ اليشكريُّ (٨)
يمدّه النفس الحُـــرّ والفؤاد الجريُّ
قد اطمأنّت قوافيـــــه وائتلأب الرويُّ
أمّا المعاني فقد شـــــع نورهنّ السنيُّ

وَأَعْجَبَ النَّاسَ صِدْقٌ   فِيهَا وَقَصْدٌ جَلِيُّ
وَرَنَّةٌ مِنْ مُجِيدٍ   قَصِيدُهُ مَرْوِيُّ
شَيْخٌ جَهِيرٌ مُنِيرٌ   مُوَفَّقٌ أَرْيَحِيُّ
وَمَا تَشَكَّى الثَّمَانِينَ إِذْ شَكَا الْمُزَنِيُّ [9]
فَزَادَهُ اللهُ عُمْرًا   يَزْدَادُ وَهْوَ هَنِيُّ
مَا انْفَكَّ يُعْطِي الْعَطَاءَ الْكَثِيرَ وَهْوَ السَّخِيُّ

وَمِنْ أَحَذِّ الْأَعَارِيضِ مُضْمَرٌ رَائِيُّ [10]
حَيَّا بِهِ مَجْمَعَ الضَّا   دِ خَاطِرٌ رَافِدِيُّ
شِمْنَا بِهِ بَارِقَ الشِّعْرِ لَاحَ مِنْهُ حَبِيُّ *
فَالسَّامَرَائِيُّ وَبْلٌ   بِهِ وَسَيْلٌ أَتِيُّ [11]
وَفَوْقَ حَزْنِ الْمَعَانِي   رَوْضٌ وَقَطْفٌ جَنِيُّ

فَقُلْ لِمَنْ عِنْدَهُ الْوَزْ   نُ مَذْهَبٌ رَجْعِيُّ
دَعِ الْمُحَاكَاةَ وَاعْلَمْ   أَنَّ الْمُحَاكَاةَ عِيُّ
وَسِنْخُهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ كُلُّهُ أَجْنَبِيُّ
إِنِ اسْتُجِيدَ لَدَى الْقَوْ   مِ فَهْوَ فِينَا زَرِيُّ
هُوَ الصَّدَى، وَزْنُ ذَا الشِّعْرِ طَيْرُنَا الْمَحْكِيُّ
الْوَزْنُ شَيْءٌ أَصِيلٌ   وَعُمْقُهُ جِذْرِيُّ
وَالْجَاحِظُ الْفَحْلُ سَمَّا   هُ مُعْجِزًا يَا أُخَيُّ [12]

لَيْسَ كَشَيْءٍ سَمِعْنَا   هُ قِيلَ تَفْعِيلِيُّ
مِنْ قَبْلُ حَاوَلْنَاهُ   إِذِ الشَّبَابُ غَوِيُّ
نَعُدُّهُ تَجْدِيدًا   إِذِ الْجَدِيدُ شَهِيُّ
وَكَانَ مِنَّا عَلَيْهِ   تَوَفُّرٌ جِدِّيُّ
ثُمَّ تَرَكْنَاهُ لَمَّا اسْتَبَانَ مِنْهُ الْخَفِيُّ
إِذْ لَمْ نَجِدْ فِيهِ رُوحَ الشِّعْرِ الَّذِي هُوَ حَيُّ
وَصَحَّ حَقًّا لَدَيْنَا   فَرَاغُهُ الْفَنِّيُّ
وَرُبَّ قَوْمٍ طَبَاهُمْ   شِعَارُهُ الْبَهْرَجِيُّ
إِنَّا رَفَضْنَاهُ؛ إِنَّا   أَبَاهُ مِنَّا الْأَبِيُّ

هَاجَ الْفُؤَادَ خَيَالٌ   وَافَى وَأَهْدَتْهُ مَيُّ
حَسْنَاءُ هَامَ فُؤَادِي   بِهَا وَشَرْخِي طَرِيُّ
إِنَّ الْجَزَالَةَ عِنْدِي   هِيَ الْبَيَانُ النَّقِيُّ
وَحُبُّهَا فِي فُؤَادِي   هُوَ الْهَوَى الْعُذْرِيُّ
فَحَيِّهَا حِينَ حَيَّا   كَ وَشْيُهَا الْعَبْقَرِيُّ

عَبْدُ الْغَنِيِّ وَبِالْفَضْلِ إِنَّهُ لَغَنِيُّ [13]
أَشَادَ بِي فَجَزَاهُ اللهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيُّ
خَيْرَ الْجَزَاءِ وَعِنْدِي   لَهُ الثَّنَاءُ الزَّكِيُّ
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ   وَكُلُّكُمْ بِي حَفِيُّ

هوامش

(١) الجلذي بضم الجيم وسكون اللام : اي سيره الشديد .
(٢) هو الدكتور ابراهيم انيس عضو المجمع رحمه الله .
(٣) الطائي هو ابو تمام وقال فى الشعر ولكذه صوب العقول . وقال خذها ابنة الفكر .

(٤) يحيى اليزيدى عن ابى عمرو بن العلاء احد القراء السبعة والدورى احد الرواة عن اليزيدى واهل بلدنا يقرئون برواية الدورى عن ابى عمرو ومن بعد اشارة الى قول ابن عاشر فى عقد الاشعرى وفقه مالك وفى طريقة الجنيد السالك .
(٥) ولك ان تقول . مذهب بنيوي . .
(٦) كان هذا اول بيت فى القصيدة حركه فى النفس سماع قصيدتي عضوي المجمع الاستاذ محمد بهجت الاثرى والاستاذ عبد الله بن خميس ثم توالت الابيات .
(٧) خل العلائى اشارة الى قول ابى العلاء فى سقط الزند : اهدي السلام الى عبد الله الخ والمراد الاشارة الى اسم الدكتور عبد السلام هرون . امين المجمع .
(٨) اليشكري صاحب المعلقة وقصيدة الاثرى همزية من الخفيف .
(٩) المزني هو زهير بن ابى سلمى وقوله معروف .
(١٠) الأحذ المضمر مجزوء من بحر الكامل . وبه جاءت قصيدة الدكتور ابراهيم السامرائى وقافيتها راء مضمومة .
(١١) السامرائى هنا بتخفيف الراء المراد الدكتور ابراهيم السامرائى عضو المجمع .
(١٢) قال هذا الجاحظ فى اوائل كتاب الحيوان .
(١٣) هو الاستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع والفى كلمة عن شعراء المجمع .
* حبى اى سحاب ثقيل دان من الأرض كانه يحبو .

الماسونية..

مؤامرة على الفكر الإنساني وعلى العرب والمسلمين بصورة خاصة

بقلم : فتحي رضوان

لا اظن ان التاريخ الانسانى عرف احجية من احاجيه ، او لغزا من الغازه ، كلغز او احجية الماسونية . فالماسونية ظاهرة قديمة ، اولا ، ثم منتشرة فى انحاء المعمورة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، تراها فى بلاد تؤمن بالمسيحية ، وبلاد اسلامية وبلاد لا تؤمن بدين سماوى ، كاليابان . وهى على الرغم من انتشارها وقدمها ، وكثرة الكتب التى كتبت عنها ، فهى قائمة ، مستقرة ، تلغى وجودها دولة كما فعلت المانيا الهتلرية ، ولكنها فى الجملة ، تعيش — فى الاغلب الاعم — فى دعة واستقرار ، والاعضاء المنضمون إليها يزدادون . ولا احد يعرف ماذا تريد هذه المنظمة ، وماذا حققت من اهدافها المعلنة ، او من اهدافها المنسوبة اليها والتى تبلغ اسوا ما انتوته واضمرته جماعات الشر ، وعصابات الأذى .

وما من كتاب تقرؤه عن الماسونية حتى ترى فى الصفحات الأولى من ذلك الكتاب ، كلاما صريحا خلاصته :انه لا احد يعرف شيئا على وجه التحديد ، من التاريخ القديم لهذه المنظمة ، حتى ان بعض الكتاب يعتبر ان بداية تاريخها تعود الى النبى موسى عليه السلام ، فى فترة تيه اليهود فى سيناء .

ومن الطريف انه ضمن اوراق المحفل المصرى — والمحفل هو الفرع الماسوني فى بلد من البلاد — نشرة رقم (١) ، وتحمل فى الوقت نفسه تاريخا هو سنة ٥٩٥٦ ، وهى عند اهل العلم الماسونى ، ترجع الى اربعين قرنا قبل ميلاد المسيح .

وما دام انه ليس ثمة علم محقق فى هذه النقطة ، نقطة ميلاد الماسونية ، فإن القول باى شيء جائز ، ومن ذلك فانت تقرا فى بعض الكتب ان المؤسس الاول للماسونية هو والى القدس فى عهد السيد المسيح ، اى هيرودس الثانى ، وقد اسس مع مستشاريه اليهود جمعية سرية اسمها « القوة الخفية » كان هدفها مقاومة دعوة السيد المسيح لانه كان يبشر بزوال هيكل سليمان . وقد عقد هذا المجلس اولى جلساته فى العاشر من اغسطس سنة ٤٣ ميلادية ، وتعاهدوا على ان يكون عملهم سرا لا يطلع عليه احد ، وقد اطلقت هذه الجماعة على هيكلها ، الذى اقامته لنفسها، اسم « كوكب الشرق الاعظم » ومن هذا نشات الهياكل فى فلسطين اولا ، ثم فى بقية العالم بعد ذلك .

وشرعت تلك الجماعة فى تنفيذ غرضها بهمة لا تعرف الكلل ، فجاست فى فلسطين تبحث عن اتباع المسيح المتسمين بالحمية والنشاط ، فتقتلهم ، والسلطة تعلم وتسكت بل تعلم وتوافق ، ثم اتسع نطاق المطاردة ، حتى خرجت عن نطاق فلسطين ، ولاحقت اتباع الدين الجديد ، والمؤمنين بالنبى الجديد . ويقال ان من اكبر ضحاياها القديس بطرس ، مؤسس كنيسة روما .. والذى يقال بان نيرون امبراطور روما ، هو الذى امر بقتله ، تحت تاثير زوجته اليهودية « بو بايا » .

الماسونية فى العصور الحديثة

ويقول الاستاذان محمد صفوت السقا امينى ، وسعدى ابو حبيب فى كتابهما القيم عن « الماسونية » ، ان بين العلماء من يرجع تاريخ بداية الماسونية الى العصور الحديثة ، ويدللون على رايهم بان وثائق التاريخ الاوروبى الحديثة خلت من اية إشارة الى الماسونية ، وان الاشارة الاولى فى ذلك التاريخ جاءت سنة ١٣٧٦ حينما انتخب عضو لمجلس العموم البريطانى من الماسون لمقعد فى هذا المجلس . فى حين ان اول محفل ماسونى علنى انشيء فى بريطانيا سنة ١٧١٧ واسمه المحفل المتحد العظيم ، وهو محفل لا يزال قائما ، وله مجلة دورية تصدر بانتظام .

ويقول الاستاذان مؤلفا الكتاب عن الدكتور محمد على الزغبى ان المؤتمر الاول للماسون انعقد برئاسة جيمس اندرسون فى لندن سنة ١٧١٧ ، اما جيمس اندرسون فقد ولد سنة ١٦٨٠ وتوفى سنة ١٧٣٩ ، والف اقدم كتاب فى الماسونية باســـم (القوانين) سنة ١٧٢٣ ، ويقال ان



صورة نادرة للاجتماعات التى كانت تتم داخل المحفل الماسونى فى القاهرة سنة ١٩٣٠ ، وقد اصبحت الماسونية محرمة قانونا فى مصر وفى سائر انحاء الوطن العربى .

اندرسون كان على صلة باليهود ، لانه اما انه كان يهوديا واعتنق المسيحية ، او مسيحيا اصيلا من المتهودة .

وليس ثمة شك فى انه مما يثير العجب ان تمضى السنون على ميلاد هذه المؤسسة وتتقدم دراسة التاريخ ، و (البيلوجرافيا) وتحقيق الوثائق ، وتنقطع لهذا الفرع من المعرفة جماعات من العلماء . ويفلت من هؤلاء جميعا تاريخ (الماسونية) فلا يقطع احد فى شان هذا التاريخ ، او تاريخ مولدها ولا مكان هذا المولد ، ولا الشخص او الاشخاص الذين انشاوها ورعوهــــا ، ولا المبادىء التى اعلنتها .

ويعلل الاستاذان امينى وابو حبيب ان مرد ذلك الغموض هو ان الماسونية لم تولد ابتداء بهذا الاسم ، وانما حملت بادىء ذى بدء اسم جماعة (النور) ، وكان اعضاؤها يتسمون (النورانيون) ، وانها جماعة سرية أصلا ، فكان من مقتضيات هذه السرية التى احاطت بها ، ولازمتها وهى تخطو خطاها الاولى فى الوجود ، ان تكثر الاقنعة على وجهها ، وبالتالى على اسمها ، حتى تختفى تماما من صفحات التاريخ ، ثم تعود باسم اخر ، وثالث ورابع فيصعب على البحاث ان يتعقبوها .

اقنعة الماسونية

ويؤكد البعض ان للماسونية اولادا شرعيين او غير شرعيين ينوبون عنها ، ويعملون عملها . المعروف منهم منظمة الروتاري التى انشاها المحامى بول هاريس فى فبراير سنة ١٩٠٥ فى مدينة شيكاغو الامريكية . وقد الت رياستها الى مدينة ايفارستون الامريكية ..

ثم منظمة الليونز التى اسست اخيرا فى سنة ١٩٥١ فى نيويورك ، ثم انتقلت الى واشنطون ..

واخيرا منظمة بناى برت ، التى اسست عام ١٨٣٤ ، وقد ولدت اول ما ولدت فى برلين سنة ١٩٠٣ ، ومركزها الآن كزميلتيها السابقتين فى الولايات المتحدة .

ويرد الاستاذان امينى وابو حبيب بداية التاريخ الحديث للماسونية الى رجل غريب الاطوار ، ومتعدد المواهب ، اسمه ادم وايزهاوبت ، ولد فى المانيا سنة ١٧٤٨ ، ودرس اللاهوت ، بوصفه احد رجال الدين المسيحى ، ثم ارتد عن دينه ، واصبح ملحدا ، واصبح استاذا فى احدى جامعات المانيا ، وفى هذه المرحلة اتصل به اليهود ، فالتقى الطرفان على ان يضعا خطة لتزعم العالم . فنادى وايزهاوبت فعلا بحكومة عالمية واحدة ، تتكون من العباقرة والافذاذ ليسود العالم السلام ، وتتحقق سياسة رفيعة ، تختلف عن سياسات الحكومات التى يفرضها رجال من اوساط العامة ، لا يبلغون شاو هؤلاء النابهين .

وتنسب الى هذا الرجل نوايا شريرة ، يخفيها تحت هذا الستار الجذاب ، الذى صــدقه الكثيرون من كبــار المفكــرين والعلمـــاء ، وانخدعوا به . ويقال إن من اتباع ذلك الداعية ، « ما تزينى » بطل الوحدة الايطالية الذى توفى سنة ١٨٧٢ ، وتوماس جيفرسون ، الذى كان منافسه فى انتخابات الرياسة الامريكية جون ك ادمز يتهمه بانه استغل المحافل الماسونية لغايات تخريبية .

وقد مات وايزهاوبت فى سنة ١٨٣٠ ، فورثه جنرال امريكى اسمه (البرت بايل) ، وقد لاحظ هذا الخليفة الامريكى للمؤسس الالمانى ان جماعة الماسون اصبحت محلا للشك والريبة ، فغير اسمها ، واسس لها مجالس جديدة ، وبذل جهدا ضخما فى نشر افكارها ، والدعوة لها ، حتى تعددت فروعها فى العالم .

وقد نسب الى (بايل) هذا انه خطط لحروب عالمية ثلاثة ، تحققت منها حربان ، وثلاث ثورات كبرى ، وقعت منها ثورتان كبيرتان ، ثم ثورات جزئية ، وان غايته تهديم العالم ، وإنهاك قواه توطئة لتسوده الحكومة الصهيونية .

ماذا قلنا فى كل ما تقدم ؟

هل قدمنا تاريخا (للماسونية) ام اننا سجلنا ان (الماسونية) لا تاريخ لها ، لان الذين صنعوها لا يريدون ان يفتحوا ابواب قصرها المسحور للاخرين ، والذين يقفون

الماسونية..
مؤامرة على الفكر الإنساني وعلى العرب والمسلمين بصورة خاصة


محمود عباس بك .. مؤسس المحفل الماسوني في مصر بالزي الرسمي . واللقطة المسموح بها حسب التقاليد الغريبة للماسونية !


محمد طلعت الفرنساوي بك .. السكرتير الاعظم للمحفل .. وهو من اهم الشخصيات التي نشطت في ضم الاعضاء البارزين في المجتمع !


محمد باشا فهمي .. كانوا يطلقون عليه لقب : الاستاذ الاعظم .. وكان يحرص في بياناته المكتوبة على وصف نفسه بخادم الماسونية !

على اطراف اصابع ارجلهم ليسترقوا نظرة او نظرات من نوافذ الدور الاول لا يستطيعون ان يروا شيئا ، فقد تطل نوافذ هذا الدور على مساحة فارغة،او على مطبخ، او حجرة فارغة تتراكض فيها الجرذان والهوام .

وهل معنى ذلك ان الماسونية ستبقى ملتحفة بالغموض ، وانها كانت احجية من احاجي التاريخ ،ولغزامن الغازه ، وستبقى هكذا الى اجل غير مسمى ؟

طقوس وخداع

اذن لندع التاريخ جانبا ، ولننظر ماذا في ايدينا من حقائق واقع الماسونية .

من هذه الحقائق بعض ما كشفه (الماسونيون) الذين كفروا بالماسونية . فحدثونا عن شيء من طقوس هذا المذهب الغامض عندما ينضم عضو إليها ، وعندما يتدرج هذا العضو في سلم الدرجات الماسونية التي هي ٣٣ درجة . طالب الانضمام الى محفل من محافل الماسونية يقف على باب ما يسمى (بالهيكل) ، فالمصطلحات الماسونية اكثرها يهودي . فالهيكل يذكر السامع بهيكل سليمان الذي تحطم في القدس ، ولم يبق فيه حجر فوق حجر . يقف الطالب على باب الهيكل ذليلا خاشعا خائفا يترقب ، لانه سيجد الباب مغلقا ، ثم تفتح كوة من الباب الضخم المغلق ، فيزداد وجيب قلبه ، فيرى في الكوة راس انسان تطل عليه ، وتبشره بان الباب سيفتح قريبا ، ويفتح الباب وتمتد اليه يد ترشده ، واذا به يتجاوز عتبة غرفة مظلمة (تدعى غرفة التامل) مملوءة بالهياكل العظمية والجماجم وعظام ساعدي الانسان او فخذيه ، ثم يؤمر بخلع ثيابه ، ليصبح عاريا تماما ، وليتجرد من كل ما يميزه عن غيره من بني البشر ، ليصبح رمزا على الانسان ، الانسان المطلق ،

الانسان الذي لا لون له ، ولا وطن ، ولا لغة ثم ياتيه صوت عميق : الا تزال مصراً على التماس نور الماسونية ؟ فاذا جاء الجواب بنعم ، وغالبا ما ياتي بنعم ، في صوت مرتعش من الرهبة اولا ، ثم من الرغبة ثانيا ، ثم من الفضول وشدة الشوق الى كشف المجهول الذي ينتظره ثالثا ، وعندما ترن كلمة (نعم) في جوف الغرفة المظلمة ، يضع المرشد على عيني الطالب قطعة سوداء ، وفي عنقه حبلا .

وقطعة القماش السوداء هي رمز على الظلمات التي كان يتخبط فيها الطالب قبل ان يتاح له نور الماسونية ، والحبل رمز على الانقياد ، والاذعان ، الذي يعاني منه الطالب ، قبل ان يتحرر بهذا النور الذي ينتظره !

ثم يطرق المرشد الباب طرقة مزعجة ، ويسال الصوت من الداخل من الطارق .

وبعد طقوس ، منها السير في حجرة الظلام ، ومنها التعثر في اشياء مبعثرة في هذه الحجرة ، تمتد إليه يد عند كل عثرة تقيل عثرته ، تصويرا لحياة الطالب ، قبل ان يلتمس النور الماسوني ، فهو يتعثر ، وهو في حاجة الى مرشد . وقبل ان يقبل في رحاب الماسونية ، يحذره صوت بقوله : انت مقبل على امتحان عسير ، وستقسم بكتابك المقدس ، بشرفك وذمتك ، وتوقع بمداد من دمك ، فهل لا تزال مصراً ؟!

والحق ان هذه الطقوس تدل على ذكاء



السلطان عبد الحميد .. حارب الماسونية واعتبرها امتدادا للصهيونية ، وتهديدا لتقاليدوفكر العالم الاسلامى .

واضعها ، لانها تبعث فى نفس الطالب رهبة ، وتشعره بان الدخول الى الماسونية ليس هينا ، وتستغل اثر الظلام والوحشة والتعثر والايمانات المغلظة ، وكلها امور تتداعى لها فى نفس الانسان مشاعر اكذرها مترسب فى نفس الانسان من طفولته . ولست أريد أن أطيل فى سرد باقى الطقوس وحسبي الآن أن انقل لك عن كتاب الماسونية الذى اعتمدت عليه كثيرا فى اعداد هذا المقال ، صيغة القسم الذى يقسمه الطالب :

« اقسم بين يدى الله العلى القدير ، خالق الكون الاعظم ، واتعهد بارادتى واختيارى ان أصون واكتم الأسرار والرموز الماسونية التى تباح لى الآن او فيما بعد ولا أبوح بها لأحد ، إلا للأخ الصادق والمحفل العادل التام المنتظم بعد الدم والاختيار والامتحان بانه اهل للثقة ، واتعهد بالا اكتب هذه الاسرار ، ولا اطبعها ولا احفرها ولا انقشها ولا ادل عليها بوجه من الوجوه » .

بعض من خدعوا بالماسونية

ولندع جانبا هذه الطقوس والرموز والأسرار لنتناول جانبا فى موضوع الماسونية اراه خطيرا الى اقصى الغاية ، وهو فى الوقت نفسه باعث على الحيرة التى لا سبيل الى الخروج منها .

فهذه الماسونية بهذه الرموز والطقوس الغريبة التى لا يجوز أن يطمئن اليها الا عقل طفل ، والتى لا يجوز أن تلقى قبولا أو تصديقا للرجال المجربين ، قبلها واطمان اليها عدد من اكبر الرجال فى تاريخنا الحديث ، فكيف حدث هذا ؟

كيف قبلها رجل فى مثل مكانة وتجربة الزعيم الوطنى المصرى محمد فريد ، رئيس الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩١٧ .

لقد كنت اعرف ان زعيم الماسونية فى مصر هو ادريس بك راغب ، وهو احد ابناء الاغنياء فى مصر ، وقد اغنته ثروته عن العمل ، فوهب وقته كله للماسونية ، فارتفع قدره فيها حتى اصبح رئيس المحفل المصرى الاعظم ، ثم مالبث أن اسس عددا من المحافل الماسونية لا فى مصر وحدها ، بل فى مصر وسورية وفلسطين ولبنان .

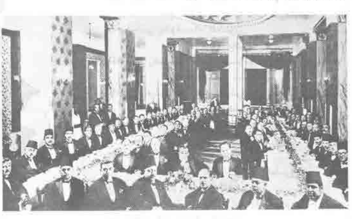
وقد تحالف ادريس بك راغب مع احد امراء البيت المالك المصرى وهو الأمير عزيز حسن لاقناع محافل تركيا بالانضواء تحت قيادة المحفل الماسونى المصرى بالقاهرة .

ومن المثير ان يثبت فى تاريخنا ان السلطان عبد الحميد سلطان تركيا ذا الشهرة الواسعة الذى شوه الصهاينة صورته عند الناس لرفضه التام ، واصراره الثابت ، على عدم السماح للصهيونية بزرع مستوطناتها فى فلسطين ، فقام بين الطرفين صراع حاد شمل الماسونية ومحافلها فى تركيا ، فتحالف الماسونيون مع جمعية الاتحاد والترقى التى كان من اعضائها يهود ، لعزل السلطان عبد الحميد وقد تم لهم فعلا عزله فى سنة ١٩٠٩ .

فهل تدبرنا عظات هذا التاريخ ، وأدركنا حقيقة تلك الحركة الطويلة العمر الملتحفة بالخفاء ، التى تتشح كل طقوسها ورموزها بالطابع اليهودى .

وهكذا يبدو ان الماسونية إنما هى مؤامرة على الفكر الانسانى السليم ، وهى مؤامرة على العرب والمسلمين بصـورة خاصة ، ولا عبرة بانضـــمام بعض الشخصيات التاريخية البارزة إليها ، فقد يكونون من كبار المخدوعين فى التاريخ .

فتحى رضوان



لقطة داخل محفل ماسونى فى القاهرة اثناء الاحتفال بخطيب اعظم المحفل الاكبر اليونانى يلقيها اللقطة عمرها اكثر من نصف قرن ، وهى توضح مدى التنظيم الدقيق الذى تحركت به الماسونية ، لتتحول فى وقت من الاوقات الى اخطبوط يهدد العالم العربى والاسلامى .

حوار زنبقة

شعر: هارون هاشم رشيد

(عند « قمرت » بتونس جذبني
شـميمها .. فارق الذكـرى)



ويحملني أرجُ الزنبـق
إلى الشاطىء الناعم الأزرق
إلى شط «غزة» حيث النسيم
يهم الى مُطلـق المطلـق
إلى ربوة كنت القي اليهـا
مع الليل ، بالجسد المرهَق
فتحضنني بالوفـاء الحنون
وتهمي عَليَّ بحـب نـقي
تذكرني زهـرةٌ من هنـا
تنـامت على شـاطىءٍ رَيِّق
باحلى ليـاليَّ في غزَّتي
واطيبَ ايام عمري الشـقي
تذكـرني بانسياب المساء
إلى خيمتى .. والى زورقي
انا جالس ، ها هنـا مطرقٌ
أُحَـدِّقُ فى الافق المطـرق
واسـال نجم المساء المطل
عليَّ باحـزانه المُغـدِق
متى بعـد هذا الغياب الطويل
بحق السـماء ، متى نلتقي

زهور ودماء

شعر: محمد الظاهر

أُسَرِّحُ نهراً منْ دماءِ أحِبَّتي
وأعْقِدُ للموتى زهورَ حَديقتي .

واهبطُ منْ عرشي الى المدنِ الّتى نشيجُ ضواحيها ثمارُ مقابرٍ وصمتُ مبانيها احتراقٌ ، ووجهُها تقيءُ عليه الرّيحُ ، امّا دروبُها ، فسجنٌ وتشريد ومنفىً وهجرةٌ ، وطوقٌ من الاغلالِ زنارُ خصرِها ، فأغرفُ ممّا يبعثُ الروحَ فى الحَشا ، وارْسُمُ منْ دمّي خطوطَ خريطتي .

وابْقى البقا غامضا بارقُ المَدى
اذا مسّني او قضّ اسرارَ جُثّتي .

هنا شجرٌ ، لا يقرأُ الوقتُ سِرَّهُ ، وظلّكيان يجمعُ الغيم
كلّما دنوتُ الى ميعاده، خِلْتُ انّني حصرتُ برارى الجرح
حتّى ملكتُها ، وزوّجتُ منْ افقِ المسَافةِ خُطوَتي .

دُخاني ابتهالُ الكَوْنِ ، وَهَجي انْخِطَافُهُ ، وهَمْسي قَرارُ الأرْضِ ،
والرّعدُ سورَتي .

اغيبُ واسْتَقْصي ، وافرُكُ خَاتَمي
وأدْخِلُ في نارِ الأساطيرِ غابَتي .

وادْخِلُ ينبوعى جذورَ سنابلي ، واجلو مرايا المـاء . أسْتَنْطِقُ
المدَى ، وَامشي إلَى طَقْسي ، وقداسِ غُرْبَتي .

أُجاورُ اَكْفاني واُعْطي بَديلَها
واُشْرِعُ للآتينَ ابوابَ رُؤيَتى.







بقلم: زكريا تامر

دخول البيوت من نوافذها

التقيت صــــديقاً لا يكــذب إلا فى المناسبات الوطنية الرسمية ، فتأملته بنظرات متفحصة ، ثم قلت له متسائلا بدهشة : « لماذا وجهك اصفر كانك تخليت عن عروبتك وصرت واحـــداً من اهل الصين ؟ » .

فاجاب صديقى عابس الوجه حانقــاً : « وجهى اصفر وقلبى اصفر وعقلى اصفر لانى مريض » .

قلت : « وما هو تشخيص الاطباء لمرضك ؟ » .

قال : « لم اذهب الى اى طبيب لانى افضل ان يميتنى المرض بدلا من ان اقتل باسم الطب » .

فضحكت بمرح ، وقلت : « من الواضح ان تجاربك مع الأطباء ليست بالسارة » .

فقال صديقي : « لن اكذب اذا قلت إن تجاربي مع الأطباء سارة قليلا ومحزنة كثيرا . كنت فيما مضى من السنين اتردد الى طبيب افتتح عيادته فى حيٍ شعبى فقير ، واشتهر ببراعته وزهده فى المال ، وذاع صيته ، وانهالت عليه عروض مغرية ولكنه ابى ان يترك الحى الشعبى الفقير او أن يزيد أجره ، وظل يعمل محافظاً على نهجه حتى مات ، وعندئذ اضطـررت الى التردد الى اطباء اخرين جعلونى اعتقد ان الأطباء نوعان ، اقلية تتصف بالانسانية والنبل ، وأغلبية تنظر الى امراض الناس على انها جسور الى الثروات » .

وتنهد صديقى بأسى عميق كانه يشاهد سكان الكرة الارضية يهلكون ، الامة تلو الامة ، ثم قال : « من المؤسف ان تؤسس جمعيات لحماية حرية الانسان وحماية البيئة وحماية الحيوان وحماية الغابات ، وان لا تؤسس جمعيات لحماية الانسان من بعض الاطباء » .

فاستاء من صديقى ، وقلت له مؤنبا : « الا تخجل من مهاجمة الاطباء الذين هم زينة الحياة الدنيا ؟ » .

فتبدل لون وجه صديقي من الاصفر الى الأحمر ، وقال مستسلما لغضب عــارم : « اذا كنت مريضاً حقا فان سبباً رئيسياً من أسباب مرضي يرجع الى الأدباء واهمالهم وتقصيرهم » . قلت هاجموا الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وهاجمــوا الاشتراكية والراسمالية ، وهاجموا النقاد واصحاب دور النشر ، وهاجموا شعوبهم ، ولم يمتدحوا الا انفسهم وحكامهم » .

فقال صديقي : « ولكنهم لم يهاجموا الاطباء » .

قلت : « هذا صحيح ، فهم واعـــون ولا يحبون خوض غمار معركة خاسرة ، فاذا كان الأدباء يملكون الاقلام فان الاطباء يملكون المشارط » .

ففكر صديقى لحظات ، ثم قال لى بحماسة مباغتة : « اسمع . هناك اشخاص حين يعيشون فى البلد الذى ولدوا فيه تكون محاسنهم اكثر من مساوئهم ، ولكنهم اذا تركوا بلدهم واشتغلوا فى بلد عربى اخر فان مساوئهم تفوق محاسنهم ، اما اذا هجروا البلاد العربية وعاشوا فى بلد اجنبى فان محاسنهم تختفى تاركة خلفها المساوىء وحدها » .

فقلت لصديقى : « يبدو انك تركت الحديث عن الأطباء وانتقلت الى الحديث عن أحوال العرب حين يهاجـــرون من اوطانهم ؟ » .

فقال صديقى : « ما قلته مجرد مقدمة كي احدثك عن الدكتور فادى » .

قلت : « ومن هو هذا الدكتور فادى ؟ » .

قال صديقى : « هو شاب وسيم وذو مظهر دمث انيق وسلوك بالغ التهذيب ، وقد جاء الى انكلترا ، ودرس الطب فيها ، وعندما تخرج لم يعد الى بلده ، وآثر الاقامة بلندن ، واشترى منزلا ، ووجد عملا وسارت اموره كما يشتهي ويرغب ، ثم ذهب يوماً الى بلده لزيارة اهله ، وهناك تنبه الى ان انكلترا بلد متخلف اذ لا تعامل الطبيب كانه عبقرى زمانه الذى يحق له ما لا يحق لغيره ، وسارع الى شراء طابق فى بناية تقع في شارع رئيسى لاستخدامه كعيادة له وزود العيادة بالاثاث اللائق والمعدات



الطبية الحديثة ، ثم عاد الى انكلترا ليجلب زوجته وابنه الوحيد الصغير ، وليصفى اعماله ، وقد اقترح عليه زملاؤه من الاطباء ان يجرى قبل عودته الى بلده فحصا طبيا شاملا لجسمه ، فعمـــل باقتراحهم هازئا ، فهو شاب قوى الجسم ، ولم يمرض مرة واحدة ، ولكن نتيجة الفحص كشفت انه مصاب بالسرطان اصابة خطرة ، ولا امل له فى الشفاء ، فاستسلم لليأس ، وانهارت مشروعاته كلها ووجد نفسه مرغما على البقاء فى لندن للمعالجة على الرغم من انه كان واثقا بان تلك المعالجة قد تطيل حياته اشهرا ولكنها لن تنقذه من الموت القادم لا محالة » .

ولاذ صديقي بالصمت ، فقلت له مستغربا : « لماذا سكت ؟ اكمل حديثك عن الدكتور فادى . هل مات ام شفى ام مازال مريضا حتى الآن ؟ » .

فقال صديقى : « جاء الآن دور الحديث عن امراة اسمها عائشة » .

قلت : « والدكتور فادى ؟ » .

ولما كنت اعرف طباع صديقي معرفة جيدة ، فقد قلت له باستسلام : « احك كما يحلو لك » . فقال صديقى : « عائشة التى انوى التحدث عنها هى امراة فى الاربعين من عمرها ، متزوجة ، ولها ثلاثة اولاد ، وقد اصيبت بمرض جعلها طوال اشهر كالميتة ، وعندما شفيت اكد لها طبيبها ان نجاتها من الموت معجزة لن تتكرر ثانية ، ونصحها بالذهاب الى لندن فى اسرع وقت لاجراء عملية جراحية فى الدماغ ، والا فان حياتها ستظل مهددة بخطر الموت المباغت . ولما كانت عائشة مجرد موظفة ذات راتب محدود ، وزوجها ليس احسن حالا منها ، فقد لجات الى الاستدانة ممن تعرف وممن لا تعرف حتى تمكنت من جمع المبلغ اللازم للمداواة فى لندن ، ثم اتت الى لندن ، وهناك تعرفت الى الدكتور فادى عن طريق احدى الاسر العربية ، واطلعت على مشكلته ، واطلع هو على مشكلتها ، واتفقا على ان هما واحدا يجمعهما ، فهو مصاب بالسرطان ومحكوم عليه بالموت ، وهى ستموت اذا لم تجر العملية ، وحتى اذا اجريت لها العملية بنجاح فانها ستخلف اثارا خطيرة فى نطقها وحركتها ، واعلن الدكتور فادى عن استعداده لمساعدتها ولاســـيما انه يعـرف اطبـاء لنـدن ومستشفياتها ، فرحبت عائشة بمساعدته التى كانت بحاجة ماسة اليها ، وابتدا الدكتور فادى ياخذها الى اطباء ومختبرات ومستشفيات لدراســـة مرضها واجراء الفحوص المطلوبة التى شددت على ضرورة اجراء العملية لها وخطورتها . وفى لحظة من لحظات الالهام تنبهت عائشة الى ان الدكتور فادى يقدم اليها فواتير مزيفة ، وكل ثلاثة جنيهات تدفعها يذهب جنيهان الى جيبه ، فابتعدت عنه بلباقة مع انها كانت تتمنى ان تقول له : لقد فعلت ما فعلت وانت ستموت بعد اشهر فماذا ستفعل لو كنت ستحيا مائة سنة ؟ » .

فضحكت كاني سمعت اطرف نكتة ، فحملق الى صديقي بدهشة ، وقـال : « اتضحك وانا احكي لك حكاية تحزن ؟ » .

قلت : « الا يحق لي ان اضحك بعد ان اكتشفت ان السرطان له فوائد عظيمة !؟ » .

فقال صديقى : « حتى تقتنـــع اكثر بمساوىء الاطباء ساحكى لك عما شاهدته يوما فى احد المستشفيات » .

قلت : « احك ، فالحكى اذا لم ينفع لم يضر » .

فقال صديقى : « زرت يوما صديقا يشغل منصبا اداريا فى مستشفى حكومى ، ولما انتهت زيارتى له ، قادني فضولى الى قسم الاسعاف ، وهناك وقفت دقائق اتفرج ، واثار انتباهى شاب دخل مسرعا الى قسم الاسعاف يحيط به اربعة من اصدقائه ، وكان الدم ينزف بغزارة من جرح كبير فى راسه ، وقد بادر الطبيب الى اسعافه ، فنظف جرح راسه فى ثوان ، ثم وضع فوق الجرح قطعة قطن كبيرة مبللة بالاسبرتو ، وقال للمصاب : « هات اصبعك » ، فمد المصاب سبابته نحو الطبيب الذي امسكها وثبتها بحرص فوق قطعة القطن ، ثم قال للمصاب : « مع السلامة » ، فبهت المصاب ، وبهت اصدقاؤه الاربعة ، وقال احدهم للطبيب : « يا دكتور .. ارجوك الجرح كبير جدا .. الا يحتاج الى خياطة ؟ » ، فاذا قسم الاسعاف يتحول فجاة الى شيء شبيه بمستشفى مجانين واسطبل تتشاجر حيواناته شجارا داميا : الطبيب يصيح ويشتم ، والممرضات يصرخن ويشتمن شتائم بذيئة ، والاطباء المتمرنون يصرخون بغضب ملوحين بقبضاتهم مهددين ،

دخول البيوت من نوافذها

خواطر تسر الخاطر

والجدران تصرخ وتتوعد ، فتجمد الشبان الخمسة حيارى ، فما قيل للطبيب لا يهين ولا يمس كرامة ، ثم بادروا الى الفرار وهم المفتولو العضلات غير ابهين لان يتهموا بالجبن » .

فابتسمت بحنو ، وقلت لصديقى : « انا واثق بانك لا تكذب وحكيت بامانة عما شاهدت ، ولكن من الواضح ان احد الشبان قد شتم القومية العربية دون ان تسمعه ، فغضب العاملون فى قسم الاسعاف ، ومن لا يغضب من اجل القومية العربية غير جدير بان يكون مواطنا صالحا فقال صديقى بنزق : « ساحكى لك المزيد حتى تكف عن ايجاد الاعذار » .

قلت : « انا اطالبك فقط بان تقول كلاما يقبله العقل والمنطق » .

قال : « ساحكي لك عما رايته بعينى فى مستشفى حكومى اخر » .

قات : « احك فانت بلا عمل وانا بلا عمل وليس لدينا ما نفعله الا الحكي » .

قال صديقي : « ذات يوم ، ابلغت ان عمتى العجوز اصيبت باغماء بينما كانت تسير فى الطريق ، ونقلت الى احدى المستشفيات الحكومية ، فهرعت اليه ، ورايت عمتي ، فاذا حالتها الصحية سيئة وتستدعي أن تبقى فى المستشفى اياما ، وقد وضعت فى قاعة تشتمل على أكثر من ثلاثين مريضة . وبينما كنت اواسي عمتى واطمئنها ، دخل الى القاعة طبيب فى مقتبل العمر وبرفقته ممرضة ، وابتدا يطوف على المريضات متفقدا احوالهن . وقد لاحظت ان امراة كهلة زرية الثياب تلاحق الطبيب بالحاح وتقول له كلاما لم اسمعه ، فكان الطبيب يبتسم برصانة ، ويتابع اداء عمله . وعندما انتهت جولته واوشك ان يخرج من القاعة صارت المراة الكهلة تصيح به : « الست مسلما ؟ السنا كلنا مسلمين ؟ الا يوجد فى قلبك ذرة شفقة او رحمة ؟ » ، فظل الطبيب محافظا على هدوئه ، وغادر القاعة ، وعندئذ انفجر غضب المراة الكهلة فدنوت منها حيث تقف فى اخر القاعة عند سرير تستلقي عليه فتاة لا يتجاوز عمرها الثالثة عشرة ، وكانت جذابة سمراء وديعة ورائعة الجمال ، والضمادات تغطى ساقها اليمنى . سالت المراة الكهلة عن سبب غضبها ، فاشارت الى الفتاة قائلة : « هذه المسكينة ابنتي وساقها محروقة ، وقد طلبت من الدكتور ان يغير الضماد فرفض بحجة انه غيره قبل اسبوعين » .

ونظرت الى الضماد متفحصا ، فاذا هو وسخ يلطخه الصديد ، وتفوح منه رائحة كريهة ، فقلت للمراة الكهلة :

« هذا اهمال فظيع قد يؤدي الى بتر ساق ابنتك ، ويجب الا تسكتي عليه . واذا كان الدكتور مهملا فله رؤساء سيحاسبونه فاذهبي اليهم وقدمي شكواك » .

فبادرت المراة الكهلة الى العمل بنصيحتي فورا ، وخرجت من القاعة شبه راكضة ، وعدت الى محادثة عمتي ، وفجاة عاد الطبيب والممرضة ، ووقفا فى ركن من اركان القاعة ، وتحادثا لحظات ، ثم اعطى الطبيب الممرضة ملفا وهو يشير بيديه اشارات مبهمة نحو سرير المريضات ، فجاءت الممرضة نحونا ، وقالت لعمتى : « صحتك صارت ممتازة ولم تعودى بحاجة الى اى علاج ، وقد قرر الاطباء اخراجك من المستشفى » . وفتحت الممرضة الملف ، واخرجت منه ورقة ، وقدمتها الى عمتى قائلة : « وهذا امر باخراجك من المستشفى ، وعليك تنفيذه حالا » فقالت عمتى : « ولكنى احضرت الى المستشفى قبل اقل من ساعة ولم اتلق اى علاج » ، فقالت الممرضـــة : « هنا مستشفى للمرضى وليس فندقا يقدم الاكل والنوم مجانا » فحاولت التحدث مع الممرضة ، فقالت لى بازدراء : « لا تتدخل فيما لا يعنيك والا ندمت » ، فقلت : « انها عمتى » ، فقالت الممرضة : « وهل نزغرد لانها عمتك ؟ » وهنا لاحظت الممرضة ان الطبيب يشير اليها ، فهرعت نحوه ، وتبعتها ، وسمعت الطبيب يقول لها بصوت خافت غاضب : « اانت حمارة ؟ المريضة التى وقعت أمر اخراجها من المستشفى ليست هذه العجوز بل هى تلك البنت المحروقة الساق ، وسريرها هناك فى اخر القاعة » ، فركضت الممرضة نحو الفتاة ، وجعلتها توقع على الورقة البيضاء معترفة بانها تبلغت الامر باخراجها من المستشفى ، ثم غادر الطبيب والممرضة القاعة مسرعين .

وعندما عادت المراة الكهلة الى القاعة كانت تمشي بخطى متثاقلة ، فسالتها عما جرى لها ، فقالت : « لا احد اهتم بي ، وعوملت كاني زبالة » ، ثم تابعت السير نحو سرير ابنتها ، فعلمت بما حدث ، فصاحت وبكت وولولت ، وبحثت عن الطبيب المسؤول ، فاذا هو قد غادر المستشفى ، ولم تجد مفرا من ان تحمل ابنتها وتترك المستشفى » .

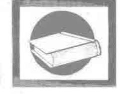
وتوقف صديقي عن الكلام حزينا ، فقلت له : « لامبرر لحزنك ، فالطبيب لا يستحق نقمتك ، فهو بفعلته قد برهن على انه شديد الحرص على اموال الشعب » .

قال صديقى بغيظ : « وكيف ؟ » .

قلت : « المسالة جـــد واضـحة . المستشفى حكومى ، والضماد يشترى من اموال المستشفى ، واموال المستشفى تاتى من اموال وزارة الصحة ، واموال وزارة الصحة تاتى من خزينة الدولة ، واموال خزينة الدولة اتت من جيب الشـــعب ، ولا يجوز ان تبدد الا فى المعارك المصيرية التى ترغم العدو على احتلال مزيد من الارض » .

فحدق الى صديقي كانى مخلوق اتٍ من كوكب المريخ ، ثم قال : « لقد القمتني حجرا» . فلم افه بكلمة ، انما تخيلت تظاهرة ضخمة تضم عددا كبيرا من الاطباء المنددين بكتب التاريخ التى تتحدث عن مجازر تيمورلنك ، وهولاكو ، وجنكيزخان ، ولا تتحدث عن مجازر الاطباء .

زكريا تامر



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

أسماء الله الحسنى

● ان اسماء الله الحسنى هي صفات كمال فيه . اذا ذكرت صفة منها عبرت عن كمال مطلق في ذاته : « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ».

هو الله الذي لا إله إلا هو : الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

هو الله : الخالق ، الباريء ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم » .. (الحشر : ٢٢ ـ ٢٤) .

فهذه الأسماء او الصفات جميعها ـ وغيرها مما ورد بها القران هي قيم عليا رفيعة لذات المولى جل جلاله . وكما تدل على سمو الذات العلية ورفعتها وكمالها غير المحدود ، تجذب الداعي للمولى كي يتقرب منها في عبادته ودعواته :

« ولله الاسماء الحسنى ، فادعوه بها (اي تقربوا اليه بها : بذكرها وترديدها ، وبمحاكاتها في السلوك والتصرفات) وذروا الذين يلحدون في اسمائه (اي واتركوا اولئكم وشانهم الذين يظلمون انفسهم بانتهاك حرمة هذه الاسماء والحط من قدرها ، وهم الوثنيون الماديون الذين يشركون مع الله جلت قدرته : الهة اخرى لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) سيجزون ما كانوا يعملون » (الاعراف : ١٨٠) .

وباية صفة او باي اسم من اسمائه الحسنى يناجي بها العابد ربه ، فانه يتقرب بها وبمحاكاة اية صفة من صفاته في سلوكه وتصرفاته يتقرب بها اليه سبحانه : « قل : ادعوا الله او ادعوا الرحمن ، ايّاً ما تدعوا ، فله الاسماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، وقل : الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبّره تكبيرا » . (الاسراء : ١١٠ ، ١١١) .

● والعبادة الحقيقية التي يذكرفيها المؤمن من صفات ربه واسمائه الحسنى ليست ترديد هذه الصفات والاسماء على اللسان في صوت بين الجهر والسر ، وانما تامل هذه الصفات والاسماء ومحاولة التاثر بها ، ثم محاكاتها في مجال التطبيق والسلوك الانساني ، بعد مجال التامل والتذكر . وما احوج الانسان الى ان يتذكر كمالات الله التي تعبر عنها اسماؤه الحسنى ، ويحاول ان يتقرب بها اليه في تصرفاته ، وبالاخص مع ذاته الانسانية اولا :

١ ـ ان الانسان في حاجة الى ان يعلم ، ويعلم على وجه الخص : الدلائل في الوجود على وحدة الله المطلقة في كماله المطلق فيخشاه ويعبده . والعلم صفة او اسم من اسماء الله الحسنى .

٢ ـ والانسان في حاجة ليعلم : انه عقل وشهوة ، ومنطق وهوى ، وهو بحاجة ليسود عقله على شهوته ، ومنطقه على هواه : فيرتفع عن المهانة والذلة لشهوته وهواه ان اراد لنفسه ان يكون انسانا .

والمهيمن ، والعزيز : من صفات الله واسمائه الحسنى .

٣ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان في اطمئنانه مع نفسه ، وفي علاقته بالاخرين معه .. سعادته ومتعته الحقيقية ، فيسعى الى السلام بينه وبين نفسه فلا يترك هواه في صراع مع نفسه او مع غيره ، يجنوحه وحِدّته . والسلام من صفات الله واسمائه الحسنى .

٤ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان القناعة عن مقدرة هي طريق الكرامة البشرية .

والغنى من صفات الله ، واسمائه الحسنى.

٥ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان تعيز انسان عن انسان هو في عمله ، وفي اتقانه لهذا العمل ، وامانته في ادائه ، وبذلك يجيء عمله نموذجا ومثالا .

والخلق ، والابداع : والتصوير : من صفات الله ، واسمائه الحسنى .

٦ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان ممالاة الشر : فيها القضاء على انسانية الانسان وحضارته ، وان الطريق لصيانة الانسانية هو الوقوف في وجه الشر وتحدي مصادره .

والجبار من صفات الله واسمائه الحسنى .

٧ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان الانسان الذي لا يؤمن ، هو ضعيف يسلم نفسه لكل دافع ، ونحو اي اتجاه . وسبيل نجاته من الضعف هو الايمان .

والمؤمن صفة من صفات الله واسمائه الحسنى .

وهكذا : اسماء الله الحسنى فيها سر قوة الانسان : في انسانيته ، وعلى هواه وشهوته ، وفي طمانينته ، وعدم اذلاله ومهانته ، وفي جده في سعيه ، وفي اتقانه لعمله .. فيها سر الانسان المؤمن ، والعادل المتخلق بخلق الله جل شانه .

بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على صدور "العربي"

العربي

ودورها الثقافي في ربع قرن



بقلم: كامل زهيري

احتفلت الكويت فى الشهر الماضى بمرور ربع قرن على إنشاء مجلة العربى ، وقد جاء الاحتفال على شكل ندوة فكرية رفيعة المستوى عن « المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة » ، واشترك فى هذه الندوة الهامة عدد كبير من المفكرين من كل انحاء الوطن العربى ، من الخليج إلى المحيط ، وقد تجاوز عدد المشاركين فى الندوة مائة مفكر وباحث ، وافتتح الندوة الشيخ صباح الاحمد ، نائب رئيس الوزراء الكويتى ووزير الخارجية والاعلام ، والشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر ، وكيل وزارة الاعلام الكويتية ، والدكتور محمد الرميحى رئيس تحرير العربى ، ثم ألقيت خلال ايام الندوة بعد ذلك مجموعة من الأبحاث الهامة ، دارت حولها مناقشات حية مثمرة ، وقد بدأت الندوة بقضايا المجلات الثقافية ، وانتهت بمناقشة كل القضايا الأساسية فى الواقع العربى المعاصر ، والتاريخ العربى ، وصراعات الانسان العربى مع الظروف المحيطة به ، وجاء حصاد الندوة خصباً رائعاً ، وكان من بين الأبحاث الهامة فى الندوة هذا البحث الذى تقدم به الكاتب العربى الكبير كامل زهيرى عن « مجلة العربى ودورها الثقافى خلال ربع قرن » ... وقد اخترنا ـ فى الدوحة ـ ان ننشر نص البحث القيم ، تحية للعربى فى عيدها الفضى .

و « الدوحــة » تنتهز هذه الفرصة ، لتتقدم باخلص التهنئة لدولة الكويت التى لم تبخل بشيء على هذه المؤسسة والمنارة الثقافية الرائدة ، كما نتقدم بالتهنئة للشقيقة الكبرى « العربى » ، بعيدها الفضى ونرجو لها المزيد من النجاح فى اداء رسالتها الكبيرة ، واخيراً فاننا نتقدم باعمق التهنئة والتقدير لرئيس تحرير العربى الكاتب الكبير الدكتور محمد الرميحى ، الذى يتقدم الآن بفكره الحى ، وثقافته الواسعة ، وقلمه الناضج ، وضميره القومى الواعى ، ليحتل ـ بجدارة ـ هذا الموقع الرئيسى فى حركة الثقافة العربية ، وهو موقع رئاسة تحرير العربى .

« رئيس التحرير »

الصحافة لغة مشتقة من الصحف ، جمع صحيفة .

والصحيفة كما شرحها ابن منظور فى لسان العرب هى التى يكتب فيها .

وفى القرآن الكريم ، وردت هذه الآية : « ان هذا لفى الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » . والصحف هنا بمعنى الكتب المنزلة . وفى الصحاح للجوهرى ان الصحيفة ، وجمعها صحف وصحائف ، من الكتاب بمعنى الرسالة .

وفى الحديث الشريف : « اتراني حاملا الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس » ، ومنها اشتق المصحف (بضم الميم ، او كسرها) بمعنى الكتاب الذى جمعت فيه الصحف ، اى الاوراق والرسائل .

ولما عرف العرب الصحافة « المكتوبة » فى مطلع القرن التاسع عشر لأول مرة ، كانوا يطلقون عليها « الوقائع » . وحين انشا



الشيخ صباح الاحمد يقص الشريط معلنا بدء احتفالات « اليوبيل الفضي » لمجلة « العربي » .



● الكويت لا تصدّر النفط فقط ، فبواسطة "العربي" قامت بتوظيف ثقافي تنموي أيضاً

الشيخ صباح الأحمد
نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي ووزير الخارجية والإعلام

● "العربي" ليست للكويت وحدها ، بل هي للوطن العربي كله

الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر
وكيل وزارة الإعلام

● نجاح المجلات الثقافية في الكويت يعتمد على خلوّها من رائحة الدعاية ، وخلال تجربتي مع "العربي" لم يحدث قط أن كان لدولة الكويت مطلب أو اقتراح أو احتجاج

أحمد بهاء الدين

● نحن بحاجة إلى حركة نقد ثقافية واسعة ، عقلانية ، تتجاوز المغالاة والتخويف

د. محمد الرميحي

خليل الحوزى (١٨٣٦ ـ ١٩٠٧) عام ١٨٥٨ ، صحيفة « حديقة الاخبار » اطلق عليها التعريف الفرنسى « جورنال » . واستخدم نفس التعبير رفاعة الطهطاوى . وكان اول من اختار لفظة « صحيفة » هو رشيد الدحداح (١٨١٣ ـ ١٨٩٤) ، الا ان فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) صاحب جريدة « الجوائب » ومناظر رشيد الدحداح فى المسائل اللغوية استعمل لفظة « جريدة » .

والجريدة ماخوذة عن الجرائد ، اى قضبان النخل المجردة من خوصها . وقد جرت عادة العرب بعد الاسلام ان تكتب بعض العبارات والآيات القرانية على قضبان النخل عند دفن الميت . وتوضع هذه الجرائد على قبره . وظلت هذه العادة الى ايام قريبة خلت . ومن هنا كانت التسمية مجازية . بمعنى ان الجريدة هى ما يكتب

عليها (١) .

وظل ارباب الصحف فى القرن التاسع عشر لا يفرقون بين الجريدة والمجلة الى ان تولى الشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦) اصدار مجلة « الطبيب » بالاشتراك مع بشارة زلزل وخليل سعاده ، فاستعمل لفظة « مجلة » ويقصد بها الصحيفة العلميـة او الادبية او الاقتصادية .. او ما شاكلها .

والمجلة هنا مشتقة فى راى من مـــادة « جلا ، جل،جلالة » (المنجد للاب يوسف المعلوف) ، والمجلة هى الكراسة فيها الحكمة . وقد خصت بها الآن الصحيفة التى على شكل كراس .

وفى رأى اخر ان المجلة مشتقة من مادة «جل . جلا» اى ظهر ووضح . ومنها الجلي ضد الخفي . والجليّة اي الخبر اليقين . وجلا اى اوضح وكشف (المنجد للاب يوسف المعلوف ، ومختار الصحاح لابي بكر الرازى) .

والمجلة هنا بمعنى انها تسعى الى استجلاء حقبة من العالم .

ويضع د . مهدي علام ، عضو المجمع وعميد الآداب الأسبق ، تعريفا موجزا للمجلة : « انها صورة مختصرة متجددة رخيصة الثمن لدوائر المعارف » .

ويقول ان وظيفة المجلة كانت قائمة فى حياة المجتمع العربى منذ القدم وكانت هذه الوظيفة تؤدى بطريقة تلائم العصر من ذلك الأدب والمناظرات والاماني وتنـــاقل الروايات (٢) .

ويتتبع مهدي علام كلمة « مجلة » فى العربية . ففى لسان العرب : المجلة هى صحيفة فيها الحكمة .

وقد روى النابغة الذبياني :

مجلتهم ذات الاله ودينهـــم
قديم فما يرجـون خير العواقب

وفى حديث سويد بن الصامت ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ لعل الذى معك مثل الذى معي . قال :

ـ وما الذى معك ؟

ـ قال : مجلة لقمان .

فكل كتاب عند العرب مجلة . يريد كتابا فيه حكمة لقمان .

وفى حديث لانس بن مالك القى الينا مجال ـ جمع مجلة . يعني صحفا ، واورد ذلك ابو الفضل جمال الدين المعروف بابن المنظور الافريقى المصرى فى لسان العرب .

وقال ابو عبيدة بن الجراح : « كل كتاب عند العرب مجلة » .

وعندما انشا ابراهيم اليازجي وبشارة زلزل مجلة « البيان » بالقاهرة قالا عن المجلة : « انها جليس العالم ، واستاذ المريد ، والموعد الذى يتلاقى فيه المفيد والمستفيد . بل هى خطب العالم فى كل ندوة ، وبريده الى كل خلوة ، والمشكلة التى تتضح بها بصائر اولي الألباب ، والمنار الذى تاتم به المدارك اذا اشتبهت عليها شواكل الصواب » .

وفى راي الدكتور عبد اللطيف حمزة ، استاذ الصحافة بالجامعة المصرية (٣) ان المجلة لا تعدو فى جوهرها ان تكون « اعادة النظر » التى يطلق عليها لفظ Review الانجليزى . والمعنى الحرفى له هو اعادة النظر فيما طبع من اخبار وحوادث ومواد سبق نشرها فى الجرائد اليومية ولم تساعد طبيعة الصحافة اليومية على استيفاء هذه المواد كما ينبغى ، لكن المجلة تستطيع من كل هذا ان تعيد النظر فى جميع هذه المواد على اختلافها ، وان تبدى للقارىء وجهة نظر جديدة .

والكاتب ـ على اليقين لا يقول كلمته ويمشى . انما يتابع قوله يوما بيوم او اسبوعا باسبوع ، او شهرا بعد شهر . كانه جدول او نهر يصب فى الراى العام . ولهذا فالصحافة داب واستمرار . كانما تنحت فى الصخر حتى تصنع مجرى فى الراى العام وتنشيء تيارا ادبيا ، وهى لذلك بالضرورة علاقة « دورية » منتظمة تقوم على الالحاح والداب والمتابعة .

شروط الحياة والاستمرار

وقد تنوعت فنون الصحافة فاصبحت يومية تسبق وتتسابق ، واسبوعية تراجع وتحلل . اما الشهرية فهى اهدا وابطا واعمق واوسع افقا .

و « العربى » مجلة شهرية ، وهى ككل الشهريات الثقافية لا تعتمد ان يحررها كتابها ومحرروها ، وتعتمد ككل الشهريات على جهاز محدود من رئيس التحرير ونائبه او مدير التحرير ، وسكرتير التحرير ، وعدد من المحررين الدائمين و (المصورين) ثم تستكتب بعد ذلك عددا اكبر من المصاحفين اى الكتاب الخارجين او ما نطلق عليهم Free Lancers ، وقد يرتبط بعضهم بصلة تنقطع او تتصل طبقا لسياسة المجلة .

وليس من الانصاف اذن ان نقصر الحديث على رئيس التحرير وحده او على هيئة التحرير ، بل لابد ان يمتد اعادة الفضل فى نشر العربى وانتشارها الى الكتاب والمفكرين والادباء والمؤرخين والعلماء والأطباء والاكاديميين الذين شاركوا فى انشاء ثلاثمائة عدد من اعداد العربى ، حتى بلغت من عمرها ربع قرن .

لكن لو اقتصرت اى دراسة لتاريخ حياة مجلة على قراءة الصفحات وبحث رسالتها واستخلاص اهدافها فانها مهددة ان تصبح نظرة قاصرة ومقصرة ، ذلك ان الصحيفة فى عقيدتى كائن حي يولد وينمو ، او يـذوي ويموت ،وهى ككل كائن يلقى المصاعب فى المولد والحياة . ولابد ان يتوفر لها فى الاصل ســبب الوجود وشروط الحيـاة والاستمرار .

فليست الصحافة الات طباعــة او قصاصات ورق . وليست حروفا وخطوطا والوانا على ورق مصقول او خشن .

انما هى فى الاساس والاصل . الحرية .

وهى بعد ذلك علاقة حميمة وثيقة بين الكاتب والقارىء تشبه علاقة الولاء والود وهى ايضا علاقة يقظة ذكية مع الاحداث الجارية .

والحرية هى السبب ومبرر الوجود فى اي مطبوع ينشر وينتشر . بل هى الهواء الذى تتنفس فيه الصحف ، وبه تحيا وتنمو وبدونها تصبح قصاصات ورق وحروفا بكماء خرساء لا تشع ولا تضيء .

ولو جاز لاحد ان يدرس تاريخ حيـــاة « الاســـتاذ » او « التنكيت والتبكيت » للنديم أو « العروة الوثقى » للافغانى ومحمد عبده ، او « الجريدة » للطفي السيد او « المقتطف » ليعقوب صروف وفارس نمر او « الهلال » لجورجى زيدان ، او « المجلة الجديدة » لسلامة موسى ، او « الثقافة » لاحمـــد امين او « الرســالة » للزيات او « العربى » لاحمد زكى وبهاء الـــدين والرميحى ، ثم أُغفِلَتْ قضية الحرية لكان ذلك ظلما مروعا .

فالحرية ـ فى ظنى ـ وبعد استقصاء تاريخ حياة مجلات وصحف عربية طوال قرن ونصف ، قضية اساسية وجوهرية .

ومن تاريخ الصحافة العربية ـ الطويل نسبيا ـ يثبت يقينا ان الحرية لم تتوفر لها تماما ، ولا دائما . وقد نازع الفكر اهل العزم والسلطان فيها طويلا حتى انتزعوها انتزاعا بعد مواقف ومعارك .. حتى كاد يستقر لنا الآن ذلك الحق الطبيعى الذى نسميه بلغة اهل القانون : حرية العقيدة والراى والتعبير والنشر والصحافة .

ودليلنا من تاريخ الصحافة العربيــة ذاتها .

فقد عرف الوطن العربى المطبعة قبل الصحيفة . وسبقت صحافة السلطة سلطة الصحافة والراى العام . واتى نابليون مصر بالمدفع والمطبعة . وذهب المدفع وبقيت



الشيخ ناصر محمد الأحمد الجبر ، وكيل وزارة الاعلام الكويتية : العربى ليست للكويت وحدها .

المطبعـــة ، لكن نابليـــون جاء بالرقيب « فانتورا » (وكان يجيد سبع لغات منها العربية والتركية والفارسية) . وبلغ من اهتمام بونابرت بمطابع الحملة الرسمية ان امر بنقلها على البارجة لوريان L'Orient التى عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتى ابحر عليها بونابرت نفسه لتكون المطابع قريبة منه ، بل وسحب فيها منشوره الاول الى الشواطىء المصرية قبـــــل النزول والاقتحام .

ولكن نابليون كما حرص على المطبعة ، ولى الرقيب عليها . وبقيت المطبعة والرقيب بعد ان ذهب المدفع ! ..

والمجال لا يتسع بالضرورة ـ للافاضة فى هذه الزاوية الاساسية . لكن المطبعة وحدها لم تصنع الصحافة . بل صنعتها الحرية .

ومن يقرا صحف الثورة العرابية فى مطلع القرن التاسع عشر ، والصحف العديدة النشيطة التى مهدت لها ، ومن يقرا لجمال الدين الافغانى ، ويعقوب صنوع والمويلحى واديب اسحق ، وميخائيل عبد السيد ، من يقرا الوطن والتجارة ومصر والطائف والاســـتاذ والتنكيت والتبكيت والمفيد والحجاز يجد المطالبة بحرية الصحافة ويحس وعيـا والحاحا بان حرية الوطن لا تفترق عن حرية المواطن ، ومن اسسها حرية الراى والنشر .

ومن تاريخ ما اهمله المؤرخون ذلك الكتاب النادر او تلك الصيحة العجيبة عام ١٨٧٩ ، اى فى اواخر عهد اسماعيل وبداية عهد توفيق ، وهو كتاب « حرية المطابع » نشره



الدكتور محمد الرميحى رئيس التحرير الحالى لمجلة « العربى » : المطلوب حركة نقل عقلانية تتجاوز المغالاة والتخويف .

شباب الحزب الوطنى الأول ، بالعربيـة والفرنسية معا بعنوان حرية الصحافـة Liberte de La Presse او حريـة المطابع كما قالت الطبعة العربية (٤) .

يقول الافغانى : الصحافة عمل شريف وانا صحفى . وكان لي فى باريس جريدة اكتب فيها .

ويقول الافغانى فى « العروة الوثقى » فى ١٣ مارس ١٨٨٤ ـ اى منذ مائة عام بالتمام ، فى العدد الأول :

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية ، والأخذ بالشبهة وان ضعفت واتباع بواطل التهم وان بعدت أو استحالت حتى اخذ الفزع من القلوب ماخذه ، وبلغ منها مبلغه فلا ترى مارا بطريقه الا وهو يلتفت وراءه لينظر هل تعلق باثوابه شرطى يقوده الى السجن او يقتضي منه فداء . وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر فى كل خطوة عثرة ، ومن كل نهضة سقطة . وله من كل شخص دهشة ، ومن كل طارق لبابه غشية ، واي شقاء ينتظره الحى فى حياته اشنع من هذا (٥) .

ومن الثابت ان برنامج الحزب الوطنى ـ حزب عرابى ـ كان ينص على المطالبة بحرية التعليم ، وحرية الصحافة ، وقد اثبت ذلك بلنت صديق عرابى فى خطابه الذى لخص فيه برنامج العرابيين الى رئيس وزراء بريطانيا (٦) .

وهكذا لم تكن حرية الصحف رحلة او نزهة ، بل كانت صراعا بين تصورين هما « صحافة السلطة » و « سلطة الصحافة » ، حتى ان صدور اول قانون للمطبوعات فى مصر عام ١٨٨١ كان ـ على رواية عرابى فى مذكراته المخطوطة ـ ص (٤٠٦)

« لايقاف سيل الصحف الوطنية ، واندفاعها الثورى ، والقضاء على حرية الصحافة » .

وبينما كانت « الوقائع » الرسمية تكتب فى اول ديسمبر ١٨٨١ : « ان الصحافة ليست شيئا رئيسيا فى البلاد ، بل هى امور تكميلية ، مما يسمح للحكومة بالموافقة على وجودها ، او تمنع نشرها . وكذلك فان للسلطة الحاكمة مطلق الحرية فى ان تضع من النظم وان تتخذ من الاجراءات ما تراه مناسبا لمصلحتها هى دون اى اعتبار لاى جهة اخرى » كانت هناك نظرة مضادة تماما فى « التنكيت والتبكيت » (٦ يونيـــو ١٨٨١) وفى الطائف (٣٠ نوفمبر ١٨٨١) وفى البرهان (٥ فبراير ١٨٨٣) .

فتقول البرهان :

« البلاد فى حاجة عظيمة الى حرية الجرائد فهى لسان الامة . وهى المنبه للحاكم » .

وتقول ايضا (١٨ اكتوبر ١٨٨٣) .

« الاقلام امضى من السيوف . ولكن الكاتب عندنا مكتوف ، وبالقيود محفوف

كيف تساعد الصحافة ، وابواب الكلام امام الكاتب موصدة ، وشمس الحرية محجوبة عنها ، واعنة الاقلام تمسكها المدافع !؟ » .

وليس بدعا اذن ان يترسب فى الضمائر وعي قومى بان الصحافة بغير حرية تصبح اقوالا مرسلة . وليس صدفة ان يصدر الحكم باعدام النديم ويسجن حسن الشيمى ثلاث سنوات ، (صاحب السفير) ونفى الامام محمد عبده ، وان تمنـــع « العروة الوثقى » من دخول مصر (قرار اول مايو ١٨٨٤ بعد تعديل قانون المطبوعات خصيصا) ، وان تتعقب السلطات صحف يعقوب صنوع الصادرة فى باريس حتى لا تصل للقارىء فى مصر .

وكما ظلت المنازعات حول الحرية تشتد فى العقد الاخير من القرن التـاسع عشر نجدها تشتد ايضا فى العقد الأول من القرن العشرين ، ولا يختلف جيل عن جيل حتى نشهد مظاهرة عاصفة من عشرة آلاف متظاهر تجتمع فى الازهر يوم الجمعة ٢٦ مارس ١٩٠٩ وتتجدد احتجاجا على تجديد بطرس باشا غالي رئيس النظارة لقانون المطبوعات القديم ، فتستمر ما بين الاربعاء والجمعة ٣١ مارس واول ابريل ١٩٠٩ ، ويسقط فيها الشهداء من رصاص الانجليز .

ونقرا فى « اللواء » (اول فبرايــــر ١٩٠٩) :

« ماذا يلجىء الحكومة الى التفكير فى تقييد الصحافة لعلها تريد ان تبطش بالناس بطشة تنسيها طلب الجـــلاء والاستقلال » .

وفي ٢٦ مارس ١٩٠٩ ، يكتب اسماعيل شيمي مقالا عنوانه « تقييد حرية الصحافة » ويكتب عباس محمود العقاد (نفس اليوم) في « جريدة الدستور » كلمة واحدة قبل اليأس :

« لا يجوز اصدار اي قانون أو امر يشتمل على لائحة ادارة عامة ما لم يتقدم ابتداء الى مجلس شورى القوانين » .

ويكتب محمد فريد وجدي :

« ايها الوزراء اسمعوا وعوا

لئن ماتت الحرية اليوم فستبعث غدا » .

وتنشر جريدة « اللواء » – في ٢٨ مارس ١٩٠٩ قرار مجلس النظار باعادة قانون المطبوعات في اطار مجلل بالسواد . ويكتب سيد علي : « الامر قد قضي وقيدت الاقلام »

وتكتب « وادي النيل » :

« ليس بعد الحرية نعمة .

طلبنا اعادة الدستور فاعادوا لنا قانون المطبوعات » .

ويكتب لطفي السيد (٢٥ مارس ١٩٠٩) في « الجريدة » :

« ان الانجليز يريدون الانتقام منا على مجرد طلبنا الدستور فجاءوا بهذه البدعة الجديدة يمزقون طلب الحرية الشخصية كل ممزق يا عجبا كل العجب لماذا يحيون قانون ١٨٨١ (المطبوعات) ولا يحيون دستور ١٨٨٢ (ثاني الدساتير المصرية) ؟ كل ما لنا فيه غرم محبوب لديهم . وكل ما لنا فيه غنم فانهم عنه يحيدون » .

ويقول لطفي السيد :

« خير ما تفعله الحكومات لنفسها ، وللامة التي تحكمها ان تكون مع الصحافة في غاية التسامح . فلا تقف في طريق رقيها لان في ذلك وقوفا في طريق حرية الراي العام ومصادرة لاعتقاده لا يأتي الا بنتيجة عكسية . لان الراي العام بطبيعته عنيد تزيده طرائق العنف تشبثا بمعتقده ، وتشعل مصادرة الحرية في صدره لهب الحرية المتوقد وضوءها الساطع . وسرعان ما يتسرب اليه سوء الظن بالحكومة التي تريده على ان يغل من غرب حدته مهما حسنت نيتها ، وارادت له الخير ، وخافت عليه من الوقوع من شر نفســـــه . وخير ما تفعله الحكومة ان يكون اتكالها في الحكم على رغبة الناس لا على ارهابهم » .

ومن يقرأ محاضر جلسات دستور ١٩٣٤ يستوقفه دون شك مواقف نيرة لاربعة عقول مضيئة هم : عبد اللطيف المكبـــاتي ، وعبد العزيز فهمي ، وعلي طاهر ، والشيخ بخيت وكيل الأزهر حينذاك . فحين جاءت مناقشة المادتين ١٤ ، ١٥ من الدستور عن حرية الراي ، وكان مشروعها : حرية الراي مضمونة ، فلكل انسان الحق في التعبير بحرية عن فكره سواء بالكلام او الكتابة او بطريق الصحف او التصوير بشرط ان يراعي حدود القانون . ينبري المكباتي – ويا له من رجل – قائلا : « ان الشرط الاخير يجعل المادة في حكم العدم ، ويقترح ان تحل محلها عبارة « بشرط ان تراعى حدود القوانين العامة » (٧) .

ويدافع على ماهر وعبد العزيز فهمي عن حذف هذا الشرط ، وينتقد على ماهر ان تستلهم اللجنة في أعمالها مواد دستور ١٩٥٣ الفرنسي ، وهو دستور نابليون الثالث الذى قيد الحريات وعلى راسها الصحافة ، بينما تغفل اللجنة دستور ١٨٧٥ في عهد مكماهون ، وهو الدستور الذى اطلق الحريات العامة بعد هزيمة ١٨٧٠ ، وبعد ان استقر في فرنسا فشل شعار بسمارك : « دولة قوية ، ومواطن ضعيف » !

ومن عجب ايضا ان الشيخ بخيت الذى اوسعه بيرم التونسى سخرية وتشنيعا في قصيدته الشهيرة « المجلس البلدى » كان له موقف شريف مشرق في لجنة الدستور حين طالب باضافة حرية اصدار الكتب الى جانب حرية الصحافة (٨) .

وخلاصة هذه اللمحات والومضات ان حرية الصحف لازمة لاية نهضـــة فكريـــة وثقافية ، ولم يكن حديث رفاعة الطهطاوى باعجاب عن دستورى ١٨١٥ و ١٨٣٠ الفرنسيين عن حرية النشر وحريـــــة « الجازيتات » والجورنالات » في كتابه عن باريز كما لم يكن جيل الثورة العرابية من بعده يختلف كثيرا في فهمه العميق عن جيل مصطفى كامل ومحمد فريد . ولم يختلف جيل ١٩١٩ عن جيل دستور ٢٣ عن ان خلاصة التجربة ان الحرية ضرورة حياة وسبب وجود للتعبير والصحافة والثقافة .

ومما يزيد تاكيد هذه القضية عند بحث تاريخ حياة اى مجلة ان نرى الصراع دائرا بين سلطة الصحافة وصحافة السلطة ولعل مصدرها التاريخي في البداية ان المطبعة سبقت الصحافة ، لان الصحافة حين نشات في العالم العربى كانت صحافة انشاتها السلطة ، بل إنها لم تصدر بالعربية أول الأمر ، وصدرت بلغتين هما لغة الاحتلال ولغة الشعب .

فالوقائع (١٨٢٨) والزوراء العراقية (١٨٦٩) وطرابلس الغرب صدرت جميعا بالعربية والتركية اى بلغتين ، والمبشر الجزائرية (١٨٤٧) والرائد التونسية (١٨٦٠) صدرتا بالعربية والفرنسية .

وسبب هذه « الثنائية » ان الصحافة ظهرت عندنا ، لتكون لسان حال السلطة الحاكمة ، وكان الهدف في البداية هو توصيل نظرة السلطة عثمانية او انجليزية او فرنسية او ايطالية !

بل ان مما يثير الالتفاف – وبحق – ان يصدر قانون ١٨٨١ الشهير في فرنسا فيطلق الحريات ، وتزدهر الجرائد الصادرة باللغة الفرنسية في الجزائر ثم لا ينطبق قانون الحريات على الجرائد العربية .

فالحرية كل الحرية للاجانب والمتوطنين تتوفر لجرائد المنتخب ، والنهضة ، والصرخة ، والايكو ، بينما الرقابة والقيود والسدود مفروضة على جريدة « المبشر » العربية ، حتى ان الامام محمد عبده عند زيارته للجزائر يبدى حزنه لانها « متواضعة جدا . وان كانت مفيدة للجزائريين على اى حال » (٩) .

واذا كان هذا هو الحال في مصر ، والجزائر ، فما كانت الاقطار العربية الخاضعة مباشرة للحكم العثماني باهنا بالا ، بل كانت القيود والسدود تدفع الى ضيق شديد وهجرة اضطرارية الى مصر ، لانها اقدم في طلب الحريات واكثر مراسا .

وللطرافة المؤلمة نورد بعض تعليمات الرقابة على عهد السلطان عبد الحميد وهى كما يلي (١٠) :

ا – قبل كل شيء يجب تنوير الشعب عن صحة جلالة مولانا الملك الغالية ثم البحث في المحصولات الزراعية وعن تقدم التجارة والصناعة في المملكة .

ب – محظور على الصحف نشر اى شيء يقترن بمصادقة صاحب الدولة وزير المعارف عدا ما يرى دولته مانعا من نشره من الوجهة الاخلاقية .

ج – محظور على الصحف نشر ابحاث مطولة مهما كان نوعها ، ادبية كانت ام فنية بحيث لا يتسنى للصحيفة او المجلة نشرها مرة واحدة ولا يجوز مطلقا استعمال كلمة « يتبع » وغيرها من التعابير التي تدل على ان للبحث صلة .

د – لما كان ترك الفراغ ، او وضع نقط متتابعة في المقال يسبب التشويش ويترك المجال لمقولات وفرضيات لا طائل تحتها ، فلا نسمح باستعمال ذلك في المقال مطلقا .

هـ – يجب الا يعطى اى مجال للطعن في الشخصيات ، واذا اسندت تهمة السرقة او الرشوة او القتل الى احد الولاة ، او احد المتصرفين فينبغى كتمانها بسبب عدم امكان اثبات صحة تلك التهم . لذلك ينبغى عدم افساح المجال مطلقا لنشر مثال هذه الامور في الصحف .

و – محظور على الصحف نشر ظلامة اى رواية (كذا) جماعة من الشعب تشير الى سوء تصرفات موظفى الدولة كما انه محظور على الصحف الاشارة الى اى



د . احمد زكى



احمد بهاء الدين

شكاوى من هذا القبيل طرقت مسامع الذات الملكية المقدسة .

ز ـ بما ان شعبنا الصادق الامن يجب الا يطلع على اى خبر يتعلق بمحاولات الاغتيال التى قد تقع ضد الملوك فى البلاد الاجنبية ، او اية مشاغبة او مظاهرة يقوم بها المفسدون فى تلك الممالك ، فمن الضرورى الحيلولة دون تسرب امثال هذه الاخبار الى الشعب بصورة مطلقة .

س ـ واخيرا ، وبما ان البحث عن التعليمات ، او التطرق اليها فى الصحف يؤدى الى ان يستغلها بعض الانتهازيين فيجب منع نشر اى شيء يتعلق بها (١١) .

المثلث الذهبى

وخلاصة مغزى هذه الاحداث جميعا أن الحرية ضرورة حياة وبقاء ، لا يكتب بغيرها للصحافة ان تقوم ، فان قامت بدونها لا يكتب لها التقدم وان بقيت دونها لا يبقى لها غير الضعف والهزال .

وخلاصة تاريخ قرن ونصف من الصحافة العربية يؤكد على اليقين ان الحرية شرط الصحافة الاول ، وبعدها لابد ان يتوفر للصحيفة الحرة الناجحة شرطان اخران :

اولهما : علاقة حميمة بين القارىء والكاتب .

ثانيهما : علاقة ذكية لادراك الاحداث الخارجية .

ومجلة « العربى » اذن ، حين تحتفل بمرور ربع قرن ، كان لا يمكن أن تولد لتبقى وتستمر لو لم يتوفر لها هذا المثلث الذهبى من حرية ، وعلاقة حميمة بالقارىء ، وإدراك ذكي للاحداث .

فلابد من الحساسية المرهفة بالقارىء ، ولابد من تعاقد حميم بين الكاتب والقارىء حتى يستشعر القارىء أن الكاتب يصله وياتيه بما يحسه فى اعماقه مضطربا هائما وهذا ما نسميه علاقة الولاء للقارىء .

والجريدة او المجلة ، كائن حي ، وحياتها ليست صدفة ، بل لقاء كالتقاء مركبات الفضاء مع الاحداث ودليلنا على كثرة التفاصيل التاريخية من امثلة عديدة . فالاهرام انتقلت من النشر الى الانتشار بسبب احداث الحرب بين تركيا وروسيا وادراكها لاهمية هذه الاحداث .

والسفير البيروتية لم تستطع الاقلاع والطيران الا بعد احداث الحرب الاهلية اللبنانية ، وحين وعت تماما اهمية متابعة وتحليل الاحداث ، وتقديم خدمة صحفية جديدة متميزة لقارىء جديد .. وكذلك جريدة « المساء القاهرية » ، جاءت احداث ٥٦ فدفعتها الى الامام وروز اليوسف ما كان لها أن تبقى لو بقيت مجلة فنية كما فى اعدادها الاولى او كما تصورتها فى البداية صاحبتها فاطمة اليوسف . فقد روت ان بائع الصحف القى بنسخة من مجلة الحاوي (لحافظ نجيب) ، وكانت حملة النقد على الفنانين بالغة نهاية القسوة . وتمنت روز اليوسف مجلة « تحمى اهل الفن من الاقلام الموتورة واخذها زكي طليمات باستخفاف ووصفها عبد القادر المازني بانها نزوة فنية ـ كما قال فى العدد الاول ـ ولكن النزوة اصبحت غزوة وتحولت الى حدث حين انتقلت من الفن للسياسة ، وادركها محمد التابعي بموهبته الفذة فابتكر لغة صحفية جديدة سلسة سهلة . وخلص لغة الصحافة من المحسنات والادبيات والجزالة الوهمية ، وحولها الى وضوح وبساطة يستحبها قارىء جديد هو الناخب الجديد بعد دستور ٢٣ الذى يشعر بالنقد والمناوشة والفكاهة والسخريات ، إنه شريك فى تقرير مصير الامة !

ومجلة العربى اذن ليست استثناء عن تلك القاعدة الذهبية .. فقد ادرك مخططو « العربى » قبل انشائها ان « حرية » العربى عنوان حرية الكويت . وقد اخذت حرية العربى من حرية الوطن ، وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية التى تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الادبية وزهوه مما يكتب .

وفى ظل هذا المناخ العام لممارسة الحرية ولدت العربى ، واروع سنوات العمر عموما هى السنوات الاولى للاستقلال (١٢) اذ يهب فيها الحماس للوطن والمواطن ويشيع فيها ما اسميه« الحلم العام » . وقد لمست هذا الحلم العام فى الهند فى اعقاب استقلالها وفى السنة التالية لهذا الاستقلال ، واظن ان جيل العشرينات فى مصر كانت به حماسة اشاعت ذلك الحلم العام بعد ثورة ١٩١٩ . والكويت لم تكن استثناء من هذه القاعدة .

وتوفر للعربى ايضا لقاء بالاحداث العنيفة التى هزت المنطقة واظهرت نوعا جديدا من الحاجة الى مجلة جديدة تتحدث عن العروبة والعربى وعن الاسلام والمسلمين بمنظور متسع الافق جغرافيا وتاريخيا . وقد احاطت بالعربى سنوات ٥٨ وما بعدها وماجت باحداث عنيفة عربية وعالمية هى مرحلة « الاسراع » فى تصفية الاستعمار المغادر القديم ، استعمار بريطانيا وفرنسا ، وكانت فرنسا قد انهزمت عسكريا فى الحرب وانجلترا انهزمت اقتصاديا رغم نصرها ، وبدات شمس الاستعمار القديم فى الافول ، وهب فى المنطقة ما بين الثورة والتطور ، او ما بين الثورة والاصلاح وظهرت ثورة الجزائر تهز الوطن العربى شعورا ووعيا وجاءت دولة الوحدة تجربة جديدة رائدة .. وكانت احداث لبنان والعراق وسوريا عنيفة تهز العقل العربى .

وكان الوطن العربى زاخرا باحداث كبرى . وكان ثمة عالم جديد يولد ، وقارىء جديد يظهر . والمجلة لا تلتقى بقرائها واحدا واحدا ولكنه حدس وفن والهام بنوعية القارىء الشغوف الذى ينتظر خدمة جديدة .

ولم يكن غريبا ان يكتب احمد زكي رئيس تحرير العربى فى العدد الاول قائلا :

« ان مجلة العربى لهذا الوطن العربى كله من الخليج شرقا الى المحيط غربا ، ومن حلب شمالا الى مكلا وجوبا جنوبا » .

ويقول ايضا : « والعربى للفكرة العربية خالصة » . وهى لكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان ، فهى ضد الجهل ومع المعرفة ، فى هذا الوطن العربى كله . وهى ضد المرض ومع الصحة . ومن الصحة العقول . وهى ضد الفقر . ومع الغنى تطلبه للفقير ليستغنى . وتطلب له من اجل ذلك التعليم الطويل ، والتثقيف الواسع والتدريب الصادق ليعمل مخلصا ويعيش من عمله عيشة راضية كريمة . وتطلب له مجالات العمل ليعمل مخلصا ويعيش من مجالات العمل بعد ذلك بحسبان ان العمل حق من حقوق الانسان على المجتمع الذى يعيش فيه ، وان التعطل حتى فى الثروة والاستغناء مناقضة صارخة لقانون الطبيعة ، قانون الحياة والاحياء ، وهو محقر بكرامة الانسان ، معظم كبرياءه » .

ويضيف : « ومن المعاني التى تتمخض عن الفكرة العربية كما تفهمها العربى الا تتورط فى اشتراكية مفرطة وسمها ما تشاء ولا فى ديمقراطية مفرطة « والعربى » تؤمن بحريه الفرد فى الحياة وهى كذلك تؤمن بحرية المجموع ولا ترضى ان تطغى عليها حرية الفرد فتذهب بها . وانها موازنة دقيقة بين شيئين وهى موازنة عسيرة فى ظل الجهل والفقر والمرض . وهى على اصداء التاريخ مزعجة ، ولكنها يسيرة اعظم اليسر على الرزق الطيب عندما يغزو ، وعلى الصحة عندما تغزو المرض ، وعلى نشر الثقافة تلك الثقافة التى تعتز العربى بانها تشارك بنصيب فى نشرها وانها نصيبها الاكبر فيما تريد ان تسدي به الخير الى ابناء الوطن العربى وبناته » .

ويقول احمد زكي : فى افتتاحية العدد الاول : « واهداف الوطن يجب ان تربط باوثق رباط واسرع رباط والثقافة واوعية الثقافة من صحف وكتب يجب ان يكون لها السبق عند الشعوب العربية جميعا فى الترحيب بها ضيفة وارخاصها بضاعة » .

وهذه السياسة العربية والعربية نجدها ثابتة « سارية » فى اعداد العربى من اولها الى العدد ٣٠١ ـ موضع الدراسة تتاكد عددا بعد عدد ، ويقول احمد زكي ويحدق فى مطلع السنة الحادية عشرة فى عدد يناير ١٩٧٠ . « ولعل ما ثبت العربى عند مطالبته خطة سابقة رسمناها وعلى السنين لزمناها وسبق ان ذكرناها ، ذلك ان العربى استقى فى كل عدد من سائر صنوف المعرفة ما اشتهر منها وعم . ولقد نذكر من هذه الأبواب : اللغة العربية والادب العربى ، وما يتصل بالادب العربى من طرائف وكذا الادب الغربى والشعر والشعراء والقصص والعروبة والاسلام دينا وشئونا . والتاريخ النافع عن شرقي وغربي وحياة الرجال والنساء والتربية وعلم النفس والمراة والاسرة وغير ذلك الاستطلاعات المصورة وهى تعريف العربى باوطانه العربية ، وبوطنه العربى الكويت صاحبة الفضل فى كل هذا وهي صفحات فى العربى مشرقة بالوانها ومبانيها ومعانيها . وتشهد العربى اذ تستهل عددها الاول بفكرة صحفية مبتكرة ميزتها عن بقية المجلات الشهرية الثقافية ، جمعت بين الصـورة والتحقيق ، نموذجـا للتحقيق المصور وضعته تحت عنوان « ايها العربى اعرف وطنك » ونشرت فى هذا العدد خمسة « استطلاعات » او تحقيقات مصورة ، واحداً عن الكويت وثانيا عن القاهرة بالليل وثالثا عن « قصة » ٣٢ مليون نخلة بالعراق ورابعا عن القات شيطان فى صورة شجرة (اليمن) ثم تحقيقا عن يوم جيش التحرير الجزائرى » .

ونرى على طول الـ ٣٠١ عددا ، وهى ثمرة ربع قرن ، استطلاعات صحفيـة (بعضها خمسة واقلها ثلاثة) تنتقل بالكاميرا والقلم ما بين المشرق والمغرب والجنوب العربى . وقد لازم هذا التخصص اعداد احمد زكي (حتى العدد ٢٠٤ واستمر عند احمد بهاء الدين (حتى الى العدد ٢٨٤) وتمسك به الرميحى حتى الآن .

وفى ظني ان الاستطلاع المصور ، وتحت شعار « ايها العربى اعرف وطنك » لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا ، لانه اشبع حاجة القارىء العربى الشغوف الذى كان فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات يسمع حديثا مدويا وملحا عن القومية العربية والعروبة ، وسهلت المجلة للقارىء ان يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربى ، ويكتشف خفاياه ، واركانه ، وجوانب من الثقافة والعادات والتاريخ والمكان . فهو ينتقل من العدسة المصورة ، ويرى باللون ـ وقد يكون لاول مرة ـ جربة ، او سد مارب ، او موريتانيا او زبيد او ظفار او جيبوتى او تافراورت او جزيرة سوقطرة ومن اماكن غيرها يندر الوصول اليها او يتعذر .

وبقدر ما يلاحظ الباحث تشابها بين بعض ابواب « العربى » وبعض المجلات الثقافية الاخرى التى سبقتها ، فان ابتكار هذا الباب المصور كان تحفة صحفية ، اشبعت حاجة ملحة للقارىء ، فتعلق بها ، واحس بفضلها ، وهذا ما نقصده بعقد الصلات الحميمة بتقديم الجديد للقارىء الجديد .

الاديب العالم

وقد تراس احمد زكي مجلة العربى وظل رئيسها حتى العدد ٢٠٤ ، وانتظم فى تحريرها بداب . واحمد زكي عالم اديب . وقال عنه احمد امين انه « ادب العلم » وقال عنه العقاد : « انا لا اقرا للدكتور احمد زكي الا واتصوره قد جلس الى مكتبه وبيده الاخرى مسطرة وبرجـل » . ونسـتطيع ان نلمس بسهولة تاثير احمد زكي فى المجلة من الغلاف الى الغلاف . لانك تجد دائما بروازا هنا او هناك يعود فيه الى الموسوعات ودوائر المعارف ، ويندر ان تعثر على خطا تاريخى او اهمال لا يعقبه تصويب فى عدد ما ، لان احمد زكي كان عالما موسوعيا مدققا ، او لنقل انه كان كيمائيا حتى فى كتابته يزن كلماته ، ويرتبها ، وينسقها ، كما يزن ابواب المجلة ويرتبها وينسقها بتوازن متميز اصبح طابع « العربى » العام .

ويقول احمد زكي فى السنة الحادية عشرة ، عدد يناير ١٩٧٠ : « وتميزت العربى فيما تميزت بالعلم الحديث تنشر منه اطرافا . فاخبار العلم واخبار الطب والعلم باب وحده والطب له بابان . باب يصف فيه من الامراض ما شاع ، وباب يجيب على من يسال من القراء عن امراض واعراض ، وباب ثالث تلك صفحة الطب المصور ، وهى لا تتصل بالمرض ، وانما تصف الجسم على الصحة تركيبا ووظائف واستبدلناها فى هذا العدد بباب جديد ، يجمع بين الاحياء جميعا والانسان منها واسميناها « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه » وقد شرحنا اهدافه هناك ..

وباب جديد فى العلم مشينا فيه خطوات، بدانا تجربة ، فاذا بالبريد يحمل الينا عنه الحمد الكثير المستطاب . وذلك باب « فى سبيل موسوعة علمية » ويجد القارىء فى هذا العدد خاصة استعراضنا للمرحلة الاولى التى انتهى بها الانسان بالنزول الى القمر .. وهو عرض طال لاننا لم نرده عرضا صحفيا فحسب ولكن اردناه علميا ، كذلك ضمناه ما اتسعت له الصفحات من اجابات على اسئلة لابد هى عارضة للقراء غير العلميين اذا هم قراوا . وجعلناها من البساطة فى مكان .





جرجي زيدان

فارس نمر



رفاعة الطهطاوي



احمد حسن الزيات

محمد الشابعي



روز اليوسف

واحمد زكى من هذا الجيل الذى توفر على الدرس قبل الكتابة ، والاحاطة الموسوعية والتدقيق الموسوعى . وهو جيل فريد عرفت بعض شخصياته ، وكنت اعجب بفرط عنايتها بما تكتب وتنشر ،

حتى انني كنت الحظ عبد الرحمن صدقي الكاتب الفنان وقد جاوز السبعين يحضر لمجلة الهلال يراجع مقاله بعناية وصبر وحماس كانه فى الثلاثين . ولاحظت انه يملأ غرف بيته بالكتب حتى ضاقت فاصبح يصفها فى دواليب متخمة ، فهذا دولاب لبودلير وثان لجوته ، وثالث لسيرفانتيس .

ولاحظت ان العقاد يتردد على مكتبة كنت اعرف صاحبها ، واكتشفت بعد مدة ان العقاد يبيع الكتب ولا يشتريها ، وعرفني صاحب المكتبة ان العقاد لم يكن يبيع لعجز مالى ، ولكن لانه يعجز فى العثور على الكتاب بين اكداس كتبه ، فيضطر لشراء نسخة ثانية ثم يتخلص منها بعد ان يفرغ من حاجته . وروى لي ابن سلامة موسى انه كان يلعب مع ابيه لعبة « القاموس » . وكان الابن يمتحن الاب فى كلمات القاموس الانجليزى ، فاذا لم يعرف سلامة موسى معنى كلمة واحدة انقده جنيها . وقال الابن انه كان نادراً ما يفوز .

واحمد زكي من هذا الجيل الموسوعى النادر ، وقد ترجم والف فى العلم والادب معا ، فترجم مع حسن الزيات غادة الكاميليا او مارجريت ، ولكنه كما قال كان اعرف بالادب الغربي من العربي (حديث لمجلة الاثنين سبتمبر ١٩٤٥) ، واشتغل استاذا للكيمياء بكلية العلوم جامعة فؤاد ، واصبح مديرا لمؤسسة البحوث العلميـة المصرية ، ثم اصبح وزيرا وعينته حكومة الثورة عام ٥٣ مديراً لجامعة القاهرة ، ومن مؤلفاته « سلطة علمية » وفى سـبيل « موسوعة علمية » ، « مع الله فى الأرض » « مع الله فى السماء » ، « بواتق وانابيب » « بين المسموع والمقروء » .

وقد اهتممت بين كل مناصبه قبل توليه « العربى » برئاسته لتحرير « الهلال » ما بين يناير ١٩٤٧ ونهاية ١٩٥٠ ، حتى اكتشفت العلاقة بين الهلال حينذاك والعربى « الجديد ، ولاحظت انه نقل الهلال ايضا نقلة كبيرة فى الشكل والمضمون . فقد انتقلت الهلال فى عهده الى حجم جديد ، وشكل ثالث ، وطباعة اكثر اناقة ، وعناية بالغلاف والعناوين والاخراج والطباعة ، مع استخدام لطيف للصورة فى حدود مدرسة دار الهلال من عناية بالصورة النسائية والتاريخية وصور الشخصيات وصور المناسبات مع جماليات كلاسيكية .

وفى العدد الاول ـ بعد التجديد ـ يناير ١٩٤٧ نجد احمد زكي تلح عليه نفس الفكرة التى عاد اليها وحققها بنجاح ملموس فى العربى ، اذ يقول : « اننا نعود فنذكر ان الهلال مجلة العالم العربى كله ، وانه ليسرنا ان يساهم فيه ادباء الاقطار الشقيقة فى نطاق الخطة التى رسمناها » .

ونلحظ فى هذا العدد من يناير ١٩٤٧ من الهلال مقالات مركزية عالية الاسلوب راقية المستوى لكبار الكتاب فى هذا العصر . منها فلنهدم الهرم الأكبر لابراهيم عبد القادر المازنى ، وحديث مع محمد علي الكبير عن وحدة وادي النيل لعبد الرحمن الرافعى ، وايمانى لعباس محمود العقاد ، وانصفوا الشباب لاحمد زكي ، واخطائي لفكرى اباظة ، ومن هو العظيم لطفى السيد ، ورسالة الى ... لطه حسين ، واستفد من تجاربى لاحمد امين ، وذكرى عهود لمنصور فهمى صور وفنون لانطـون الجميل والجماعى على المسرح لزكى طليمات ، وكيف نستغني لسلامة موسى ، والمصرية فى الميزان لامينة السعيد ، وبتهوفن لعباس حافظ ، ورايت بلاد العجائب لامير بقطر ، وقصة مدينة فى يوميات حلمى مراد (القصاص) ، واظرف من عرفت لاحمد رامي ، ومقال لاندريه مورو ـ كتب خصيصا ـ عن مصير الامبراطورية البريطانية والاستعمار بوجه عام ، واردن رجلا لبنت الشاطىء ، وكتاب الشهر غرام ملك لاميل لودفيج .. الخ .

ويظهر اهتمام احمد زكي بالطب ، فيورد مقالين « الجسم السليم فى الانف السليم »

للدكتور محمد فطين ، وعيادة الهلال للدكتور سليمان باشا عرفي (عن المعدة) .. وبالعلم في عالم يغوص في اعمق اعماق المحيط .. وبالفن ينشر صورا لمشاهير الرسامين الغربيين مع تعليق الدكتور محمد موسى . وهكذا نجد ان احمد زكي قد احتفظ في العربي ببابه « حديث الشهر في الهلال » وبفكرة « كتاب الشهر » ، وباب « العلم والطب » وغير ذلك من الثوابت في المجلات الثقافية الشـــهرية كبريـد القراء (١٣) .

وبتحليل العدد الاول من مجلة العربي ، فقد نشر لعباس العقاد عن صلاح الدين الايوبي ، والقومية العربية كما ينبغي ان تفهم لمحمد احمد خلف الله ، والتطور والثورة للدكتور كامل عياد استاذ كلية التربية بالجامعة السعودية والتبادل الثقافي بين الشرق والغرب للدكتور جميل صليبا ، ويناقش قضية نقل التراث الحضاري وهل ساهم العرب في الحضارة العالمية ام اقتصروا على التقليد ، ويجمع العدد بين العلوم عن الزيت والذرة ، واخبار العلم والعلماء ومرور مائة عام على مولد مكتشف الفيتامينات ، وفي الطب عن السرطان ، وطبيب الأسرة ، واخبار الطب والأطباء ، ويجمع بين القصائد الشعرية والقصص ، ويضيف الاستطلاعات المصورة (وقد تحدثنا عنها من قبل) ولوحة الشهر ، والاذاعة العربية ولغتها لفاروق خورشيد والمسرح ، ومرآة الراي العربي ومرآة الراي الغربي ..

وهكذا يضع احمد زكي صيغة موسوعية للادب والعلم والطب والفن ويأخذ من كل شيء بطرف ، ويضع معادلة « كيمائية » متوازنة ما بين الأصالة والحداثة وما بين العربي والغربي ، وما بين القديم والجديد ولو انه جنح الى الأدب لاصبحت مجلة ادبية ولو افرط في العلم لاصبحت علمية ولو تطرف في الطب لاصبحت طبية ولو اخذ الفن عليه ماخذا لاصبحت مجلة فنية .

لكن احمد زكي في اعداده المائتين وضع هذا التوازن الصارم لتكون المجلة «جامعة» وشعبية تبسط العلوم والطب والاختراعات والادب والتاريخ والفكر ويفيد قارئنا بالمعلومات ، وهي اقـــرب الى مجـلات « التعريف » واداة تثقيف عام . وكان احمد زكي قد هدف ان يعرف القارىء بكل شيء . ان يعرف القارىء موطنه ، بل ويعرفه بجسمه ويعرفه تاريخه وادبه القديم والجديد . واطرافا من كل شيء ايضا في معادلة متزنة اتزان عناصر الكيميـــاء ، ولناخذ مثلا واحدا في مادة التاريخ وعاما واحدا هو عام ٦٩ لنكتشف اتساع الدائرة المعرفية او على الأصح التعريفية التي توختها « العربي » وهدفت اليها .

نجد مثلا « القدس للباقوري » والقادسية لمحمد رجاء حنفي ، والاندلسية لمحمـــد عبد الله عنان ، وفتح العرب فرنسا لنور الدين محمود ، والتراجم والسير لعلي ادهم (يناير) وروبسبيير لعلي ادهـــم (فبراير) وانشاء الشعر لابراهيم انيس ،

والحجاب عند الشعوب القديمة لمحمد سلام زناتي ، والعرب في الاتحاد السوفياتي لنجده فتحي صفوة ، والناصر لدين الله العباسي لمصطفى جواد ، وخرستوف كولومب لعلي ادهم (مارس) وحدود ثقافة الصحابة لعبد النمر (ابريل) وغزوة خيبر لجعفر جمال الدين والغجر في المراجع العربية لعلي ادهم (مايو) واليهود تحت مظلة العروبة والاسلام لعلي ادهم (يوليو) عهد من الاستشراق (اغسطس) والحجاب عند العرب وفي الاسلام لمحمود سلام زناتي والطب العربي في مدرسة سالرمو الطبية لفيصل دبدوب (سبتمبر) والشخصية الانسانية في الحركـــة التاريخية لعلي ادهم ، وماوتسي تونج لحمد طنطاوي (اكتوبر) وبطرس الاكبر ومكانته في تاريخ روسيا لعلي ادهم (نوفمبر) وبالعمل الفدائي انتصر الاسلام في اول ظهوره لعبد الله كنون (ديسمبر) .

ويضيق المقام لضرب الامثلة التي تؤكد نفس الاستنتاج : ان العربي عمدت بقصد الى الموسوعة والاتساع ، ففي العلوم نجد مواضيع من الاجسام الى الاحتكاك الى الارض الى الازهار الحيوانية الى الاسفنج ، والاسلحة الكيماوية ، والاسماك والببغاوات (وهي احب الطيور الى احمد زكي) والبطريق ، وتحلية ماء البحر ، والتغذية ، والهضم والتكنية ، والتماثيل ، والتنفس ، والتوائم ، والثعابين ، والجاذبية ، والجبال ، والجهاز العصبي ، والجوارح من الطير ، والجواهر ، والحرارة والحشرات ، والحصان ، والهضـــبة ، والحيوانات اللاسعة ، والخزف والعمار ، والخلية ، والخمائر ، والخنافس ، ودم الانسان ، والدورة الدموية ، والديدان ، والوزة ، وذكاء الحيوان ، والـــذهب ، والزلازل ، والزواحف ، والسلاح الذري ، والسلاحف ، وزرقة السماء ، وسماعـــة الصدر والقلب ، وشعاع الصوت وشعبة الحيوانات الرخوة ، والشمس ـ ام الحياة وام الطاقات ـ وكواكبها السيارة ، والشياه ، والصابون ، والصاروخ ، والصحراء ، والصدى ، والصدر ، والطاقة ، والطائرة ، وطعام الانسان ، والطعـــام والجنس ، والطير ، والضفدع ، والعجلة ، والعقارب ، والعمر ، والعناكب ، وغاز النفط ، وغطاء الاجسام ، والقطس والغطاســـون ، والفيروسات والقراد والقرش ، وقصة الخلق والقط وقنبلة اسرائيل ، والكليتان والكهرمان والكيماويات ، والمادة والماديون ، والماس ، ومدافع الهاون ، والمد والجزر ، والمعدة ، والمملكة الحيوانية ، ومملكة النحل ، ومنخفض القطارة ، والمياه في الصحراء الكبرى ، والنار ، والهرمونات ، والهضم ، واجهزته ، والهضم والتغذية ، والهندسة عند العرب ، وهياكل الحيوانات .. الخ (١٤) .

واذا كانت العربي قد تميزت بهـــذا التوازن « الكيميائي » بين ابواب المجلة ، ومادتها ، فقد تميزت ايضا من ناحية شكل العرض بالتنوع ، بين شذرات قصيرة ، ومقالات طويلة ، وبين صفحة واحدة للافتتاحية او ثلاثين للاستطلاع المصور ، وما بين بريد القراء وانت تسال ونحن نجيب ، وما بين طرائف غربية وطرائف عربية ، وقد ساعد ذلك على كسر الرتابة ، وتنويع الايقاع مما جعلها مجلة مقبولة ومشتهاة .

واذا كانت العربي قد استطاعت ان تعرض اكثر من الفي كتاب (١٥) في ما يقـــرب من مائتي عدد .. وهذه في حد ذاتها موسوعة ثقافية ، واستطاعت ان تنقل القارىء ما بين ابن خلدون الى جميس جويس ، فقـــد استطاعت ايضا ان تعطي القارىء ٢٩٨ موضوعا عن الكويت في ٢٠٤ اعداد تناولت الاحتلال والدستور والديمقراطية ومجلس الامة والثورة العمرانية ، والعمارة والصحافة والاذاعة وادباء الكويت وبترولها وتاريخها .. بل خفر السواحل والشرطة !

وفي ظني ان اغلى ما حرصت عليه العربي هو انها لم تبدد ثقة القارىء بها . ومبعث ذلك هو العناية بمادتها ، وتدقيقها في كل ما ينشر فيها ، والعناية المتلهفة براي القارىء . وقد استهلت عددها الاول باستفتاء له جوائز ـ عن مقالات اعجبت ، ومقالات اخفقت . (وهذه الاسئلة نفســها نجدها في هلال احمد زكي) ونجد احتفاء وعناية ببريد القراء (١٦) ، وانت تسال ونحن نجيب بصورة تدل على ان المجـــلة لا تفرض الثقافة والمعرفة ، بل تقدم خدمة ثقافية بناء على طلب القراء ونقدهم وحوارهم .

التجديد من خلال الاستمرار

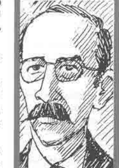
واذا كان احمد زكي ـ ولا نستطيع ان نوفيه حقه ـ عالما اديبا وموسوعيا مدققا وجامعيا حريصا على استقلاليته الفكرية ،



احمد فارس الشدياق




يعقوب صروف



ابراهيم اليازجي

ليبرالى النزعة ، مشغوفا بالموسوعات ودوائر المعارف ، وقد نجح فى ان يجعل مجلته تصل الى اقصى البلاد العربية ليقدم خدمته او « هديته » . فقد كان احمد بهاء الدين « صحفيا » بارعا ، عقلاني النزعة ، مشغوفا بالمستقبليات ، محبا للحرية ، مهموما بقضية السلطة والشرعية والحرية وقد ادرك بهاء الدين صعوبة تغيير ما هو ناجح فعلا ، وكان نجاح العربى قيدا عليه ، فسعى الى التجديد فى روية وسماه « التجديد من خلال الاستمرار» ويصف احمد بهاء الدين سياسته ، وهو يودع قراءه : فى يوليو ١٩٨٢ العدد ٢٨٤ .

« .. كان مفتاح نجاح هذه المطبوعات الثقافية شيئا اساسيا : انها خالية تماما من اى رائحة دعاية ما او توجيه ما . انما هي ثقافة للثقافة . ولولا ذلك السطر النحيل الذى يقول انها صدرت عن كذا بالكويت فى مكان غير بارز .. لما عرف القارىء الجديد فى اي بلد صدرت !

« وفى تجربتي الخاصة بمجلة العربى ـ وهى بحكم نوعيتها ولونها ـ الاوسع انتشاراً بين فئات شتى من القراء ، فلم يحدث قط ان كان لدولة الكويت مطلب او اقتراح او احتجاج » .

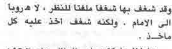
.. ومن تجربتي الطويلة بالاشراف على مؤسسات صحفية (١٧) : اعرف ان اكبر غلطة هى ان ياتي رئيس تحرير جديـــد ـ او قديم ـ ويقلب جريدة او مجلة راسا على عقب ، مهما كـان التجديد رائعاً ، وكانه بذلك يقدم للقارىء مجلة جديدة ويضعها فى اختبار جديد .

هكذا كما تعودت دائما ـ كانت محاولتى فى مجلة « العربى » هى التجديد من خلال الاستمرار .. ان نضيف الى القراء قراء جدداً لا ان نستبدل قارئا بقارىء ، وتوسيع مجرى النهر لكى يتسع لمزيد من الثقافة ، دون ان يتحول الى بحر مظلم فوضوى لا يحده شاطئان ..

من هذه المنطلقات حافظنا على الاهتمام بالتراث مع محاولة الانتقال من مجرد نقله الى مناقشته وتامله وتبادل الراي فيه .. حتى يعود النبض الحي الى كل ما هو صالح واساسى .

وحاولنا ان نطور الاستطلاعات المصورة من مجرد التسجيل الجغرافى المعلوماتى الى التحليل والتعميق .. والى اختيار موضوعات لها فكرة مثل سلسلة « المضايق العربية » والبحار العربية .. وهى عناوين تستدعى بطبيعتها المزج فى الاستطلاع بين التقرير الجغرافى والسكانى الى الآفاق الاستراتيجية والسياسية والتكاملية فى العالم العربى .. كما ذهبنا خارج العالم العربى الى افاق اخرى بعدت عنا قرونا لايقاظ روابطنا بها : فبحثنا ـ واحيانا بعناء كبير ـ وراء التراث العربى والاسلامى من الصـــــين شرقـــا الى الجمهوريات السوفيتية .. الى اعماق افريقيا .. الى جوار البحر الابيض المتوسط كمالطـــة وقبرص وصـــقلية .. ثم الاندلس (١٨) .

وكان من اكبر اهتماماتنا ان نضيف الى ذلك « المعاصرة » فاضفنا موضوعات فى السياسة القومية ، والاقتصاد ، والعلوم الحديثة ، ثم الاهتمام بالفنون الجميلة كالمسرح والسينما والتليفزيون .. والتركيز فى فن الرسم على الرسامين العرب فى كل قطر عربى ، وكل قضايا وعلوم المستقبلية واحمد بهاء الدين شحيح بلفظه لهذا يتسق فكره مع عبارته . تعبيراً عن عقلانيته ، ولعله من الطريف ان نتوقف عند مستقبليته



وقد شغف بها شغفا ملفتا للنظر ، لا هروبا الى الامام . ولكنه شغف اخذ عليه كل ماخـــذ .

ودليلنا ما كتبه فى الهلال عام ١٩٦٢ بعنوان تحريرا ١٩٨٧ ، يقول :

طلبت مني مجلة « الهلال » ان اتصور العالم بعد خمس وعشرين سنة ، ان اتصور انني جالس فى مكتبي ادبج مقالا عن الموقف الحاضر ابداه قائلا : تحريرا فى اول مارس ١٩٨٧ .

« ولكنني اعتقد ان هناك ثلاثة مجالات بالذات من مجالات التقدم العلمي . سوف يكون لها اثر كبير على حياة الانسان عام ١٩٨٧ .

الاول : هو البحوث الجارية الآن لتحويل مياه البحر الملحة الى مياه عذبة ..

الثاني : هو بحوث الفضاء التى تتمتع بما يكفيها من جهة الدعاية ومن اهتمام الناس .

فقبل سنة ١٩٨٧ سيكون الانسان قد وصل الى القمر فى رحلات متوالية وسيكون قد تم ارسال اول بعثة علمية كاملة بعلمائها واجهزتها الى المريخ والقمر وغيرهما من الكواكب القريبة .

وفى سنة ١٩٨٧ لن يكون القمر او المريخ كوكبا مسكونا ، فالأرض مازالت فيها مساحات هائلة لم تكتظ بالسكان بعد . ولكن هذه الكواكب ستكون مسكونة قطعا ببعثات دائمة من العلماء المزودين بالاجهزة اشبه بالبعثات العلمية التى تقيم الآن فى القطب الجنوبي .

ستكون فى هذه الكواكب اذن مدن علمية تنمو تدريجيا . اما الانسان العادى فقد يبدأ فى السفر اليها فى شكل مجموعات للسياحة اول الامر .

وليس هذا كله الا مقدمة لاكتشافات علمية اخرى تزيدنا معرفة باسرار الكون والحياة . وسيكون اول اثارها معرفة المزيد عن الطاقة الشمسية لاستغلالها على نحو ارخص بكثير جداً عن الطاقة الكهربائية او الطاقة الذرية (١٩) .

ومن يقرا الأعداد المائتين الاولى لاحمد زكي ثم يقرا الثمانين عدداً التالية لبهاء الدين يلحظ ان مهمة العربى فى المرحلة الاولى كانت هى التعريف بكل شيء . وهو اول درجات المعرفة .. بينما حاول بهاء الاستمرار فى هذا الطابع ، لكن الاحداث غلبته ، وطبيعة الصحفى فرضت عليه الانتقال من التعريف الى المنهج والقضايا ، مع احساس درامي بالاحداث الجارية تتوفر دائما للصحفى الكاتب .

وحتى فى الاستطلاعات المصورة حاول ان تنتقل المجلة من مجرد التسجيل الجغرافى والمعلوماتى الى التحليـــل والتعميق ، واختيار موضوعات لها فكرة

مثل سلسلة « المضايق العربية » والبحار العربية ، وهى عناوين تستدعى ـ كما يقول ـ بطبيعتها المزج فى الاستطلاع بين التقرير الجغرافي والسكاني وبين الاستراتيجية والسياسية والتكاملية فى العالم العربى .

وقد اضاف قضايا جديدة ، واسماء مجددة فى السياسة والاقتصاد ، والعلوم الحديثة ، ثم وسع الاهتمام بالفنون الحديثة، كالمسرح والسينما والتليفزيون والفنون التشكيلية .

ابتعدت اذن الثقافة فى العربى ـ من المجلة الوصفية التعريفية الى الثقافة التقويمية التى تثير القضايا وتحلل الازمات وناقشت المجلة العروبة والدين والقومية والوطنية والتنمية والموقف العالمى وصراع الشمال والجنوب ، وحاولت وصل عقلانية الثمانينات بعقلانية الثلاثينات ، فنشرت صفحات لزكي مبارك وطه حسين وعجاج نويهض وشكيب أرسلان ومحمد عبده والكواكبي وخير الدين التونسي وكانها تستنجد بهذه الاقلام ! وكانها احست بضربات عنيفة تطرق العقل العربى ، فافردت ابحاثا ومحاورات حول التطرف والارهاب ، والغزو الفكري ، وتهديد الكيان ، وكانها تستشعر ما اسميه أزمة الضمير العربى .

وحتى فى التاريخ ، كانها ارادت طرح قضية اعادة كتابة التاريخ ، فنجده يتحول الى قضايا تاريخية ، مثل حقيقة دور المماليك ، او تقويم الدولة العثمانية ، او حقيقة دور الامكانات فى الوطن العربى ، او تاريخ المعارك العسكرية الاسلامية . وفى العلوم كذلك فتحت المجلة باب الاجتهادات لفلسفة العلوم ، وفي التراث اثارت قضايا الموروث والوافد ، والأصالة والمعاصرة ، والتغريب والغزو .

وأصبحت المجلة اكثر موسوعية ، واكثر درامية . وابتعدت على استحياء من مهمة التعريف الى مهمة اثارة القضايا ، مع الاحتفاظ دائما بعمودها الفقرى وهيكلها العظمى القديم ، مع تغيير فى الشكل والطباعة .

ولقد كان اقوى ما فى العهدين هو الثقافة العامة ، واضعف ما فيها هو الابداع الادبى والفني ، وقد يرجع ذلك الى طبيعة رئيس التحرير ، فكلاهما اقرب الى الفكر والسياسة والعلوم ، وابعد عن ملاحظة الابداعات فى محيط القصة والشعر على الرغم من الاضافات التى اضافها بهاء الدين من أسماء وابحاث فى المسرح والسينما والتليفزيون والفيديو والفنون التشكيلية (٢٠) .

ولكن الابداع فى الرسالة والثقافة والكاتب المصرى والسياسة الاسبوعية والآداب والاديب اقوى بلا شك مما حوته « العربى » ولعلها قصدت ذلك او عجزت عنه .

مخاطر التنويع

انك تقرأ مقالا عن اللغة او الدين ثم مقالا عن عقدة الهجر عند الوجوديين ، ثم عرضاً لكتاب عن الاتحاد السوفيتي و ازمته الديمقراطية القادمة ، ومقالا عن القران الكريم وحقوق الانسان ، وقد تقرأ عن التنمية او الذرة او الاسفنج ، وقد تجد دفاعاً عن طه حسين ، ثم بحثا عن الروماتزم او فقر الدم او طفل الانابيب وشيئا عن الفضاء وهذا التنوع قد يثير اضطرابا وجزعا اذا اصبحت المجلة كشكولا .

وصحيح ان الهدف فى التوسع والموسوعية هو التعريف بكل شيء . ان تعرف الوطن ، والعقل والتاريخ والادب والسياسة والجسم والتنفس . لكن قد تصبح المجلة الثقافية كل شيء ولا شيء !

ومن هنا كانت فراسة هيئة التحرير ، ان يؤخذ من كل منه بطرف ، وبمقدار ولا يهبط بها الى تنافر وفوضى .

وقد ينظر البعض نظرة فوقية حين يتهم مثل هذه المجلات الثقافية الادبية العلمية الطبية التى تمتد مادتها للطرائف والمأثورات انها تلفيق ثقافى ، وهى نفس التهمة او النكتة التى تشيع بين المثقفين فى باريس عن سلسلة « ماذا اعرف ؟ » Que sais - ge وهى سلسلة تثقيفية تبسط العلوم والفنون والآداب والتاريخ ، وقد تنشر عن البنسلين او الفضاء او الأدب الايطالى او ادب امريكا اللاتينية او قصة الورق او حرية الصحافة .

وهم يتهكمون على سلسلة «ماذا اعرف» بان من يقراها ويفرغ منها يقول ايضا : ماذا اعرف ؟

لكننا لا نرى فى نشر الثقافة العامة ، واشاعتها والاخذ بيد القارىء لاستنهاض فضوله واثارة شغفه ، وتنوير عقله ، ومعونته على المعرفة شيئا يستحق الاستخفاف ، بل انه دور خطير .

ولست مع التهجم الاكاديمي ـ صدق او كذب ـ لأن التبسيط فن صعب للغاية .

ودور الصحافة الثقافية هو نشر المعارف الأساسية ، حتى تقوم المجلة محل الجامعة والمدرسة ، وتحل محلها لمن لم يكن له حظ الانتظام فى التعليم .

وهناك من يعقد السهل ، وهناك من يبسط المعقد ، وهذا فن الفنون . وقد اشتهر أن الألمان يعقدون البسيط ، والفرنسيين يسهلون المعقد . ولاحظت ان الفلسفة الوجودية ـ الحديثة ـ نشات عند هيدجر وهوسرل وظلت حبيسة مدرجات الجامعة والمصنفات الفكرية ـ حتى جاءها جان بول سارتر فبسطها وسهلها . ولاحظت انه وهو لا يزال فى الايكول نورمان ـ عام ١٢٩٧ ـ ترجم هوسرل فلما جاءت قارعة الهزيمة وهزمته احداثها ، طرح وجوديته باسلوبين كما فى « الوجود والعدم وهو كتاب عسير لا تدركه الا بقواميس وتفسيرات ، وقد تدرك منه بعض صفحة لا تكملها . ثم استعان بكتب اخرى مبسطة مثل « الوجودية فلسفة انسانية » يفهمها طالب الجامعة وسيدة البيت وفتاة المقهى ... وقصد سارتر ان ينقل الوجودية الى الشارع ، فالف المسرحيات ، واستخدم ابطال الاغريق لينطقها بفكره ، واستعان بالفيلم ، والمقال والمسرحية حتى يبسط المعقد .. ويصل الى الجمهور العريض .

ومهمة الوصول الى الجمهور مهمة عزيزة ، فقد لاحظت ان ابن مماتي وزير صلاح الدين الايوبي كتب كتابا بالفصحى عن المالية ، وآخر بالعامية هو الفاشوش فى حكم قراقوش ، استعان فيه بالنكت والمفارقات ليصل للجمهور العريض ايضا .

والمجلة الثقافية العامة لابد ان تاخذ بالتبسيط مع الرقي ، حتى تشيع بين الجماهير ، وتقوم برسالة المدرسة والجامعة .

والعربى عندى ـ خلال خمسة وعشرين عاما ـ قد أدت رسالة ثقافية كبيرة ، وضرورية لا يقدح فيها غياب المنهجية او ما التزمت به من حياد ، لأنها لم تنشا لتكون مجلة صدامية . انما نشات للتعريف والتنوير ، وحسبها ما رسمته لنفسها من هدف حققته ونالت به رضاء القراء ونشر الثقافة .

كلمة عن عهدها الجديد

ولعلي لم اتحدث عن الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير الجديد ، لان عاما وبعض عام من مجلة ناجحة ، تفرض الاستمرار فرضا ، ولا اقول التكرار ، لا يفصح كله عن خطة الرميحي . واغلب الظن انه سيستمر فى تحقيق رسالة العربى بكفاءة وعناية وهو يدرك أن المجلات كالحدائق تحتاج الى العناية بها . ويدرك اهمية قضية الاخراج والتبويب والالوان . ولعله يدرك اهمية « توظيف » اللون والانقلاب الطباعى الذى حدث فى العقد الأخير فيدخله الى العربى دون أن يفرط فيما أسميه المحسنات الطباعية .

ولازالت « العربى » تحتاج إلى « نغمة » دقيقة من اللون والاخراج حتى يتوافق الشكل الأنيق مع ارتقاء المضمون الفكرى .



الطابع التذكارى الذى اصدرته ادارة البريد الكويتية بمناسبة العيد الفضى لمجلة « العربى »

ورغم قصر المدة ، فقد سعيت لمقارنة كمية بين ابواب ومحاور العربى فى فترة بهاء والرميحى ، فوجدت بالمقارنة بين اعوام ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ وبالمقارنة الكمية نلحظ ان المحاور المشتركة هى الدين ورجاله ، سياسة واقتصاد ، عروبة ، استطلاع عربى وخارجي ، ادب ولغة ، صفحة فى اللغة ، شعر وشعراء ، قصص ، تاريخ اشخاص ، تربية وعلم نفس ، فلسفة مجتمع واجتماع ، كتاب الشهر وفنونه عدا الأبواب الثابتة وحديث الشهر ولو جاز استخدام المقياس الكمي ، فقد كانت المواضيع الدينية ٣٢ سنة ٧٩ و ٣٦ سنة ٨١ و ٣٢ فى سنة ٨٣ ، والعروبة ١٢ سنة ٧٩ و ١٢ سنة ٨١ ، و٢٦ سنة ٨٣ : والقصص كانت ٢٠ فى سنة ٧٩ و ٢٠ سنة ٨١ و ٢٧ سنة ٨٣ وتاريخ الاشخاص ٢٩ سنة ٧٩ و ١٢ سنة ٨١ و ٢٦ سنة ٨٣ اى ان نصيب الدين والعروبة والقصص وتاريخ الأشخاص زاد فى عهد الرميحى عنه فى عهد بهاء . (وان احتفظ العهدان بنفس المنهج تقريبا) .

وقد تساوت تقريبا الاستطلاعات عن الكويت وهي بالتوالى ٤ و ٧ و ٦ وان بلغت نصف ما كانت عليه ايام احمد زكي فى السنوات العشرين الأولى . وتقاربت الاستطلاعات العربية والخارجية فى عهدي بهاء والرميحي وهى على التوالى ١٣ و ١٥ و ١٢ ، وان كانت فى العهدين قد خرجت عن نطاق العالم العربى ، وقد توازنت فى التاريخ (١٤ و ١٧ و ١٤) ، وعلم النفس (١٣ و ٧ و ٧) ، وانخفضت فى الفنون فى السنة الاخيرة فكانت فى عام ٧٩ و ٨١ و ٨٣ (٢٥ و ٢٣ و ١٥) . وهو نقص ملحوظ . ومن ابرز اهتمامات الرميحى القضية الفلسطينية (٢١) وقد زاد من العناية بها وتحليلها وقضـــية المؤسسات والحريات .

عن الجماليات

والمجلة الثقافية الموسوعية تعتمـــد بالضرورة الى تنوع وتنســيق واتزان ، يعطيها الهارمونية الخاصة بل نكهتها وعطرها .

والتنوع ينقذ القارىء حتى لا ترص المقالات والبحوث رصا . بل تتنوع اشكال عرض « المادة » فهى تارة بحث رصين مركز وتارة باب من صفحتين . وتارة ابواب ثابتة قصيرة مثل بريد القراء ، او انت تسال ونحن نجيب ، وطرائف عربية وغربية ، واقوال الصحف ، ومنتدى العربى ، ومن التراث ، وغير ذلك . واختلاف الابواب رحمة بالقراء ، هذا مختصر مركز ، وهذا مبسوط طويل ، وهذه شذرات مقتطفة ، وتلك مقتطفات مركزة ، وهذه الاشكال متطورة حتى تقطع الرتابة والملالة .

وكذلك تقطع الصورة والرسم مجرى الكلمات ، لتخفف الضغط على العين ، فلا يصبح الكلام زحاما مكدسا . كما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الابواب ورشاقة المقتطفات من الرتابة حتى يتوافق الشكل مع المضمون .

وتنسيق المادة نسميه الموسيقية السرية او « النغم الذى لا يسمع » ولكن يحسه القارىء ويطرب منه او يفزع !

وقد احسنت العربى بالتبسيط والتنويع ولكننى مازلت اشكو مما اسميه امية العين العربية ، وانها لا تعرف ابجدية الالوان . وهذه قضية جمالية وفكرية يحسن ان تعالجها العربى بذوق فى الطباعة وتدريب التذوق الفني لعيون الفنون التشكيلية .

واخر الجماليات هو أول كل عدد ، اى الغلاف ، وقد تميز الغلاف فى الـ ٢٠٦ من الاعداد بكلاسيكية ثابتة ، وكان الغلاف ينقسم الى ثلاثة اقسام منها جزءان ثابتان فى كل عدد ، ويغلب ان يكون صورة لفتاة واحدة (على الاقل) ، وهى لازمة تجارية شائعة وموروثة ، او صورة استطلاع عن اليمن او المغرب او مصر . والصورة ثابتة تخلو من الدرامية والتاثير ولكن الغلاف تحرر فى عهدي بهاء والرميحي ، فالغيت التقسيمات الثابتة على الغلاف ، وكبرت الصورة واصبحت قريبة وتفصيليـــة Close up مما يجعلها اكثر درامية وتعبيرا ، كما زادت العناوين الفرعية ، وهو ما يجذب القارىء اكثر .

والغلاف الجديد اكثر اتساقا مع الذوق والعصر . ولكن تبقى بعض المشكلات الجمالية التى قد تعود الى التنفيذ .. مما قد تعالجه المجلة بنقلتها الطباعية المرتقبة .

وبعد .

فالحديث عن الدور الثقافى لمجلة العربى خلال ربع قرن تكثر فيه التفاصيل لكننا نخلص باطمئنان واخلاص ان اى مؤرخ لتاريخ المجلات الثقافية لا يستطيع ان ينكر الدور المعرفي والتعريفي والثقافى لهذه المجلة الجامعة الناجحة .

وقد نعمت العربى بانها لم تكن حكومية بالمعنى التحكمي . ونعمت بحرية الفكر فلم تكن من صحافة السلطة التى تثقل فى الالحاح والتكرار على القارىء . وخلقت نموذجا للصحافة الموسوعية ، وصحافة الخدمة الثقافية العامة .

لكن العربى فى الثمانينـــات تواجه امتحانا مثل كل مطبوع عربى ، لان الوطن العربى كله فى امتحان . اذ يشهد ازمة الثورة والمفاهيم .

ويشهد ازمة الثروة واختلال الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما يشهد الفجوة التكنولوجية ، والقضايا الملتهبة من فلسطين الى لبنان ويشهد بمرارة الخلافات العربية وبعضها مشروع واكثرها وهم .. والخلاصة انها ازمة تهز العقل والضمير .

وليس اجـــدر من مجلة رصينة جادة مثـــل « العربى » ان تسهم بكتابها ومفكريها ومؤرخيها وباحثيها فى البحث الحر ، وفتح باب الاجتهاد ، والتمسك بحرية الراي ، وحق التعبير ، وقد يكون فى جهدها الثقافي الموصول بعض الشفاء او كل الشفاء .

كامل زهيرى

لغة الحوار في المسرح

فن "الفُرجة" يحتاج إلى لغة خاصّة ولا مُبرّر لأن ندفن رؤوسنا في الرّمال

بقلم: نعمان عاشور

تنشر الدوحة هذا الراى الخاص للكاتب الكبير نعمان عاشور دون ان تتبناه ، بل تدعو إلى مناقشته وتفتح صفحاتها للحوار حوله .

من البديهيات المعروفة فى تاريخ المسرح انه بدا بالتراجيديا وذلك قبل ان يكون هناك ما نسميه اليوم بالمجتمع الانسانى . وكانت كل موضوعات المسرح تنصب فى تلك المرحلة الباكرة من نشاته على معالجة قضية الصراع بين الانسان وبين القوى الخفية المجهولة التى تسيطر على وجوده ومصيره ، فكانه والحال كذلك لم يكن فرجة للاستمتاع بقدر ما كان محاولة لتفسير كنه الحقائق الكونية التى تحيط بعالم الانسان ولذلك كان الاغريق يستمدون موضوعات مسرحهم من الالياذة والاوديسة التى تحكى عن اساطيرهم .. ولما تطور المجتمع الاغريقى وبدا ياخذ صورته كمجتمع بشرى له معالمه وعناصر تكوينه .. تبدل الصراع من مقارعة بين القدر والانسان ، الى صراع بين الانسان والانسان فى داخل ما يشكل مجتمعا تختلف فيه موازين القوى وبالتالى تتعدد فيه اشكال الصراعات وتتحول من مجرد صراع كونى الى صراع اجتماعى . وهكذا ظهرت الكوميديا كتعبير عن الوضع الجديد للحياة الانسانية المتطورة فى صورتها الاجتماعية .. وتحول مفهوم المسرح ليصبح صراعا اجتماعيا لا يسعى فقط الى تفسير حقيقة القوى المجهولة التى تحيطه ، وانما ايضا ليكون مجالا لمقارنة القوى الاجتماعية التى تتحكم فى وجوده وترسم له حياته ثم تحدد مصيره ..

وبتلاحق الزمن تطور المسرح فى حياة الناس ليتحول الى اداة لتقويم المجتمع وصلاحه بدفعهم الى التطلع لحياة افضل . وتلك هى الرسالة الجوهرية للكوميديا فى المسرح . وقد صاحب هذا التحول من التراجيديا الى الكوميديا ما يناسب كل منهما من اساليب وطرائق الحوار ..

فاستندت التراجيديا الى اللغة الرفيعة السامية الفخمة ذات العظمة والجلال والرواء اللفظى . وكانت اللغـــة فى الكوميديا اقل من مستواها « الرفيع كما ينطقها البشر .. وان تكن فى كلا الحالتين لغة واحدة تميزها الشاعرية لان اليونان وغيرهم من الحضارات لم تكن عندهم لغة للتخاطب ولغة اخرى للكتابة .

المسرح فرجة

لكن المسرح بحكم طبيعته فن يقوم على الفرجة اعنى المشاهدة التى يشترك فيها الجمهور مع الممثلين .. فى التراجيديا لمعرفة وادراك الحقائق الكونية المحيطة به .. وفى الكوميديا لمعرفة وادراك الحقائق الاجتماعية التى تحكم معيشته وتسير وجوده فى حياته مع بقية البشر المحيطين به داخل بيئته . والفرجة فى التراجيديا مؤسسة على الخوف والهلع والاشفاق على مصير الانسان وعجزه عن ان يحمى كيانه من القوى الخارقة .

بينما هى فى الكوميديا تقوم على النقد ومواجهة التحكم والوقوف فى وجه العجـز او الخطا والمثالب والمعايب التى هى من صفات الانسان .. وبالتالى فان الصراع فى الكوميديا ليس صراعا محتوما ونهائيا بين قوة خارقة وقوة عاجزة عن مواجهتها .. وانما هو صراع بين قوى تخضع فى تكوينها لنفس العيوب والقصور والعجز الذى تخضع له القوى المقارعة لها












اديب اسحق — موليير — يعقوب صنوع — تيمور

.. ومن هنا يبرز عنصر التسلية كاساس فى الفرجة الكوميدية لأنها تقوم كما اسلفنا على نقد الانسان بنفسه لنفسه .

التســلية

الكوميديا إذن هى الفرجة المسلية .. ولكن هذا لا يعنى ان التراجيديا ليست فرجة هى ايضا .. فهى فرجة بالقدر الذى تبعث فينا الاحساس بالرهبة .. بينما الكوميديا هى الفرجة التى تبعث فينا الاحساس بالمتعة .. وهى متعة لابد ان تكون مسلية بقدر ما هى مفيدة ..

وكل هذا الشرح اقصد به الوصــول الى هدف واحد هو تاكيد ان المسرح بالدرجة الاولى فرجة .. وقد امكن عن طريق هذه الطبيعة اللاصقة بالمسرح كفرجة ان يتطور عبر القرون ليجمع بين الفرجتين ، الفرجة الكوميدية والفرجة التراجيدية .. ولا احب ان اقحم هنا التعريف الشـــــــائع بالتراجيكوميديا وهو الطابع الغالب على المسرح فى عصرنا .. وانما كل ما يعنينى هو قضية من اخطر القضايا التى واجهت ولا تزال تواجه مسرحنا العربى .

قضــــية اللغة

وهذه القضية هى ما درجنا على تعريفه بقضية اللغة المستعملة فى الحوار المسرحي ، وبالذات اســــتعمال اللغة العامية .. واسميه انا « اللغة الدرامية » فى كتابة المسرحيات .. لان التعريفات التى سبق ان اوضحتها تساعد كثيرا على ايضاح حقيقة ومنشا هذه القضية اللغوية فى مسار وتطور مسرحنا العربى القائم ، فضلا عن انها تكشف لنا عن الجوانب الصحيحة للقضية من اكثر زواياها دقة .. وهى زاوية طبيعة المسرح ذاته كفن قوامه الفرجة وليس الكلمة المكتوبة على الورق .. ولن ادخل بالقارىء فى محاولة استطرادية لتعريف معنى المسرح كفرجة ولكن يكفى ان اشير الى ان هذه الفرجة وان اعتمدت على الكلمة فانها لا تعتمد على الكلمة المكتوبة وانما تعتمد اصلا واساسا على الكلمة المجسمة المنطوقة .

وتعالوا بنا فى سياحة خاطفة لوجود المسرح فى حياتنا العربية كمسرح، اعنى كعرض او فرجة تقدم للجمهور المشاهد وليس كنص مدون فى كتاب . ولعلنــــا لا ننسى التجربة الباكرة لمارون النقاش حين قدم مسرحــه فى دمشق ثم فى بيروت معربا موليير باللغة الادبية وهى اللغة العربية الفصحى .. فانه لم يستطع الصمود بمسرحه الا لمدة قصيرة رغم حداثته كفن جديد مشوق . ثم اضطر بعدها الى تطعيم عروضه بالموسيقى والاغانى لانه ابى ان يتنــازل عن الاستعمال الادبى فى لغة الحوار التى عربها بنفسه الى الفصحى ..

وليس فى هذا اى طعن فى جدارة واسبقية اللغة الفصحى .. حاشا لله وانما هو تبين لجذور المشكلة الاساسية التى واجهت مسرحنا العربى بعد ذلك فى كافة عهوده .. وهذا ما فطن اليه يعقوب بن صنوع من الاصل فقدم كوميدياته او على الاحرى هزلياته الانتقادية فى قالبها الفكاهى باللغة العامية وكان يسميها لغة التخاطب .. ذلك لانها كانت بواكير درامية ساذجة لم تكن قد اكتشفت اثناءها من خلال الممارسات المتقطعة، اللغة الصالحة للتعبير الكوميدى، وهو ما اعرفه باللغة الدرامية .. بل لقد بلغ الامر بصنوع حد تاليف مسرحية كاملة للدفاع عن استعماله لغة التخاطب اليومى بدلا من اللغة الفصيحة كما كان يسميها ، وذلك دفاعا عن الهجوم الذى تعرض له من جانب الفقهاء اللغويين كما كان يسميهم واصر على اللغة الدارجة التى كانوا يسفهونها .. حدث بعد ذلك نفس الشي في المسرح السكندرى الذى اوجده سليم النقاش واديب اسحاق فى الربع الاخير من القرن الماضى . فلم تلق معرباتهم المسرحية الادبية من جمهور الفرجة ما كانت تستحقه من اقبال . وتكرر الوضع على هذه الصورة إبان النشاط المسرحى الذى سبق ولاحق ثورة ١٩١٩ .. فاصطدم مسرح جورج ابيض بنفس العقبة حتى افلست عروضه واجبر على مشاركة الشيخ سلامه حجازى فى تكوين مسرح يجمع بين الغناء والتراجيديا .. كذلك اضطر محمد تيمور فى سنوات الحرب العالمية الاولى ان يتحول الى كتــابة مسرحياته بغير اللغة العربية الفصيحة فكتب بعضها باللغة العامية .. ولعل هذا هو ما دفع توفيق الحكيم الى الهجرة للكتاب وبالتالى اعتبار النص المسرحى نصا ادبيا .. كانت الحاجة اذن ماسة لوجود لغة خاصة للمسرح .. تماما كما ان للشعر لغته الخاصة .. فالمسرح من الاصل منبته الشعر ..

لغــة المســرح

تلك هى المشكلة وهى لا تنفى بالضرورة ان اللغة العربية الفصحى لها قيمتها وقوتها ومرونتها وقابليتها لان تكون لغة مسرح .. وانما على العكس فقد اثبتت اللغة العربية الفصحى ضرورتها وحتميتها فى المسرح ولكن بالنسبة لموضوعات بذاتها .. وفى حدود نوعية خاصة من المتفرجين . فاذا راعيت الظروف التى وجد فيها المسرح عندنا على مدى تطوره ومن خلال الممارسات المتلاحقة فى مختلف الفترات والمراحل لما كان لنا ان ننكر هذه الحقيقة وندفن رؤوسنا فى الرمال كالنعام .. واعذرونى إذا كنت على شىء غير قليل من الصراحة التى قد تعرضنى لتهمة الترويج لاستعمال اللغة العامية ومعاداة اللغة العربية الفصحى .. فالعكس هو الصحيح تماما لاننى اكتب باللغة العربية الفصحى كما ترون واعتقد اننى اجيدها إلى حـــد مقبول .. ولكن الضرورات الفنية وطبيعة المسرح كفن اساسه الفرجة هى التى دفعتنى من البداية إلى كتابة حوار معظم مسرحياتى باللغة التى اسموها عامية .. والاسباب كثيرة ومتعددة ومنها ما اسلفت مما واجهه

لغة الحوار في المسرح

فن "الفرجة" يحتاج إلى لغة خاصة ولا مبرر لأن ندفن رؤوسنا في الرمال

المسرح فى مراحل وجوده المتعاقبة فى حياتنا .. واقف بكم عند بداية الخمسينات حين بدأ المسرح يأخذ مكانه فى حياتنا الادبية . وبين فنوننا التعبيرية .

اللغــة المحليــة

ماذا كان عليـــه الوضـــع المســـرحى ايامذاك ؟ !

كانت الحاجة ضرورية وماسة الى حتمية وجود نصوص مسرحية محلية مؤلفة . لان الفرقة القومية كانت تحتضر بما تابعت تقديمه من مسرحيات لتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وشوقى وعزيز اباظه وعلي احمد باكثير ذلك ان اعمالهم كانت بعيدة فى موضوعاتها عن ان تستقطب جمهور هذه الفترة من ناحية لانها تفتقر الى التكامل الدرامى فى البناء الذى يجعلها قابلة وصالحة للعرض المباشر على الجمهور. ومن الناحية الاخرى لانها كانت باللغة العربية الفصحى .. فلما تكونت فرقة المسرح الحديث من اوائل خريجى معهد الفنون المسرحية لم يجد هؤلاء امامهم ما يقدمونه من نصوص تتطلبها حاجة الجمهور المتفرج فلجأوا الى المترجمات والمعربات والمقتبسات . وهذه بدورها لم تكن لتغطى فى موضوعاتها الاجنبية ولغة حوارها المترجم ما يحقق رغبة المتفرج فى مسرح يعبر تعبيراً حقيقيا عن واقع حياته الاجتماعية، ولذلك ازدهر مسرح الريحانى وانتعش مسرح اسماعيل يس وغيرهما على حساب هذا النقص الماثل فيما تقدمه الفرق الجادة .. ثم تضافرت عدة عوامل اخرى اخضعت حركة مسرح الستينات الذى بدأ من الاعوام الاولى للخمسينات لمواصفات حتمية ،منها أن يكون مسرحا اجتماعيا واقعيا يقوم على تصوير ونقد ومعالجة مشاكل المجتمع وقضاياه وهى بالضرورة مشاكل اجتماعية محلية ، وأن تكون وسيلته الى ذلك هى الكوميديا وان يتجه الى مخاطبة اوسع رقعة ممكنة من المشاهدين باللغة التى يعبرون بها عن حياتهم وهى لغة التخاطب اليومى .. هذا الى جانب كتابة نصوص مسرحية لها من النضج والتكامل الدرامى ما يحقق تقديمها مباشرة على خشبات المسرح دونما حاجة الى تضمينها فى كتاب مطبوع كنص ادبى .. وقد كانت هذه هى المواصفات التى ميزت مسرح الستينات عما سبقه .. فهو مسرح استوفى الشروط الدرامية كقابلية العرض المباشر على الجمور فى نصوصه المسرحية الخالصة ، ثم انه مسرح اجتمـــاعى تغلب عليـــه الكوميديا ولا تصلح فى كتاباته وتقديمـــه للفرجة إلا اللغة المحلية .. ومعنى هذا ان يكون مسرحا استهلاكيا موقوتا طالما انه يخاطب جمهوره بلغة ليس لها ما يتوافر للمادة التى تكتب باللغة العربية الفصحى من قدرة على الرسوخ والبقاء ..

المعادلــة الصعبــة

وكانت تلك بالفعل هى المعادلة الصعبة إذ كيف يمكن وجود مسرح يكتب باللغة العامية وتكون له قيمته الادبية ؟ ! وقد ظلت هذه المشكلة تحيط بمسرح الستينات خاصة فى تجاربه الباكرة الاولى .. وكانت ولا تزال مثار جـدل شديد متصـل حتى اللحظة فى المسرح العربى داخل بيئاته المحلية جميعها . واعترف انها كانت من المؤرقات التى واجهتنا منذ الخمسينات وعلى بداية تكفلنا بالكتابة المسرحية لكنها لم تكن على هذا القدر من الخطورة التى صورت بها من البداية .. ذلك ان ما تمتع به مسرح الستينات من نضج درامى واضح فى نصوصه بموضوعاتها واساليب معالجتها جعله قادرا من داخل تطوره ان يخلق لنفسه اللغة الدرامية التى تتطلبها مكوناته وبالتالي لم يحل بين كتابه وبين طبع نصوصهم فى كتب على انها اعمال ادبية مصاغة فى لغة جديدة لا هى بالعامية ولا هى بالفصحى .. وانما لغة درامية فنية جاء توفيق الحكيم بعد ان كتب مسرحيته الشهيرة « الصفقة » بنفس هذه اللغة تقريبا فسماها « اللغة الثالثة » والواقع انها فى حقيقتها لغة جديدة ولكنها ليست لغة ثالثة .. وانما اللغة الدرامية التى تجعل للمسرح لغته الخاصة كما ان للشعر لغته الخاصة ايضا،لانها كلغة مستحدثة فرضتها طبيعة المسرح كفن فرجة بقدر ما هو لون جديد من الواننا الادبية كالشعر والرواية والقصة . وهى لغة لم تقصر او تعجز فى التعبير عن كل ما يمكن ان تعبر عنه اللغة الفصحى من فكر رفيع وخيال وثاب وعواطف جياشة وتاملات نفسية ووجدانية وصور ابداعية لها قيمتها الجمالية . وهذا ما يميزها عن اللغة العامية المدعاة ويجعلها اقرب الى الفصحى منها الى لغة الحوار اليومى الدارجة .. ولذلك تصبح القيمة الادبية الحقيقية لاي نص درامى ماثلة فى الطاقة التعبيرية الدرامية للحوار الذى كتب به .. وليس مجرد استعمال عبارات او لهجات او كلام عامى عادي مما يدور على لسان الناس وتلك ايضا من ابرز مقومات المسرح كفن درامى قوامه التركيز والتكثيف واللماحية والالمعية فى استعمال الحوار الذى يكتب به النص ..

اللغــة الدراميــة

واعود فاكرر استبعاد اللبس والغموض الذى قــد يراود اى قارىء لهذا المقال . فانا لاادافع عن اللغة العامية ابدآ .. وانما ادافع عن حتمية وجود لغة مسرحية درامية تميز الكتابة للمسرح او التلفزيون او الاذاعة حتى من خلال اللهجات المحلية ذاتها وذلك بعد ان اصبحت اللغة العربية الفصحى نادرة الاستعمال فى معظم المسلسلات والمسرحيات والافلام والتمثيليات فيماخلا تلك التى تتطلب موضوعاتها ، دينية كانت او تاريخية او تراثية او اسطورية ، حتمية كتابتها باللغة العربية الفصحى .. بل ان وجود هذا الوضع الذي يسود مختلف الوان التعبير الدرامى وما يستعمل فيه من حوار عامى او دارج او لهجات محلية يجعل من وجود « اللغة الدرامية » ضرورة حتمية حتى لا تختلط الامور،لأن وجود مثل هذه اللغة هو السبيل الوحيد القائم للحفاظ على اللغة العربية ذاتهاواقصر الطرق الى ذلك القيام بدراسة وتدريس هذه اللغة الدرامية على نفس المستوى الذى تتم به دراسة تاريخ المسرح ونظرياته ومدارسه وعناصره وبنائه واتجاهاته الخ .. الخ .. واعود لاذكركم بالمثل الذائع عن النعامة التى تدفن راسها فى الرمال .

نعمان عاشور

عنــــدما كــان الأوروبيــــــــون يقــولون :

الشرقيّون أقــرب إلى الطبيعة منّــا .. ألف مــرّة !

بقلم : ماجــدة الجنــدى



الحصاد .. لوحة مستوحاة من ريف الشرق .. وهى من اعمال الفنان وليم هولمان (١٨٥٤ - ١٨٦٣)

فى القرن التاسع عشر كان الشرق بمثابة « الحلم » بالنسبة لمجتمع الصــــفوة الأوربية .. كان هو « الحنين » للخيال احيانا .. او للحرية فى احيان اخرى .. كان الشرق يعنى للبعض ليس فقط موطن الاسرار ، بل ايضا وطن « العــواطف الجياشة » ..

وكما ان هناك مكتشفين اوائل لاى ارض جديدة ، كان هناك رواد كشفوا عن الشرق الفنان .. المتوهج .. الغامض .. والسخى فى نفس الوقت !

اثمرت رحلات هؤلاء الرواد او بمعنى آخر مغامراتهم إلى الشرق نصوصا ادبية الهبت مخيلة القراء ، وانبتت داخلهم رغبة لا تقاوم فى رؤيا الجديد على ارض ذلك الشرق الذى لم يكن وقتها قد باح بكثير من مكنوناته !



داخل البيت الشرقى .. فى فترة الظهيرة او القيلولة استوحى الفنان - جون فردريك - هذه اللوحة اثناء رحلته للشرق عام ١٨٧٦

روايات وقصائد خطها الشاعر بيرون .. فيكتور هيجو .. جوته .. وغيرهم .. وكانت هى مصدر الوحى لريشات فنانة حولت الكلمات المنفعلة بالشرق إلى خطوط والوان ولوحات ، شكلت ما يمكن تسميته بالحركة الاستشراقية فى الفن التشكيلى فى القرن التاسع عشر ، بزعامة اسماء ثلاثة تشكل المثلث الرائد الذى قدم اشهر كنوز الفن التشكيلى المستلهمة من الشرق : دولا كروا وشاسريو ، وفرومنتان ..

ولم يقتصر عشاق الشرق فى خلال القرن التاسع عشر على بلد اوربى دون اخر .. اننا نجدهم فى فرنسا .. فى انجلترا .. فى سويسرا وايطاليا والمانيا .. وحتى فى استراليا !

وصاحب الكتاب الذى نحن بصدده هو احد كبار المتخصصين فى ابداعات القرن التاسع عشر عن الفن التشكيلى . إنه « فيليب جوليان » الذى اختار لدراسته العالمية عنوان « المستشرقون » حيث قدم نسيجا متانيا لحركة الاستشراق على خارطة الفن التشكيلى ، عبر ما يزيد عن مائتى صفحة حوت مائة وعشرة لوحة واربعة وعشرين رسما توضيحيا ، وست صــور لمخطوطات قلمية ، علاوة على سبعة فصول او اجزاء تتكلم عن الشرق : ما المقصود به؟ .. من هم رواده الاوائل من الفنانين والسفراء والموسيقيين الاوربيين ؟.. وهذا بالاضافة إلى إجابته عن سؤال محورى يقول : لماذا عشق فنانو الغرب الشرق .. وكيف كان عالمهم ؟

بداية الترحال

البداية كانت بالنزعة الرومانتيكية التى دفعت بعديد من السفراء والكتاب الى الترحال بحثا عن زاد جديد للخيال ، لكن هناك اعترافا اوليا قد لا يفاجئنا كثيرا يقر به المؤلف حين يتحدث عن بذور الحركات الاستشراقية ، فيقول، إن تحفظ الحكومات الغربية كان يذوب او يتلاشى حين تكون الرغبة فى الرحيل عند الصفوة المثقفة متجهة نحو بلدان لها اهميتها الاستراتيجية او الاقتصادية ، ففى هذه الحالة كانت حكومات الغرب تشجع او تستثمر - بمعنى اقرب الى الصواب - نزعات الفنانين والكتاب الرومانتيكيين فتدفع بهم الى ارض احلامها وخططها فى المستقبل !

ومن هذا المنطلق اصبحنا لا نرى على خارطة الاستشراق مجرد فنانين او كتاب فقط بل وجدنا اسماء لعسكريين ومهندسين ورجال دين وايضا مغامرين !

وإذا ما عدنا لحقيقة رغبات الفنانين او نزوعهم نحو الشرق ، فسوف نجـــد ان ما الهب الحماس وايقظه كان فى البداية كلمات واشــعارا نبعت من محاولة معرفة الاجواء الشرقية اكثر مما نبعت من تجارب



الرحلة إلى مكة .. كما سجلها الفنان « اوجست بيللى » عام ١٨٦١ .. واللوحة فى متحف اللوفر بباريس

حقيقية او واقعية للرحالة ..

وهناك اربعة اسماء يعتبرها الكاتب مسئولة عن مولد هذا الوله بالشرق لدى الغربيين .. اثنان منهم كانت لهما التجربة الحقيقية فى الرحيل للشرق ، والاثنـــان الآخران حلما بالشرق وقراناه فى أشعارهما : شاتو بريان وبيرون ذهبا للشرق فعلا .. اما فيكتور هيجو وهنرى هين فقد كان لحلمهما قوة الرؤيا فى الكلمات !

ولهذا فان كل لوحة جواها كتابنا هذا يمكن ان نجد بين خطوطها نبضا من هؤلاء الاربعة .. بل وكل لون يمكن ربطه بحرارة كلمات واحد من هؤلاء الرواد !

بيرون ومصادر الالهام

لكن علينا ان نعترف مع صاحب هذا الكتاب بان الشاعر بيرون كان له الاثر الاعمق او الاثر الاكبر على القـــــراء الغربيين ..

وقد بدا شرق بيرون من اسبانيا التى زارها عام ١٨٠٦ م ، وبعدها زار اليونان ثم القسطنطينية وغيرها من بلاد الشرق .

وكان شرق بيرون حسيا .. لحد غير مفهوم .. وكان كذلك وحشيا .. اى باختصار كان شرقا غريبا ! .

فى عام ١٨٢٢ نقلوا أشعار بيرون فى ترجمة متواضعة إلى الفرنسية لتقلب الموازين لا فى عالم الشعراء ، بل فى عالم شباب الرسامين الذين هجروا الموديلات الباردة وافكار الكلاسيكية الجديدة إلى وجوه جنود اتراك وسلاطين ورائحة شرقية.

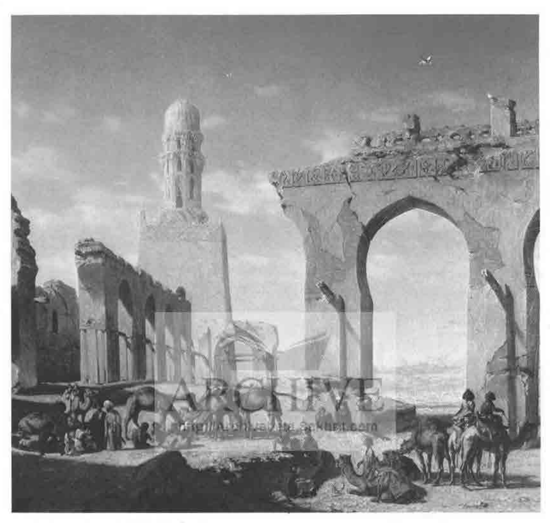
ولم يكن بيرون وحده هو الذى غير مصادر الالهام فى عالم اللون والريشة ، ولكننا نلمح اصداء الشرق ايضا فى كلمات كوليردج وتوماس مور وشكسبير وادوارد لين الذى كان لكتاباته مكانة لا تقاوم لدى مثقفى انجلترا !

اما شاتو بريان فقد حمل من رحلته التى بدات من اسبانيا عام ١٨٠٧ م رؤيا جديدة للتاريخ يغلفها الشرق ، وكان له تاثير كبير على العقل الغربي !

القدس فى المقدمة

وفى رءوس معظم من اتجهوا الى الشرق كانت القدس احد الأهداف الرئيسية فى الرحلة تاتى بعدها القاهرة وبالذات لذوى الاحلام الطوباوية !

وقد كان كتاب « وصف مصر » الذى قدمته الحملة الفرنسية على مصر مسئولا عن بعث موجة حب الاستطلاع نحـــو الشرق لدى المواطن الغربى ، فهو الذى دفع الروائى الشاعر الفرنسى فيكتور هوجو إلى اغنياته الشرقية !



فناء جامع الحاكم كما رسمه الفنان « بروسبر ماريلنت » في عام ١٨٤٠ .. واللوحة في متحف اللوفر بباريس

وفي عام ١٨٣٢ م سار الشاعر الفرنسي الرقيق الدقيق « لامرتين » على هـــدى « شاتو بريان » مصطحباً زوجته وابنته إلى القدس .. وكتب عن تجربته يقول : « عبر كل حياتي كان الشرق هو حلمي الذي يبدد ظلمات العيش في موطن راسي » ..

وقد كان الشرق كما عناه لامرتين ارستقراطياً قريباً من شرق الرسام شاسريو .. وعلى العكس منه كانت رحلة « جيرار دي نرفال » الذي كان يبدو احياناً كمصري وهو يتجول بالقـــاهرة في عــــام ١٨٤٩ ، وفي القسـطنطينية وســـوريا كان بســـيطاً متواضعاً ، وللوحاته ميزة الدقة في التقاط العناصر مع مسحة من الفانتازيا !

اما الشاعر تيوفيل جوتييه فقد تعددت سفراته نحو الشرق .. الى الجزائر ، ثم موفداً من لويس فيليب الى تركيا ، واخيراً اصطحب الامبراطورة اوجيني في رحلتها المشهورة لمصر ، وحين زار اسبانيا شدته اندلسها لدرجة ان اوجدت فيه الحنين إلى العالم الاسلامي كله !

جولات شرقية

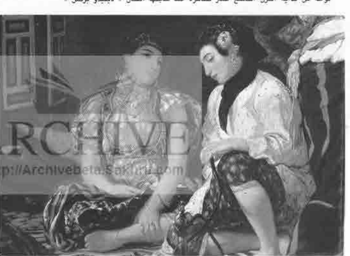
وقد زار الروائي الكسندر ديماس الاشرق وله كتاب « خمسة عشر يوماً في سيناء » .. اما جوستاف فلوبير فله جولة شرقية طويلة استمرت من عام ١٨٤٩ إلى ١٨٥٢ م . والغريب ان اكثر ما تشتهر به هذه الجولة هو مسحة الحزن التي غلفتها .. إنه يقول باحرف ولدتها جولته الشرقية : « هناك الضوء .. السائل يغمر كل المساحات .. يفصل بين الاشياء .. يتغلغل فيها » ..

لقد عـــاد فلوبير من الشرق اميـــل للحزن .. للوحدة .. وكانت بصمات رحلته على كتابه « تاملات سانت انطوان » تموج بالاضطراب والتوهج وخليط غريب من المشاعر كان له اثر كبير على مجموعة من الرمزيين في الادب والفن !

ونلمح نفس النغمة الحزينة عنـــد



لوحة من بداية القرن التاسع عشر للقاهرة كما سجلها الفنان « ديفيدو برتس »



نساء الجزائر .. اشهر لوحات الفنان الفرنسي « دولاكروا » الذى قام برحلات فى المغرب العربى عاد بعدها ليقول : إنهم اقرب الى الطبيعة منا الف مرة !

« فرومنتان » فى كتابيه « صيف فى الصحراء » الذىظهر عام ١٨٥٧ « وسنة بالساحل » الذى ظهر عام ١٨٥٩ .. إن هذين العملين يمثلان كلاسيكيات الحركة الاستشراقية !

ثم حدث مع الروائى الفرنسى « بيير لوتى » ان بدات نغمة جديدة تسرى عند الحديث عن الشرق ، ملخصها ان شرق الشعراء والفنانين غير موجود الا فى مخيلتهم ، وانه فى خدمة المستعمرين المتخفين فى اردية الفن والسياحة !

وقد كان لهذا المعنى ارهاصات بدات مع تاريخ فتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ .. حين طغت احلام الغزو والتجارة وتاكلت تحتها رغبات السفراء !

لقد بلغ اهتمام الفنان بالشرق حدا جعله يصبغ قرنا باكمله بانطباعاته عن هذا الموطن الجذاب ، حتى ان هوجو كتب يقول : اننا نهتم بالشرق كما لم يحدث من قبل ، فان كان عصر لويس الرابع عشر هلنسيا ، فنحن الآن مستشرقون .. اننا معنيون بالشرق ايا كانت صوره .. معنيون بفكره .. إنه خصب .. بل هو الشاطىء الآخر للسفر !

تلك سطور خطها هوجو فى مقدمة اشعاره عن الشرق ، ونفس المعانى كان يمكن ان يكتبها عشرات آخرون من كافة بلدان الغرب التى ولعت بالشرق ..

وعلى مختلف درجات تنوع اهتمام الأدباء والفنانين ، يمكن القول إن الرسامين او الفنانين القادمين من انجلترا كانت رحلاتهم للشرق تتميز باستقرارهم لفترات طويلة حيث يستعيرون الأزياء واحيانا العادات !

اما الالمان ، فقد كانوا يفضلون المرور الأسرع دون التخصص فى شيء

لكن الايطاليين كانوا يبحثون فى الشرق عن زبائن للوحاتهم اكثر كرما من بلدانهم !

ويقول الكاتب إن الفرنسيين وحدهم تمتعوا بتسهيلات من حكومتهم وكانوا الوحيدين الذين ياخذون شكل المبعوثين الرسميين !

اشهر اللوحات

ومن فرنسا خرجت اشهر لوحات مستوحاة من الشرق ، قدمها « دولا كروا » اولا فى لوحة جمع فيها بين الموت والتاريخ والرائحة الشرقية ، لكنها كانت بعيدة عن الواقع ، مما دفعه للسفر عام ١٨٣٢ الى المغرب ، ومن هناك كتب « إنهم اقرب الى الطبيعة منا الف مرة .. فى ملابسهم .. وفى اشكال حياتهم .. وحتى فى احذيتهم ! » .

وعند العودة توقف دولا كروا فى الجزائر ليستوحى اشهر لوحاته ، بل اشهر لوحات الفنانين الغربيين عن الشرق ، وهى التى اطلق عليها اسم : نساء الجزائر .

لقد احب دولا كروا الشرق فى رحلته لدرجة انه قال بعد عودته لباريس « ان باريس تزعجنى .. الناس .. الاشياء تبدو لى فى ضوء نهار مختلف » !

اما « شاسريو » الضلع الثانى فى مثلث استلهام الشرق والوله به عند الفنانين الغربيين ، فقد غذته الجزائر ، وهناك كما يقول تعلم كل شيء .. بداية من حب الخيول العربية حتى رؤية السماء بوضوح .. إنه يقول : « وحتى ازرق السماء فى الشرق مشتعل .. » !

وثالث الاضلاع فرومنتان الذى احبت « جورج صاند » اعماله عن الشرق وقالت عنها : إنها تاسرنى !

ويمكن القول ايضا إن دولا كروا وشاسريو وفرومنتان نجحوا فى الاخذ بلب الذوق الغربى عبر قرن كامل ، وكان زبائنهم من هواة المجموعات التشكيلية المنتقاة ، الباحثين عن مذاق الحلم وعبق الشرق ، واللون الواضح القوى الذى لم يجدوه إلا فى اللوحات الشرقية !

ماجدة الجندى



تقوم العاملات من النحل بمختلف العمل في المستعمرة بطريقة دائبة في الدقة والنظام . فالعاملة هي التي تبني الخلية ، وتفرز الشمع ، وعليها مهام مسئولية تنظيف المكان وتهويته ، وجمع الغذاء ورعاية الصغار وتحويل الرحيق الى عسل !

المهندسون المعماريون في مملكة الحيوان !

بقلم : حسني محمد بدوي

● عرف الانسان فنون البناء والهندسة المعمارية منذ قرون بعيدة ، لكن هناك كائنات فى ادنى سلم التطور ، ومع ذلك هى اقدم منه معرفة بهذه الفنون ، واقدر على الابداع !

● كيف تبنى تلك الحيوانات بيوتها وحصونها بطريقة تدعونا للتفكير والتامل ؟

● هل تعرف الحيوانات وحيدة الخلية فنون الهندسة المعمارية ؟!

● يقول العلماء ان مملكة الاسفنج اشبه باكاديمية للفنون الجميلة ولهندسة البناء والعمارة ؟!



بطريقة بارعة اقام هذا الطائر عشه فى منطقة ما موحلة ، وسط سياج من القش يحميه ـ وسقاوة الفارسى ـ بعيدا عن عيون الباحثين عن الغذاء فى الغابة !

عندما تتاح لنا فرص ملاحظة وتامل سلوك الحيوانات فى اوضاعها واحوالهـا الطبيعية ، فاننا حتما نكتشف امورا عجيبة .. ولنتامل معا بعض جوانب من هذا السلوك ، مثل بناء الحيوانات لبيوتها ، وتربية صغارها والحصول على غذائها والدفاع عن نفسها ضد اعدائها .. كل هذه الامور هى نشاطات عادية فى حياة اغلب الحيوانات .

والحيوانات من المخلوقات البناءة ، بل منها ما يعد من « امهر المهندسين المعماريين الطبيعيين » !

وقد قام العلماء ببحث وفحص انجازاتها البنائية ، بادئين بالكائنات الدنيا ، ذوات الخلية الواحدة ، منتقلين الى ما هو ارقى قليلا ، ثم الى النحل والعناكب والطيـور والحيوانات الثديية ، فلاحظوا ان كثيرا من الحيوانات تحصل على حاجاتها للبناء من اجسامها نفسها ، على حين تجمع حيوانات أخرى ما تحتاج اليه من بيئاتها ، لتقـــوم بتشييد بيوتها او حصونها .. بل إن بعض الحيوانات البسيطة « البرزويات » وهى التى تدخل ضمن اسرة الحيوانات وحيدة الخلية ، تعد من زمرة « المهنـدسين المعماريين الطبيعيين » الخبراء ! على حين نجــد حيوانات ارقى فى تطورها واعلى فى مرتبتها، مثل القردة ، لا تهتم ببناء بيوت لها او بتنسيق وتجميل ماواها ، فهى كسولة خاملة ، تعيش حياة اقرب الى الفـــوضى و « البوهيمية » ! .



رغم ان الاسفنج كائن صامت فى قاع البحار ، الا انه يبنى كيانه الذى يتكون من خلايا بدائية ـ فى هدوء ـ وبشكل معمارى جميل !

وجدير بنا ان ندرس سلوك « اطفـال الحيوانات » منذ ميلادها وحتى وفاتهـا ، ولكن من العجيب حقا ان نكتشف ان ليس لكل الحيوانات « مرحلة طفولة » ! إذ يخرج بعضها الى الحياة مسلحا بفطرة غريبـة ، لا يحتاج الى التعلم والتدريب ، وبعض الحيوانات يحتاج الى ذلك ، الى تمرين خاص والى اكتساب عادات تجعلها بادية الاعتناء والحماية ، إذ تتعلم الكثير من ابائها وامهاتها فى مرحلة الطفولة ، تتعلم بالملاحظة والتقليد والتشجيع ..

أسلحة الطبيعة

وفى صراع الحصول على الغذاء والحفاظ عليه ، نجد ان الطبيعة تسلح الحيوانات باسلحة خاصة ، وذلك بفضل من الله سبحانه وتعالى خالق الطبيعة . والكون والسموات والارض ، ومن هذه الاسلحة : القدرة على حجب الحيوانات نفسها ، او مهارتها فى الاختفاء والتمويه والقيام بالاعيب خداعية فى مواجهة اعدائها ، فان « الخشف » طفل الظبى مثلا ، لا يظهر ولا يتراءى لبعض الحيوانات الضارية ، كما نرى كثيراً من حيوانات الأسرة القططية ، يزحف خفية وبشكل غير ملحوظ لينقض فجاة على ضحيته ..

والتمويه فى الطبيعة عند الحيوان ، يصور « افعال الاختفاء » التى لا تحصى ، والتى تقوم بها الحيوانات موضحة بذلك القواعد الأساسية التى تتبعها فى التخفى او التنكر .

إذن ، تقوم الطبيعة بتسليح الحيوانات ببعض الحيل الدفاعية لدرء الخطر ، او الوسائل الهجومية للحصول على حاجاتها الغذائية . وتقوم اغلب الحيوانات بوسائل خداعية ـ حتى لو احدثت فى سبيل ذلك قليلا من الضجة ـ عندما يحيق بها خطر ما ..

ومن ناحية اخرى ، يستعمل كثير من الحيوانات اكثر من سلاح كالانياب والمخالب والمناقير والسموم وغير ذلك . وياخذ معظم العلماء فى اعتبارهم ذلك العدد الكبير من الاسلحة المتنوعة ، ومع ذلك فهم يعدون تلك الحيوانات ، بوجه عام مخلوقات مسالمة ! إذ هى فى حقيقة الامر لا تستعمل اسلحتها إلا للحفاظ على بقائها !

احد بيوت النمل .. والمعروف ان النمل يقيم مسكنه بطريقة غاية فى الدقة وباساليب متعددة يحتار العقل امام نظامها الرائع !



هذا الطائر المهندس استطاع ان يقيم لنفسه بيتا معلقا ، شيده من مختلف النباتات وخيوط العناكب

هذا الطائر ليس عامل بناء يقف على سقالة .. ولكنه استطاع ان يحفر عشه فى اعلى ساق الشجرة

فهل يتبع البشر هذه القاعدة الطبيعية ؟! وهل البشر حقا اكثر مسالمة من الحيوانات ؟! .. ما هى اسلحة البناء والتحصين عنـد الحيوانات ؟!

خبراء البناء

إن المهندس المعمارى فى اى مجتمع حديث ، هو الشخص الذى يتصف بالخبرة والمهارة كنتاج لاعوام من الدراسة والتدريب والتمرين ، وهو اكثر الناس معرفة بالمسائل الخاصة ببناء المساكن وتشييد البنايات .

وقد يبدو الحديث عن خبرات الحيوانات فى مجال البناء والعمارة امرا غريبا عجيبا ، فالى اى حد تعرف بعض الحيوانات ـ التى نتناولها هنا ـ « شيئا » عن « الهندســة المعماربة » فى بنائها لبيوتها وحصونها ؟ ..

لقد اكتشف الباحثون ان كل الحيوانات مخلوقات بناءة ، تدخر فى فطرتها قدرات بنائية معمارية فائقة ، إذ يقوم جميعها بعمل ما ! (ماعدا تلك الحيوانات الطفيلية) . ونقدم فيما يلى ايضاحا مختصرا ضروريا ، وذلك فى طريقتين تتبعهما كائنات معينة فى البناء المعمارى داخل مملكتها :

يوجد نوع من الديدان يعيش فقط فى البحر ، هو ذلك النوع المعروف بالديدان البحرية الغليظة التى تؤكد طبيعة بيئتها ، وتتمتع بعدد كبير من « الاهلاب » الغليظة الصلبة ، وهذا مالا يتوافر للديدان التى تعيش فى البر ، وتتكون تلك الاهلاب العظيمة فوق الرأس على هيئة تاج او على شكل مروحة ، وهى تستعمل وسط اشياء اخرى كشبكة صيد ، إذ يعيش معظم الديدان الهلبية على جسيمات صغيرة من المـادة الحية التى تزخر بها البحار !

وتبدو بيئة تلك الديدان ، فى ظاهر الامر ، بيئة خاملة تفتقر الى الحياة الإيجابيـة النشطة ، والى الحركة السريعة والتنقل من مكان الى مكان ، وتتبع تلك الديدان فى بيئتها طريقة باهرة فى اكتسابها لحاجات معاشها ورزقها ، فهى « تصنع » لها مخبأ او مكمنا تحتمى فيه ، فى ساعات الجوع ، ثم هى تدفع عنها تيجانها الهلبية وتنشرها كقرون استشعار باحثة بها عن غذاء لها مما يعلق فى بيئتها البحرية ، وياخذ مكمنها شكل الانبوبة .



بيت لفئران المزارع ، تقيمه على فروع الأشجار بطريقة محكمة بين عيدان القمح !

المهندس الصامت

ولكن كيف تبني تلك الديدان الهلبية حصونها الأنبوبية هذه ؟!

توجد طريقتان ، تستطيع بهما الديدان الهلبية ان تشيد انبوبتها : ماواها ومصدر رزقها ، وحصنها الذى تختبىء داخله وتحتمى به :

الطريقة الأولى : هى أن تفرز الدودة من بدنها املاحاً جيرية ، تحصل عليها وتحتفظ بها فى نسيج جسمها ، وهى تحصل عليها من خلال غذائها او من مياه البحر ، وبعض الديدان الهلبية لا تفعل هذا على وجه التحديد ، لكنها تفرز من جسمها مادة مخاطية او دبقاً لزجاً ، وسرعان ما تجمد او تتصلب هذه المادة وتكون غشاء او انبوبة هلامية او " جيلاتينية " ..

الطريقة الأخرى : هنا ، تقوم الدودة ببناء انبوبتها من حبات الرمال ، وتعتبر اهلاب الديدان بمثابة مصائد ، تتعلق بها حبات الرمال السابحة فى بيئتها البحرية ، تمر كل حبة من حبات الرمال عبر هذه الأهلاب الى داخل الفم ، إذ تلتقطها الدودة بشفاهها المبللة باللعاب ، والموجودة فى وضع معين على حافة الانبوبة الآخذة فى النمو ..

إن التشابه او التناظر الوظيفى هنا ، جدير أن يدعو المرء للتفكير والتأمل فى " فن البناء " الذى يمارس داخل البرج الدائرى ، وفى الشكل المعمارى الذى يتم من حوله !

إن الدودة التى تبنى انبوبتها او بيتها من المادة الجيرية او المخاطية ، او تلك التى تشيد مسكنها من حبات الرمال ، انما هى - بلا ريب - دودة تنجز عملاً ما ، وهذا العمل ، يمكن اعتباره نوعاً من البناء الهندسى المعمارى ، فهذا الصنف من الديدان الذى يفرز مادة من انسجة جسمه تصلح لبناء مساكنه ، يشبه تماماً ما تفرزه اجسامنا نحن البشر من مادة تصلح لبناء عظامنا ! وينطبق المثل كذلك على ما تفرزه الهلاميات او

الرخويات من مادة لتكوين أصدافهـــا ومحاراتها !

وعلى النقيض من ذلك ، فاننا نجد صنفا اخر من الديدان البحرية ، يبنى بيوته من حبات الرمل ، يرص الحبات فوق الحبات تماما كما يفعل بيديه الانسان الحرفى عامل البناء ، والديدان إذ تقوم بهذا العمل الشاق الدؤوب ، انما تراعى حسن اختيارها لمادة البناء التى تحتاج اليها ، ومن ثم لابد أن تتميز هى ببعض « المهارة اليدوية » كى تضع مواد البناء فى مواضعها الصحيحة ولتؤدى عملها المعمارى خير اداء .

ونجد ان مواد البناء فى كل من الطريقتين المذكورتين ، خفيفة هينة قابلة للتثبت والبقاء .

ومهما قلنا ان دافع هاتين الطريقتين هو الغريزة وانهما لا تتطلبان اى تعلم او تدريب ، إلا ان الحقيقة الواضحة لنا هنا هى انهما موجودتان فى واقع الأمر .. ومع ذلك ، نحن نستطيع من خلال ملاحظتنا وتاملنا لسلوك الدودة البناءة بواسطة المادة الجيرية او المخاطية او لنشاط الدودة التى تبنى بحبات الرمل ، نستطيع ان نقول ان الدودة من النوع الأول لا تقوم بعمل هندسى معمارى طبيعى ، وأن الدودة من النوع الثانى هى حقـــا « مهندسة معمارية » بارعة ماهرة بكل معنى البراعة والمهارة !

وفى الحقيقة ، توجد هوة واضحة بين كل من الطريقتين وانجازات هذين الصنفين من الديدان ..

وتتبدى هذه الهوة بوضوح وجلاء عند ملاحظتنا وتاملنا لانجـــــــازات بعض الحيوانات ذوات الخلية الواحدة ..

إن مملكة « الاسفنج » ذلك الحيوان النباتى البحرى ، هى « مملكة الصمت » ، كما يحلو لبعض الباحثين ان يصفوها ، إذ نجد ان الاسفنج كائن « صامت » و « غير متحرك » ، وهو « شاهد أعمى » للصراعات والمعارك التى تدور فى قيعان البحار والمحيطات بين المفترس والفريسة ، على حين يقف هذا المخلوق العجيب (الأسفنج) فى « الساحة المائية » ساكنا بلا دور ! فهل هو حقا بلا دور ؟!

انه كائن بناء ، يبنى كيانه فى صمت ، ذلك الكيان الذى يتكون من خلايا بدائية ، إذ هو مخلوق موغل فى القدم ، يعيش حياته الطويلة ثابتا فى اماكنه ، يمتص غذاءه من تيارات المياه التى تترشح من خلال أجسامه فيتلقى من تلك التيارات البكتيريا والكائنات المجهرية (الصغيرة جدا) التى تتخذ من قنوات الأسفنج اعشاشا لها .

والاسفنج يتمتع بمناعة فريدة ضد اى مرض ، ومن اسراره الغامضة ان احـــدا لا يعرف على وجه التحديد كم من السنوات يعيش ، فهو كائن لا عمر له ! وهو من زخارف البحر ، إذ يبنى نفسه بشكل جمالى او معمارى ، ينمو ويزدهر ويتشكل ويتنوع فى أكثر من ٥٠٠ نوع ، ويعتبره العلماء اعجوبة التفوق البيولوجى فى مملكة البحار التى يدور فيها صراع الحيوانات البحرية ومعاركها ، والمنتصر منها فى معركة المصير والبقاء هو الاكثر تمتعا بكفاءة قتالية عالية .

ومع ان الاسفنج مخلوق « صامت أعمى » لا يملك سلاحا إلا قدرته الكيميائية الحيوية وحصانته من الأمراض ، فانه اطول عمرا من الكائنات البحرية القوية الضارية ! إذ خلقه الله العلى القدير ، مزودا بغريزة فريدة تساعده على بناء كيانه وحصونه بناء قويا ، وذلك بفن معمارى عجيب ، يقف بازائه الانسان فى دهشة وإعجاب !!

حسن محمد بدوى

طائر يحمل مواد البناء التى يستعين بها فى بناء مسكنه متشكل بلائم القادمين الجدد ، ويجعلهم يشعرون بالراحة والاطمئنان !

المراجـــع :

(١) كتاب : « ' Nature ' »
اصدره « المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعى » :

(٢) مجلة :
Crop Protection Courier (Vol : I4)





الخيول فى لوحاته تنبض بالحركة .. وهو هنا يقترب فى معالجته من الفنان العالمى بيكاسو للثور فى لوحاته



ابن القرية او الانسان عبر مشواره الصعب فى الحياة

الفنان الهندى : مقبول حسين



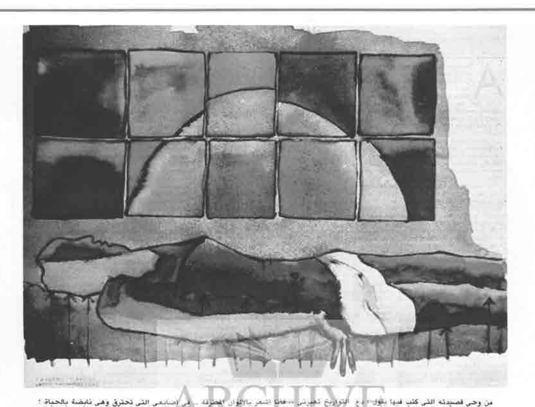
هكذا استخدم الفنان الخط العربى فى احدى لوحاته ليضيف إليها قيمة اصيلة

بيكاسو الهند يمشي حافياً.. ويعشق الخط العربي!

بقلم: يوسف أحمد

ان احد الجوانب الاكثر إفصاحا لعمل اى فنان هو احساسه بالماضى وقدرته على التمثل الذهنى والوعى بقومه وتوجيهه لكل ذلك الوعى عبر مصفاة الخيال المبدع مع الالتزام بالواقع المعاصر ..

وهذا التشبع الغريزى بالماضى هو المعيار لرسوخ الفنان ثقافيا ولأصالته فنيا فالأصالة ليست هى مجافاة التراث وإنكاره وهى ليست استحداث اشكال لم تكن من قبل موجودة فى الفن او الحياة ، بل هى قدرة الفنان على مواجهة الحاضر فى ضوء الرؤيا الجماعية لماضى امته بكل ما فى ذلك من عراقة ، مع اندماجه فى التجربة التاريخية للانسان بصورة تفتح منافذ جديدة للفكر والشعور .



من وحي قصيدته التي كتب فيها يقول «دع التواريخ تعبرني ... فانا اشعر بالالوان المحترقة .. في اصابعي التي تحترق وهي نابضة بالحياة !

ان وراء كل لمسة ريشة من يد الفنان خلفية كبيرة شاسعة من التصورات والأشكال والمعاني الموروثة ، وليست رؤيته متفردة او من صنعه هو وحده ، انها مجرد زاوية جديدة للنظر الى التجربة الجماعية لأمته ..

ومن هذا المنطلق يأتي حديثنا عن الفنان الهندي الكبير مقبول حسين ، باعتباره فنانا أصيلا ، راسخ الأقدام في التراث الفني للهند ، وان كان قد انفرد بقدرته على ابداع لغة تشكيلية تجمع بين المعاصرة والتراث الهندي .

والفنـــان الهندي مقبول حسين من الفنانين القلائل الذين يمكن ان نقول في ثقة تامة ان فنهم هو جزء لا يتجزأ من حياتهم ، فهو بالنسبة لهم كالتنفس ضروري لوجودهم .. ان تعامله مع الفن بسيط واساسي وليس مجرد شيء مصطنع او موهبة مجردة او قدرة على التزويق ، فالفن في اعماقه ، وهو الجذوة التي تمده بالدفء والحرارة وتلون كل انطلاقاته الفنية .

ان اعماله ليست مجرد اعمال فنية مستقلة عن عقله وقلبه ، بل هي مرآة لأفكاره ومشاعره وحالاته النفسية ، وتلك الميزة الأساسية هي التي تفسر لنا جوانب القوة والضعف في لوحاته ، ففي افضل حالاته نجد قوته الذاتية الهائلة تضفي على لوحاته طاقة تلقائية ومتجردة ، تصهر الشكل واللون والايقاع في وحدة كلية متناغمة ، لها نبض واندفاع الظواهر الطبيعية !

لقد جاء هذا الفنان من بين سبعمائة مليون – هم تعداد الهند – ومعه لغته التشكيلية الفريدة التي تؤكد استحقاقه عن جدارة للقب : فنان الهند الأول !

ان لغته التشكيلية تنطلق من الحضارة الهندية الزاخرة بالفن والتجارب العديدة الضاربة في اعماق التاريخ والتي خضعت لتأثيرات الفن الاسلامي بدخوله الى الهند فهو يرى اننا كمسلمين لدينا لغتنا التشكيلية الخاصة والمتميزة ، وان الخط العــربي بليونتــه العجيبة ورشـــاقته وامكاناته الهائلة يعطينا نهرا متدفقا اذا ما اردنا تعميق وسائل التعبير الفني !

وقد جاءت لوحات الفنان الهندي الكبير التي عرضها مؤخرا بالدوحة ، لتلامس امكانات الخط العربي ، التي يرى الفنان بأن استخدامها جعل جمهور المعارض في اوربا يتوقف ويبحث ويسأل في شغف واهتمام !

ان الالوان الصريحة التي تساند اشكال الخط العربي في لوحاته التي رأيناها ، لتجعلك تشعر بالجو الشرقي ، وتعايش البيئة التي انبتت هذا الفنان ..

ومن ناحية اخرى فان الفنان مقبول حسين قد التصق في اعماله بكلمات الزعيم الهندي المهاتما غاندي بكل ما تحمله من بسالة وعزم وقوة ، حتى انه استعان بروح قائد الأمة في اغلب لوحاته حيث ترى غاندي ذاهبا الى الصحراء ، او غاندي يتأمل ، او غاندي يفكر !

وكثيرا مـــا يطبق عـــادات غـــاندي المتعارف عليها ، مثل السير بدون نعل ، فقد شاهدت الفنان اول مرة حافيا ، وعندما اعطاني اعماله لتجهيزها في معرضه بالدوحة ودعني حتى المصعد وهو حاف !

وظللت مستغربا لهذا التصرف من فنان كبير ، حتى سألته في اندهاش : لماذا اراك داخل الفندق وخارجه وفي الاسواق حافيا ؟

وقال لي في بساطة وتواضع : لاني أميل دائما الى الاحساس بالالتصاق بالأرض

سـيرة الفنـان

١٩١٥ : ولد بـ باندهاربر في مها راشترى ، حيث غادرت العائلة الى إندور فى نفس السنة .
١٩٣٧ : استقر في بومبى وبدأ حياته كرسام فى الملصقات السينمائية .
١٩٤١ : بدا كمصمم فى الالعاب والاثاث حيث عرض فى معرض جمعية تعاون الفنانين فى الهند .
١٩٤٧ : عرض لاول مرة اعمالا فنية فى بومبى .
١٩٤٨ ـ ٥٢ عرض بشكل توسعى فى بومبى ـ دلهى ـ كلكتا ـ ومدراس .
١٩٥٢ : زيارة الى الصين استغرقت خمسة اسابيع .

١٩٥٣ : زار اوربا لاول مرة حيث اقام معرضا فرديا فى صالة بالبيت بزيورخ واشترك فى الدبينال فى فينا .

١٩٥٦ : معرض فردي في زيورخ وبراغ .

١٩٥٩ : فاز بالجائزة الاولى بالبينال بطوكيو ـ اليابان ـ وزار الولايات المتحدة .
١٩٦٠ : معرض فردي في كانست كابنت ـ فرانكفورت ـ
١٩٦١ : معرض فردي في طوكيو وروما .
١٩٦٣ : جدارية انجزت لجمعية الصحة العالمية في نيودلهي .
١٩٦٤ : بدات صالة بندول للفنون فى الهند العرض على نطـاق واسـع باللوحة الاولى والتى تدعى « بوابة كانش » .

ثم معرض فردي في صالة الواسطي بغداد . ومعرض فردي فى كابول .
١٩٦٦ : حاز على جائزة « بادمشري » ـ « بدرجة شرف قومية » من قبل رئيس جمهورية الهند .
١٩٧٦ : معرض فردي في صالة نافينا بنيويورك . انتج فيلما بعنوان « من خلال رؤيا عيون فنان » الذي حاز على جائزة « الدب الذهبي » في مهرجان سينما برلين الدولي والذي اشتراه متحف الفنون الحديثة في نيويورك .
معرض فردي في نيويورك ، بولندا ويوغسلافيا .
١٩٦٨ : بدا العمل في ملحمة « الشعر الاثنى عشر الهندية العظيمة » رامايانا « في بادر فيشدال بي بسكن حيدر اباد لتحفظ فيمابعد في المتحف .
ستة ايام في عمل لوحة تجريبية امام العامة على ستة لوحات من القماش منشورة على ارض احد صالات نيودلهي ولمدة ساعة ونصف كل يوم وعلى مدى ستة ايام .

١٩٦٩ : معرض في صالة جها نكير للفنون ـ بمباي ـ والذي نظمته صالة شديمولد للفنون .
١٩٧١ : عرض في بينال ساوبولو كفنان خاص .
كتاب الفن عن حسين محتويا نسخ اصلية خمسين منها ملونة ومائة وخمسون اسود وابيض معروض فيها اعماله التي نشرته هاري ابرامس بنيويورك .
١٩٧٣ : حاز على درجة شرف قومية « بادما بوشان » من قبل رئيس جمهورية الهند في سكيب كاردن بباريس .

١٩٧٤ : معرض فردي في مركز رابطة الشعوب البريطانية للفنون ـ لندن ـ وفي متحف موسكو للفنون الشرقية وفي متحف ورشستر للفنون

١٩٧٥ : بيروت ـ معرض فردي في مركز تنوكيان للفنون ، رسم نصبى جدارى .
- الشعر للرؤيا - بقلم دنبرك حول اعمال حسين نشرت فى سويسرا .

١٩٧٨ : وثيقة « ممر في فضاء الانسان » نشرت من قبل ارميس ـ نيويورك ـ بمقدمة بقلم جستر هيروتز .

١٩٧٩ : دكتوراة الشرف منحتها جامعة بدراس هندو .

١٩٨٠ : اعمال فنية عن قاذرتيراسا في صالة كلكاتا للفنون وفي مركز تاتا .
عرض اعمال بالالوان المائية عن قاذرتيراسا بقاعة بندل ـ بيومباي ـ وصالة تورنتو الثمانين للفنون ومعرض العالم للفنون فى لوس انجيلوس والتى عرضت من قبل صالة جوردان ـ مونتريال .

معرض هـام فى متحف بوستن للفنـون المعاصرة ـ فانكوفو ـ شيكاغو ـ وفي السوق الموسمية لعالم نيويورك في الفنون .
١٩٨٤ : اقام معرضا لاعماله بفندق شيراتون الدوحة

اللقاء : وفيها ترى القوة الديناميكية التى راها فى الخيول ، فهى رمز للتصدى للزمن !

التي نحن منها ولها!

لقد شدتني في لوحات الفنان . تلك العناصر الأخرى التي ادخلها في اعماله ، مثل استخدامه لبعض الحيوانات وتكرارها كالفيل والحصان . والواقع ان الفيل يمثل الهند وحضارته ، أما الحصان فهو يرى فيه قوة ديناميكية ورمزاً للفحولة والتصدي للزمن !

الا ان ما اوقفني هو ذلك الشبه الكبير بين معالجته للحصان ومعالجة الفنان العالمي بابلو بيكاسو للثور ، خاصة في تجزيء جسد الحصان الى مساحات ديناميكية تنبض بالحركة ، وقد يكون ذلك هو السبب في تسمية الفنان : بيكاسو الهند .. فهو يقترب في بعض معالجاته من الفنان العالمي بيكاسو !

ثم لا اجد بعد ذلك من تقديم للفنان ابلغ من تقديم الدكتور حسن علي حسين نعمة سفير دولة قطر بالهند حيث يقول :

ـ انه فنان يمشي حاملا على كتفيه اسفار تاريخ الحضارة الهندية في مختلف مراحلها . انه يطوف في المدن والقرى من اقصاها الى ادناها مستلهماً منها انماط الحياة العادية لتصبح منهجا له وطريقاً في الفن والتعبير . حتى اذا ما اوشك ان يستريح في قارعة الطريق وجدناه ينظر فيما جمعه من ترحاله لياخذ ما يلزمه اثناء معالجته للموضوع والقيمة فى لوحاته .. انه فنان نحيل طويل اشيب يحمل ضوءاً يشع به على الانسانية التي اخذ منها واعطاها !

يوسف احمد



طبقان طائران ينطلقان فى الظلام فوق الاشجار وهما يتوهجان ، او هكذا يبـــدوان ، لكن الصـــورة خادعة ، فما نراه هنا ليس الا مصباحين من انـــابيب النيـــون المســـتديرة .

ظواهــر حيرت النــاس

مخلوقات من الفضاء تتردد بين الأرض والسماء !

بقلم : الدكتور عبد المحســن صـــالح

ما من ظاهرة اثارت فضول الناس ، وانتشرت بينهم ، وجذبت اهتمامهم ، وبلبلت افكارهم ، اكثر من الظاهرة التى يطلقون عليها هذه الأيام ظاهرة الاطبـاق الطائرة التى جاءت من السماء ، ثم هبطت علينا من الفضاء ، حاملة معها مخلوقات على قدر هائل من التطور والذكاء ، لكى يزورونا فى ارضنا ، ويعرفوا احوالنا ، ثم ينصرفوا عنا دون ان نعرف عنهم شيئا ، وكانما زياراتهم تتم بنفس السهولة التى تتم بها زياراتنا عبر الدول او القارات .. او ربما ايسر !

فمنذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين تعددت الروايات عن ظهور اجسام غريبة تحلق حينا ، وتهبط حينا ، وهى تطلق اضواء باهرة ، والوانا صارخـة ، وضوضاء شديدة او خافتة ، حتى لقد بلغ عدد ما راه الناس منها اكثر من خمسين الف ظاهرة مختلفة ، وكلّ واحـــد من المشـــاهدين يدعى ان ماراه ينتمى الى فصيلة الاطباق الطائرة ، وكانما الفضاء فوقنا ملغم بترسانة من المخلوقـــات التى سال لعابها على اهل الارض بمثل هذه الصورة المفاجئة ، فجاءوها محلقين كالطيور المسالمة او الجارحة !

إذن ما حقيقة هذه الأطباق الطائرة ؟ .. ومن اين تجىء . ؟ .. ولماذا جاءت ؟ .. ثم ما رايُ العلم فيها ، خاصة وان الناس - هذه المرة - قد التقطت لها صورا واضحة لا غبار عليها ، ولا خداع فيها ، مثلما حدث



هذه الظاهرة الغريبة التى تبدو كبالون هائل او على هيئة اقرب الى قنديل البحر الهلامى كما اطلق عليه من شاهدوه فى روسيا ، قالوا عنه انه واحد من الاطباق الطائرة التى تزور ارضنا بين الحين والحين .

مع وحش بحيرة نيس والكائن الذى يعيش فى الثلوج والغابات ؟ (انظر مقالتيدا فى العددين السابقين على صفحات هذه المجلة ، فقد تناولنا هذه المخلوقات فيهما بالشرح والتعليق) .

قبل ان نجيب ، دعنا نقدم عدة نماذج من الظواهر التى تطلعت اليها عيون الالاف او الملايين من البشر دفعة واحدة . وهدفنا من ذلك واضح ، لأن الناس هنا لا يمكن ان تجمع على باطل ، او أن عيون الملايين قد خدعت . بل لابد ان بينها نسبة معقولة تتمتع بنظر حاد ، وعقل راجح ، وفكـر لا تحيز فيه ولا جموح !

الطبق الطائر الذى افزع الروس !

ففى يوم ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٧٧ ، راى سكان مدينة بتروزا فودسك الروسية جسما مفزعا ومتوهجا وضخما يحلق فوقهم ، وكان يشبه فى الشكل واحدا من قناديل البحر ، لكنه اكبر بكثير ، ثم انه بدا معلقا بين الأرض والسماء ، وكأنما له ذيل يتدلى بين اشجار الغابة التى تبعد عنهم عشرات الأميال (انظر الصورة الدالة على ذلك) . وظل هذا « القنديل البحرى الفضائى » - كما اشتهر به الجسم بين الناس - معلقا عدة ساعات ، ولقد راه ايضا من بعيد سكان مدينة لينينجراد ، وهلسنكى عاصمة فنلندا . وما بينهما من سكان قرى ومدن اصغر .. اذن فالحدث هنا لا يحتاج الى فلسفة اولف او دوران ، ولابد - والحال كذلك - من تفسير مقنع لهذه الظاهرة الغريبة التى راها الملايين ، ولساعات طالت !

الغريب ان الدوائر الرسمية فى الاتحاد السوفييتى قـد لزمت الصمت إزاء هـذا الحدث المثير الذى افزع الملايين ، كما ان العلماء بدورهم قدموا تعليلات لم يقتنع بها الناس .. فاول تعليل تقدمت به وكالة تاس الروسية للأنباء ، وفيه جاء « فى حوالى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٠ سبتمبر توهج فجأة فى السـمـاء نجم ، فاستقبلت الأرض حزما من الضوء الباهر تشبه السهام ، ثم تقدم النجم ببطء ناحية بتروزافودسك ، وانتشر فوقها على هيئة اشبه بقنديل البحر الهلامى ، حيث انبعثت منه اشعاعات رقيقة بدت للرائى وكأنها الأمطار الغزيرة الهائلة ، وبعد مرور بعض الوقت ، توقف اشعاعه ، ثم تحول القنديل الى شبه دائرة متوهجة ، وانطلق بعدها نحو بحيرة اونيجا ، حيث انهمرت منهـا اضواء ساطعة .. حمراء فى الوسط ، وبيضاء على الجوانب ، واستمرت هـذه الظاهرة ما بين ١٠ - ١٢ دقيقة » .. ثم انتقل هذا الخبر من تاس الى صحف الغرب حيث استنتجت ان ما ظهر فى شمال غرب الاتحاد السوفييتى ليس الا جسما محلقا مجهولا Unidentified Flying Object - او يوفو UFO من باب الاختصار ليس الا ، وهو التعبير الصحيح المتداول ، لكن الناس تاخذه بمفهوم الطبق او الأطباق الطائرة ، مـع ما يمكن ان يحمله هذا التعبير من تضليل فى المفاهيم .

لكن مسألة توهج نجم واندفاعه نحو الأرض فيها مبالغة الى حد كبير ، فالمعروف ان النجم اكبر من الأرض بالاف وعشرات ومئات الالاف من المرات ، ثم ان دخول نجم الى مجموعتنا الشمسية يعنى تجاذبا ودمارا وانهيارا فى نظام المجموعة ذاتها ، اذ ستختل الجاذبية فيها لا محالة .. وطبيعى ان الناس لم يرتاحوا كثيرا لهذا التعليل ، وعللوه بهبوط سفن تحمل مخلوقات من الفضاء .. فعلى لسان الكسندر كازانتزيف الروسى الذى يعتقد اعتقادا راسخا فى هبوط كائنات فضائية الى كوكبنا منذ الاف السنين يقول « على قدر ما توضحه لى هذه الظاهرة ، فاننى اعتبرها سفينة فضائية حلقت فوق ارضنا لاستكشافها ! .. ثم يجيء فلاديمير ازهازها ليؤمن - ويضيف الى قول كازانتزيف : ان ظاهرة مدينة بتروزافودسك ليست الا « يوفو » - اى سفينة تحمل روادا او ركابا فضائيين ، او على اضعف الفروض : « فان ما ظهر قد يكون مجالا من مجالات الطاقة الهائلة التى انطلقت من « اليوفو » ! .

ولقد ظلت هذه القصة تتداول بين الناس تارة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات تارة اخرى ، وكلما مر الزمن يضاف اليها بعض « البهارات » التى تجعلها اكثر جاذبية واثارة ، فمن قائل إن هذا الجسم الضخم ظل مركزا لنشاط هائل ، اذ كانت تنطلق منه اجسام صغيرة ، بعضها كان يندفع نحو الأرض ثم يختفى وكأنما هو يصنع فيها كوات او ثقوبا هائلة .. ومن قائل إن الشيء الذى تعلق فوق المدينة لم يكن الا السفينة الام لعملية غزو فضائى من الكون ، وان القادمين فيها على درجة هائلة من الذكاء جعلتهم مؤهلين للاتصال باهل الارض ، ومن قائل إن اشعاعات غريبة قد انطلقت منها ، ووصلت الى المدينة ، فاحدثت ثقوبا فى ارصفة شوارعها ، وفى نوافذ منازلها ، ومن قائل إن الامريكان قد بداوا الحرب النووية ، وان تلك هى النهاية ، ثم يذهب طبيب الى القول بان سيارة الاسعاف التى كان يستقلها قد اصابها الخلل فجأة بمجرد ظهور القنديل المعلق ، وانه قد استنشق هواء غريبا يعتقد انه ملوث بغاز الاوزون المهيج والصادر من هذا الشيء ، وتأتى بعض صحف الغرب المتحيزة لمثل تلك الظواهر ، وتكتب احـد عناوينها الاساسية هكذا : اول « يوفو » يسبب دمارا فى مدينة ! .. وهو استنتاج التقطه المراسل مما يتردد بين الناس . اما مجلة « يوفو ريبورت » الامريكية - وتعتبر من اصدق المجلات واكثرها حرصا فى نشر مثل هذه الاخبار - فقد ذكرت ان الدمار الذى حل بمدينة بتروزافودسك كان بسبب انفجار صاروخ موجه نحو الأرض من سكان الفضاء البعيد !

لكن .. ما هى الحقيقة وراء كل ذلك ؟ .. ثم ماذا قال عنها العلماء الروس ؟ .. قبل ان نجيب ، دعنا نقدم مثلا اخر من اقصى الغرب .

مخلوقات من الفضاء
تتردد بين الأرض والسماء!



نعم .. انه يشبه الطبق . وقد التقطت هذه الصورة فوق جبال الالب عام ١٩٥٢ [illegible]
التلفيق فيها واضح ، اذ انها لشيء من صنع الانسان ، واختلقت له الصورة عن قريب

الطبق الطائر الذى افزع الامريكان

وكما ظهر الطبق الطائر او « اليوفو » فى الاتحاد السوفييتى ، كان قد سبقه اخر قبل ذلك بحوالى تسع سنوات فى الولايات المتحدة الامريكية ، فأرعب سكان تسع ولايات ، وعندئذ ، تلقت الجهات المعنية الاف المكالمات ، لتؤكد ان هناك طبقا طائرا ، او جسما مجهولا محلقا يقترب من الارض حينا ، ويبتعد عنها حينا اخر ، ويومض ببريق غريب ، وله شكل عجيب .. المهم ان الأوصاف قد اختلفت ، لكن المعلومات كما تحدث بها الناس قد جمعت ، وعلى هيئة تقارير سجلت ، فوصلت حصيلتهـــا الى ما يقرب من مجلد كامل يضم حوالى ٤٠٠ صفحة فولسكاب .

ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع ان نسجل هنا كل ما قيل فى هذه الظاهرة ، بل يكفى ان نأخذ حالة او حالتين موثوقا فى صحتهما .. ففى خطاب ارسلته سيدة الى الجهات المختصة يجيء فيه : فى تمام الساعة التاسعة إلا ربعا من مساء ٢ مارس ١٩٦٨ ، وبتوقيت تينيسى ، خرجت انا وزوجى وعمدة المدينة بعد العشاء ، لنتريض ونتحدث فى الخلاء ، وبينما كنت اتطلع ببصرى صدفة الى الفضاء ، رأيت ضوءا يبرق فى السماء ، لكنه بالتأكيد ليس لنجم لامع .

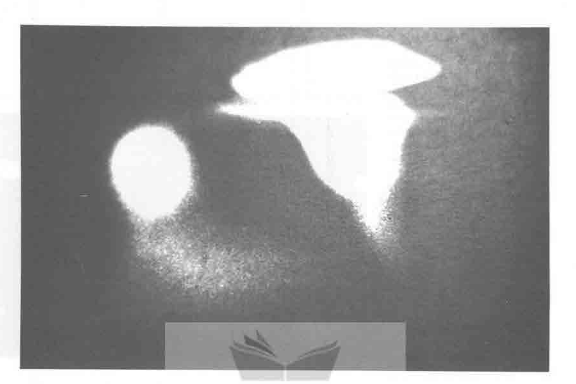
وتستطرد السيدة فى خطابها لتقــول : عندما طلبت من زوجى ومن العمدة ان يشاهدا هذا الجسم المنطلق نحو الجنوب الغربى ، بدا الضوء يكبر ويتضح ويلمع اكثر ، ولقد كان يسير فى مسار يشبه القوس ، ثم بدا يغير الوانه ، ويقترب منــا .. فظهر كسيجار ضخم ذى نوافذ مربعة .. فأثار ذلك خوفنا ، لكننا تماسكنا ، واخذنا نرقبه بدقة بالغة ، وهو يتجه صوب منزل العمدة ، الا انه اختفى وراء الاشجار ، ثم ظهر مرة اخرى فوق رؤوسنا ، وبدأت اعد نوافذ هذا الجسم الغريب المستطيل ، لكننى طردت هذه الفكرة ، حتى اتفرغ لما هــو اهم واعجب ، فلاحظت انه يتميز ببريق معدنى غريب ، فأعطانى ذلك انطباعا بان الجسم اقرب الينا مما كنت اتصور ، ولقد تبين لنا ان هناك ضوءا خافتا ينعكس على بطن هذا الجسم او سطحه للأسفل ، فظهر ان البطن يتكون من الواح معدنية « مبرشمة » (هكذا !!) ، ولقد كانت دهشتى بالغة عندما رنوت بعينى الى النوافذ الكثيرة التى بدا ينبعث منها ضوء واضح ، او هو اشبه بالضوء المنبعث من نوافذ المنازل المضاءة من الداخل ، ولقد حاولت ان اركز بصرى على ما بداخل هذه النوافذ ، علنى ارقب ركابها ، لكننى لم استطع ان اتبين شيئا بوضوح !

واخذت السيدة تشرح مشاهداتها بتفصيل تام ، فوصفت نسبة طول الجسم الى عرضه ، ومقدمته بالنسبة لمؤخرته ، وان المؤخرة كان ينطلق منها ذيل من نار بعرض المؤخرة ، لكن النار كانت مزيجا من الوان حمراء وبرتقالية وصفراء ، وتأكدت ان الجسم ليس طائرة محلقة ، ولو كان ، لسمعت ازيزا ، ثم ان المسافة كانت بينه وبيننا لا تزيد على الف قدم ــ كما قدرت هى ، وبعدها بدا يبتعد ، فظهر الذيل النارى اكثر وضوحا ، (لانهم كانوا ينظرون اليه من الخلف) وعندما وصل الى الافق البعيد بدا وكأنما هو يلاصق الاشجار ، ثم اختفى بعدها دون ان يترك اثرا .. هذا وقد اكدت السيدة انها حادة البصر ، وسليمة العقل ، ولم تتناول حبوب هلوسة او غيرها مما قد يزيغ البصر ، ويصيب العقل بالهذيان ، واخيرا ختمت تقريرها برسم تقريبى للشيء المجهول ، وعليه تعليق بسيط : اعتقد انه لا يوجد شيء ارضى بهذا الشكل ، ولهذا فمن المحتمل ان يكون اتيا من الفضاء الخارجى !

روايات اخرى غريبة

والواقع ان هناك منــــات ، بل الاف الروايات والقصص التى رددها الناس عن هذه الظاهرة ، ولقد اختلفت الاوصاف ، وتضاربت الآراء ، لكنها جميعا قد اتفقت على شيء واحد : فهذا الجسم او تلك الظاهرة الغريبة ، ليست الا طبقا طائرا او انه « يوفو » قد جاء إلى الارض غازيا ،

سيدة من اوهايو تدعى د . اليزابيث تدرس العلوم فى احدى المعاهد وحاصلة على درجة علمية عالية ، تعلق على ما رات بقولها : ان الدلائل تشير الى ان



في ظلام الليل التقطت هذه الصورة، فظهر فيها القمر الى اليسار ، اما الجسم الكبير المتوهج ، فقال عنه ملتقطه جيمس لوسى انه لطبق طائر ، لكن علماء الظواهر الجوية افتوا بان ما حدث هو احتراق للشهب اثناء اختراقها لغلاف الهوائى، فترك فيه وهجا يتخذ اشـــكالا شتى .

الجسم الذى ظهر ليس الا طبقا طائرا ، فلقد تطلعت اليه بالمنظار المقرب ، وحسبت - بادىء الامر - انه احد الشهب المنطلقة الى الارض ، لكننى استبعدت ذلك الراى لاسباب كثيرة (ولن نذكرها هنا) .. فلقد تحول هذا الجسم الطويل الى اجسام ثلاثة تراوحت الوانها ما بين برتقالى وابيض واحمر ، وكانت تحلق فى تشكيل جوى مثير وتتحرك ببطء نحو الشمال الشرقى .. وعندما راى كلبها الواقف الى جوارها هذه الظاهرة ، تمدد وتكوم على نفسه ، وكانما هو يرتعد من الخوف (هكذا !) .

وتجيء رواية اخرى من انديانا لتذكر انه كان بالامكان رؤية ركاب هذا الجسم المحلق من النوافذ المضيئة التى كانت تتراص على جانبيه فيما لو كانوا جالسين بجوارها !!

ومن التقارير الغريبة التى تجمعت لدى الهيئات الرسمية ما جاء بالنص الواحد على لسـان احد الرواة « يجب ان الفت النظر الى ان النار قد اشتعلت فى الحشائش والاعشاب الموجودة فى المنطقة .. لم تكن حريقا واحدا ، بل كانت حرائق عدة اندلعت فى اماكن متفرقة ، ولقد بلغ عددها ٧٢ حريقا ، واعتقد ان هناك علاقة بين الطبق الطائر وبين تلك الحرائق ! » .

والواقع ان الظاهرتين اللتين راهما الناس فى روسيا وامريكا صحيحتان ، لكن التفسير خاطىء ، وفى كلتا الحالتين عرف العلماء سرهما ، فاذيع الخبر بصراحة تامة فى الولايات المتحدة ، ومنها الى الصحافة العالمية ، فى حين ان العلماء الروس قد تكتموا الخبر ، وقدموا تفسيرات بديلة بغرض اخفاء الحقيقة عن الناس ، وسوف نعود لتوضيح ذلك بعد قليل .

ولكن الروايات التى وصف بها الناس هاتين الظاهرتين تبدو معقولة بالنسبة لروايات اخرى يلعب الخيال فيها دورا كبيرا وبحيث قد يتحول الأمر فيها الى مسالة هزلية لا ضابط لها ولا رابط ، واحيانا ما ينساق في هذه اللعبة افراد لهم مراكزهم المرموقة ، سواء على مستوى رؤساء دول ، او لوردات او شيوخ او نواب في المجالس النيابيـــة .. الخ ، فواحـد مثل « ايرل كلانكارتي » من مجلس اللوردات البريطاني يعتقد ان الاطباق الطائرة تنفذ الى كوكبنا وتخرج منه من خلال ثقب هائل موجود عند قطبها الشمالي ، وآخر مثل اللورد كينجز نورتون من نفس المجلس قبل رئاسة ما يسمى الجمعية البريطانيـــة لبحـوث اليوفو (هكذا !) .. ومثل هذه الجمعيات تدعو احيانا لعقد مؤتمرات ، وفيها يقدم المشتركون مشاهداتهم وآراءهم وكيفية الاتصال بهؤلاء القادمين الينا في اطباقهم الطائرة !

ففي مايو من عام ١٩٨١ انعقد المؤتمر العالمي الثاني في لندن « لليوفو » ، وحضره روي هربرت مندوبا عن مجلة نيو ساينتست العلمية ، واشار الى ان هذا المؤتمر قد ضم اعضاء من ١١ دولة ، وهو يفترض ان المجتمعين كانوا جميعا من اهل الارض ، وهذه العبارة تنطوي على تهكم وسخرية ، وللسخرية ما يبررها ، اذ ان احد اعضاء المؤتمر - وهو طبيب نساء - قد اعلن انه قد تلقى انباء من احدى سفن

مخلوقات من الفضاء

تتردد بين الأرض والسماء!



تشكيل من اجسام محلقة غير معروفة ، او هي ما يعرفه العامة باسم الاطباق الطائرة . وعندما عرضت على المحللين في السلاح الجوي الامريكي ، قالوا عنها انها صحيحة ولا خداع فيها . لكن عندما تكررت الظاهرة ، واعيد الفحص والتحليل بدقة بالغة ، تبين ان هذا التشكيل ليس لاطباق طائرة ، ولكن لسرب من الطيور الليلية المحلقة ، بعد ان انعكست اضواء مدينة لوك بولاية تكساس على اجسامها .

الفضاء الكونية تفيد أن ارضنا تلك محتلة بملايين الكائنات التي هبطت عليها من الفضاء ، ولهذا يستطرد هربرت ، ويعلق على هذا ساخرا : ربما اختير طبيب النساء لتقبل هذه الأنباء من الفضاء الخارجي ، لانه - على الاقل - خبير « بالفضاء الداخلي » ! .. والسخرية هنا واضحة ولا تحتاج لتعليق !

ورغم أن بعض الأعضاء قد اقترح ان تكون الموضوعات المطروحة جادة ورزينة ومحترمة ، لأن الممثلين هنا من علية القوم (هكذا !) - على حد تعبير بيرتل رولمان من السويد ، رغم ذلك ، فقد نادى احدهم بانه لا يستبعد ان يكون بينهم الآن بعض المخلوقات الكونية التي جاءت متخفية الى هذا المؤتمر ، لأن الأطباق الطائرة تحوم حول الأرض كما تحوم الدبابير حول شجرة فاكهة .. ثم يظهر اخر ليؤيد هذا الراي ، فيذكر ان مخلوقات كونية قد هبطت في البرازيل ، ولها في جبهتها عين واحدة كبيرة (ربما يقصد السيكلوب - وهو حيوان خرافي ذو عين واحدة ظهر في اساطير اليونان القديمة) ، وفم يشبه فم الأسماك !! .. والغريب انه يعترف بوجود ادلة قاطعة على هبوط مثل هذه الكائنات الخرافية !

ولقد حضر هذا المؤتمر رجل استكلندي ، وادعى انه تقابل اثناء عمله في احدى الغابات مع عربة غريبة يستقلها اثنان كرويا الشكل (وقد مرت هذه على الاعضاء دون استفسار عن معنى كروية المخلوقات) وقد ارادا اختطافه ، لكنه كان اسرع ، واستطاع الهرب ، ومع ذلك يصف لنا سطح العربة فيقول انها كانت مثل ورق الصنفرة ، وتمكن من الاحتفاظ بجزء منها ، وبالفعل اظهر للاعضاء قطعة من الورق تشبه الصنفرة .

وقصص اخرى كثيرة يدعي اصحابها انهم قد تقابلوا وجها لوجه مع مخلوقات فضائية ترتدي السترات والبنطلونات وتضع على راسها قبعات وتدخن البايب وتتحدث الانجليزية بطلاقة ، ولم يجد احد هؤلاء غضاضة في التحدث عن مجموعة من الكائنات الكونية التي هبطت بجوار منزله ، فرحب بهم ، واحبوه واحبهم ، فدعوه الى رحلة فضائية لجرم سماوي مجهول ، وقبل دعوتهم ، وذهب معهم ، الى اخر هذه القصص الخيالية التي نقلها بعض كتابنا على انها حقائق .. لكنها - والحق يقال - ليست الا هلوسة وهستيريا واضحة .

تعليل الظاهرتين

نعود الآن الى الظاهرتين الكبيرتين اللتين اكد كثير من الناس في كل من روسيا وامريكا بانهما طبقان كونيان قد حلا بالأرض .. احدهما في الشرق ، والآخر في الغرب .. فظاهرة قنديل البحر الهلامي الضخم الذي حسبه الناس طبقا طائرا ،

وانه اطلق اشعاعاته على ارصفة الشوارع ونوافذ المنازل فاخترقها ، لم يكن - في الحقيقة - الا صاروخ سويوز الذي حمل قمر التجسس كوزموس ٩٥٥ . فقد اطلق من قاعدة سرية تعرف باسم قاعدة بليستسك ،

وقد بدات هذه القاعدة عملها منذ عام ١٩٦٦ ، وهي - على حسب ما ذكره جيمس اوبيرج الذي يعمل لحساب وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) - مسئولة عن اطلاق أكثر من نصف الصواريخ التي يطلقها العالم سنويا ولم يشا الروس الاعلان عن هذه القاعدة ، ولا كذلك - بطبيعة الحال - عن صواريخ التجسس ، ولا شك أن الأحوال الجوية السائدة في فجر ٢٠ سبتمبر ١٩٧٧ قد ساعدت على تشكيل تلك الظاهرة من عوادم الاحتراق الناشئة من النفاثات الخمس الجبارة للصاروخ ، فبقيت معلقة ومنتشرة على هيئة بالون ضخم ، فاثار ذلك خوف الناس ، واطلقوا العنان لخيالهم .

ورغم ان الدوائر الرسمية والعلمية في الاتحاد السوفييتي لا تعترف باشياء اسمها اطباق طائرة . كما ان هذه الظاهرة لا تنتشر بين الروس ، كما تنتشر مثلا في دول الغرب ، رغم ذلك لزمت الحكومة الصمت ،

وتركت الناس على علاتهم يتحدثون بها كما شاءت لهم اهواؤهم . فليس في ذلك ضرر ، طالما أن احدا لا يعرف شيئا عن القاعدة ، ولا عن صواريخها ونشاطها .. ومع ذلك فقد



عندما جذبت الأطباق الطائرة اهتمام الصحافة، تفننوا في الاحتيال بحيل رخيصة ليلعبوا اللعبة، فربما تجــوز على العلماء الخدعــة . والصورة تبدو لطبق طائر ، لكنها خدعة متقنة لجزء من آلة تشريح الخضراوات بعد أن علقت بخيط رفيع شفاف ، ثم التقطت لها الصورة وكأنما هي فوق الأشجار .

تكفل بعض العلماء الروس بتقديم تفسيرات لا أساس لها من الحقيقة ـ هذا رغم علمهم بتلك الحقيقة ، أو عدم علمهم بها .. المهم الا يعــرف احد شيئا عن سر

القاعدة ، لكن الظاهرة قد عرفت في الدوائر العلميــة والرسمية والتجسسيــة لدول الغرب .. ورغم ذلك فقد ظلت تتداول في تقارير ونشرات ومؤتمرات المغرمين بظاهرة الأطباق الطائرة على أنها حقيقة واقعة .

واما الطبق الطائر الذي رآه الأمريكان ، وتحدثوا عنه ، واطنبوا فيه ، وتخيلوه بنوافذ مضيئة ، وانه حلق منهم على مسافات قريبة .. الخ ، فلم يكن الا القمر

الروسي « زوند الرابع » وهو واحد ضمن سلسلة من الاقمار الصناعية التي تكتشف الكون الخارجي ، وقد أعلن الروس عنه بعد نجاح اطلاقه من قاعدته ، لكنه فشل في مهمته ـ فيما بعد ـ لخلل في احد أجزائه ، وبدلا من أن يندفع الى الفضاء

الخارجي ، بدأ يتهاوى ويحترق ويتصهر ويتوهج ويتفتت الى اجزاء رآها الناس بصور مختلفة ، وحسبوها نوافذ وتشكيلات وغزوات آتية من الفضاء الخارجي على متن اطباق طائرة ..

بين العلم والخرافة والخداع

الموضوع ـ بلا شك ـ طويل جدا ، وحكايات الناس فيه مسلية جدا ، هذا

بالاضافة الى الخدع التي كان يقوم بها الصبيان والكبار حبا في الشهرة وتسليط الأضواء عليهم ، اذ كانوا يقومون بخدع

كثيرة ، ثم يصورونها على انها لأطباق طائرة ، فيرسلونها الى الصحافة ، أو الى الجهات الرسمية ، لكن العبء الأكبر كان ينصب على العلماء ، فعليهم أن يعللوا هذه الظاهرة أو تلك ، وغالبا ما كانوا

يكتشفون الخدعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لكل ذلك هنا ، بل يكفي أن نقدم جانبا ضئيلا منها من خلال عدة صور مزودة بتعليق مختصر يوضح مكامن الخدعة .

ولا شك أن الناس معذورون ، فالذي أعطاهم هذه الثروة الخيالية طبيعة العصر ذاته ، بالاضافة الى منجزاته ـ فهم يعيشون في عصر الصواريخ الفضائية ، والأقمار الصناعية ، والروايات الخيالية التي يتطلعون اليها في دور السينما أو في التليفزيون ، بالاضافة الى اجهزة الاعلام الأخرى التي لا يهمها الا جذب انتباه الناس بالخبر المثير ، ثم بتعليل كل ظاهرة طبيعية غير مفهومة على أنها من الفضاء من خلال اطباق طائرة اخترعها خيال انسان في عام ١٩٤٨ ، ولم تكن في الحقيقة الا انعكاسات ضوئية ظهرت له على هيئة بيضاوية كالأطباق ، فكان أن اطلق عليها اسم الأطباق الطائرة .. ومن يومها انتشرت البدعة ، وزادت اشتعالا ، حتى اصابت الناس بما يشبه الهوس .

هل يعني هذا أن الأطباق الطائرة غير حقيقية ، وأن ما رآه الناس وبعشرات الآلاف من المشاهدات يدخل تحت بند الخيال والأسطورة ؟

وهذا سؤال كبير له جوانب متعددة ، لكن يكفي أن نشير فقط الى وجود عدة عوامل تؤثر في أحاسيس الناس ، وتشكل أنماط تفكيرهم ، فيكون لهم عذرهم ، لكن معظم ما رأوه لم يكن اطباقا طائرة ، بل ظواهر طبيعية وجوية وضوئية أمكن تعليل أكثرها تعليلا سليما ، ومع ذلك فقد ظلت بعض جوانب الموضوع غير معروفة ، لكن ليس معنى انـنـــا لا نعرف التفسير ، أن ما ظهر هو اطباق طائرة ، بل يعني أشــياء أخرى أعمق من ذلك بكثير ، وسنحاول أن نوضح ذلك في دراسة أخرى قادمة ، حتى يتبين الغث من السمين .

عبد المحسن صالح

المقال القادم
بين الظواهر الطبيعية
والتفسيرات الخيالية

أوراق من الأرشيف العتيق

قصة بقلم: ديـزي الأميـر

تنتقل الى بيت جديد ؟ حلم العمر يتحقق . بيت جديد فى منطقة تحبها .

تطلع ضيوفها الى الأثاث الكثير وعلقوا كم ستتعبين فى حزم الأثاث ! نقله الى بيت جديد مهمة شاقة .

لم تكن تريد تعليقا . فهى تدرى انها ستتعب وستحتاج الى ساعات عمل كثيرة للاستعداد الى هذا الحدث الذى انتظرته طويلا .

ولكن الانتظار هذه المرة لم يكن كاذبا . تصدق احلامها ! اتراها ستصدق ؟ فمنذ متى وهي تحلم بتغيير البيت ؟ سنوات طويلة لا تدرى عددها مرت ، وهل يمكن احتساب الأحلام ؟ طولا وعمقا ؟

قطع الأثاث الكبيرة الظاهرة ، ليس هناك نقلها ، ولكن القطع الصغيرة التى تحتاج تحكيم لف لئلا تتهشم . هذه ستتعبها! .

وقبل ان تحزم اية حاجة فكرت ان تتخلص من الاشياء الزائـــــدة التى لا تريدها .

فى العُلّية ، حقائب وحقائب قديمـة انزلتها

فتحت الأولى ففاحت رائحة النفتالين . ثياب شتوية فائضة،قلبت واحــداً ، لم يعجبها اللون ولا التصميم !! ثم اكتشفت انه لم يعد على مقاسها .. تغير جسمها وتغير ذوقها او تغير الذى لا تدرى . المهم انه لم يعد يناسبها.اعادت غلق الحقيبة . ستعطيها لزوجة حارس البناية .

الحقيبة الثانية . ثياب صيفية فيها رائحة عفن ، الحقتها بالشتوية .

الثالثة كانت ملأى بالاوراق . اكوام من الاوراق مكتوب عليها بخط اليد واخرى مطبوع عليها وكذلك صحف ومجلات .

تركتها جانبا ، لاشك ان فى هذه المجلات والصحف شيئا يهمها والا:لم احتفظت بها ؟

وقبل ان تفتح حقيبة اخرى ، فضولها امسك بمجلة ، قلبت الصفحات تساقط منها مغلف ، اسمها وعنوانها عليه . اسمها وعنوانها ؟ كان هذا عنوانها قبل ربع قرن من الزمن ؟

قلبت صفحات المجلات فتساقط عدد اخر من المغلفات . الاسم الذى عليها لا يزال اسمها ، ولكن العناوين متغيرة .

ربع قرن ! خمس قرن ! عشر ســنوات ! خمس عشرة سنة !

تغير العنوان كثيراوكذلك اسم المدن ومكان العمل واسم المكان الموقت لعنوانها . متى كان عنوانها ثابتا ؟ واية فترة كان موقتا ؟

أوراق رسائل دون اغلفة . ترى اين كانت تسكن حينما وصلتها هذه الرسائل ؟

بدات تقرا المحتوى . من اخر كلمة ، من اسم الموقع ، كاتب الرسالة . وهكذا انفتح مخزن الماضي امامها ، جبل من الرسائل من شتى البلدان . اما كاتبوها وكاتباتها ؟ فالبعض لا يزال حيا ، اخر لا تعرف مصيره وثالث توفي و .. أخير لم تعد تتذكر شيئا عنه .

كانت تدرى انها استلمت عددا كبيرا من الرسائل ولكنها لم تكن تدرى ان هذا العدد الكثير منها لا يزال موجودا . ولم تراها احتفظت به ؟ هل كان يعني لها شيئا وهى ترى فى بعضها ماضيا لم تعد تتذكر ، وتتذكر امورا لا تراها فى الرسائل . دخلت المخزن ، اغلقت باب الغرفة . وضعت نظارتها .

رسالة تقول (حبي لك اسميته اهانة وانا اسميته النعيم المقيم) التاريخ يعود الى اكثر من ربع قرن . متى قالت هذا الكلام ؟ تدرى انها لم تكتب رسائل بهذا المعنى لاحد . كانت فى ذاك التاريخ غريرة خائفة لا يمكن ان تكتب رسالة لغريب فمن اين جاء هذا الحوار ؟

سمعته من احد ؟ اهى تقول ان الحب اهانة ؟ وهو يقول انه النعيم ؟ ورقة سميكة، برنامج حفلة تخرجها من الجامعة . قرات الاسماء اين هم زملاؤها الان ؟

سقطت صورة من بين الاوراق . طلاب صفها كلهم فيها ما عداها . نعم لم تكن تحدث الرجال يومها ، كان فضـــيلة ان لاتحدث الفتاة شابا . فكيف تلتقط صورة معه ؟

اتراهم يحتفظون بنسخ من هــذه الصورة ؟ وهي .. هي احتفظت بها! ولم تحتفظ ولو لم تنبش مخزن الماضي لما وجدتها .

زادت غوصا فى المخزن .

رسالة تقول : اسرعي فى قراءة الفصــل الثاني من روايتي . فقد بدات بالثالث . وانت تعرفين انني لن استطيع طبع روايتي قبل اخذ رايك . التاريخ ليس بعيدا .

وتساقطت الرسائل. واحـــدة تقول : (سأستمر فى الكتابة اليك مهما طال صمتك ومهما عاقبتني بالانتظار الطويل . نعم لقد انتظر طويلا وطويلا الى حد الموت) .

عدد من الرسائل لايزال فى مغلفاته . عليها خط اليد نفسه ولكن عنوانها متغير . صار سهلا عليها جمع هذه الرسائل .

تكومت الاغلفة . سحبت الاوراق منها وبدات تقرا وتقرا . لم لم تجب عليهـــا ولا حتى على رسالة واحدة ؟

عادت الى التاريخ . استمر طوال عشر سنوات . وكانت الرسائل تلح وتلح فى الانتظار . لم انتظرت الرسائل منها جوابا ما دامت لم تكتب هى ابدا ؟

الرسائل طويلة وفيها إراقة لعواطف كاتبها . هل ارادت بعدم الكتابة ، قطع الامل كيلا يستمر ورودها اليها ؟ ام انها تالمت لهدر المشاعر فارادت لها ان تتكبر وتتوقف ؟

رسالة تقول (لا تنزعجي من لندن ، ستتعودين عليها ، فانا مثلك احسست بالغربة أول الامر . والان كلي شوق لحدائقها الدائمة الخضرة) .

اخرى تقول (اعجب كيف تحبين

بريطانيا ؛ ما الذى شدك اليها ، انا لم اكلم احدا مذ جئت . فالانكليز منغلقون ، متكبرون ، بريطانيا لم تعد عظمى ، فلم التعالى علينا ؟) .

ويظهر ان الرسالة التالية كانت من نفس المصدر فهي تقول (تكلمت اخيرا بعد صمت طويل ، ولكن من حاورته شخص من البرازيل فى نفس كليتي ، وهو مثلي يكره بريطانيا ، هلا اخبرتني امازلت تشتاقين اليها ؟) .

تشتاق ؟ تشتاق ؟ وتتذكر كيف عادت الى لندن بعد غياب عشر سنوات ، ورات البلد الذى لم تعد تعرف وتتذكر كيف قالت : ذهبت الى البلد الذى احب شوقا اليه فشفيت من حبه .

رسالة تقول (مدينتنا تنتظرك دائما وتحبك كما تحبينها . انتظرنا مجيئك السبت ١٤ كانون الماضى مع علمي ان الثلج متراكم ، والطريق مقطوعة . ولكن فكـرت ربما تجدين طائرة . وحينما بدات الشمس تغيب ثم راحت . يئست فذهبت لزيارة اصدقاء وتركت رقم هاتفهم لدى اهلي) .

لا لم تكن الرسالة يائسة لانها تقـول (تركت رقم هاتفهم لدى اهلى) السنة غير مذكورة ولا كانون معروف رقمه . ترددها على ذاك البلد كان مفرحا . ما الحاجة الى التفتيش عن السنة ؟

الوقت الآن ليس شـــــتاء والطـرق لا يقطعها الثلج . ولكنها لا تستطيع الوصول الى هناك مع ان بقية الطرق غير موصدة ولكن قلبها مغلق .

رسالة تقول (اعتذر عن عدم الاجابة لاني كنت لا ازال افتش عن الكتاب الذى طلبت . وحين احصل عليه ارسله حالا) .

التوقيع غير واضح والرسالة دون غلاف والصفحة الاولى منهـــا مفقودة . ما هو مصدرها ؟ من هو كاتبها ؟ وما الكتاب الذى طلبت ؟ هل هو مرسل اليها ؟

فتشت بين الرسائل عن اخرى يشابه خط كاتبها خط هذه الرسالة ، فلم تعثر على الشبيه .

رسالة وحيدة يتيمة . لا تعرف انها تسرق رسائل الناس . اتراها لها ؟

رسالة تقول (الصحراء عظيمة تصل عيونى الى الابعد والأبعد . لقـــد تحسن نظرى . بيروتكم (غابة الحجارة) قصرت بصرى . متى تغادرين هـــذه المدينـــة الغريبة ؟) .

تاريخ الرسالة يعود الى عشر سنوات مرت ، صحيح ان بيروت مدينة غريبة كما تقول الرسالة . وتسميها غابة الحجارة . ماذا تسميها الآن وقد صـــارت غــابة السلاح ؟ ؟

رسالة تقول (لا تقولى إنك حزينة . فانت لست كذلك لانك تحبين الحياة كثيرا وتريدين (العيش) ، ولكن التظاهر بالحزن هو صرعة الشابات والشبان . كنت مثلك اريد الاعلان عن حزن غير موجود حتى جاءنى الحزن الحقيقى فلا تكونى مثلي) .

نعم بعد حوالى عشرين سنة جاء الحزن الحقيقى ووزعت حنينها على الف جهة وجهة .

رسالة تقول (لم لا تحسنين خطك ؟ يتعبني فك الغازه . عندما اكتب اتعمد وضوح كلماتى لأسهل قراءتها) خط يدها غير واضح ؟ الرسالة عمرها خمس عشرة سنة ماذا لو رأوا خطها الآن ؟ لقد زاد غموضا وزادت سرعتها فى الكتابة تستعجل الزمن لئلا يفوت اكثر مما مضى .

صورة صديقتها مهداة اليها (ذكرى الماضى البعيد الجميل) عمر الاهداء ثلاثون سنة . اكان فى حينها ماض ؟ وكان بعيدا ؟ وكان جميلا ؟ ماذا تكتب صديقتها لو اهدتها صورة جديدة الآن ؟ ؟

على اليمين من الصفحة ارقام وامامها اقوال منسوبة الى قائلها . وجدت شعرا وحكما وامثالا لشعراء وكتاب ومفكرين معروفين ووجدت بعض الاقوال امامها كلمة (انا) كدليل للقائل ، كل الابيات الشعرية والأقوال والحكم تتحدث عن الماضى ، وكذلك كانت الكلمات الموقعة (بانا) .

ـ (احب زهر النرجس لانه يذكرنى بماض لم يات بعد) انا .

عدت يا شوق فيمـــا عـــــدت
ربيع العمر ولى فهـل تعيد الربيعا
(على محمود طه) .

ـ الماضى صورة زيتية تبدو جميلة كلما ابتعدنا عنها (اوسكار وايلد) .

وضعت نفسها مع على محمود طه واوسكار وايلد وغيرهم وغيرهم من المشاهير ، الماضى .. الماضى .. وتذكرت كيف كانت تحتفظ ببعض القصاصات والاشياء وتقول انها ستحبها حينما تصبح ماضيا .

والآن .. الآن عملت بفعل ارادى على إلغاء الماضي . هل تراها استهلكت الماضى قبل ان ياتي ، وحينما اتى كان قد انتهى ؟ ؟

رسالة تقول (ليتك كنت معي اذن لما احسست بوحشة الغروب)

كيف هى الوحشة فى القبر ؟ كيف هي ؟ كيف هي ؟ .

حينما سالوها متى نراك ؟ اجابت نتركها للصدفة . ولم تات تلك الصدفة . حاولت افشالها متعمدة ، ولم تدر ان الموت سيكون هو الحائل الحقيقى لموعدانتظروه فلم يات .

دفعت الاوراق . جبل الاوراق . كتل الاوراق . كل الاوراق . كانت قد قررت الغاء الماضى . فلم عاد اليها ؟ لم عادت إليه ؟ لم ؟ ستغلق مخزنه وتحكم قفل صندوقه .

كتل الرسائل امامها .. تركتها هربت الى الغرفة المجاورة . التليفزيون يبث حفلة لام كلثوم . كانت الحفلة فى اخرها ، الجمهور يصفق ويهتف وينادى وام كلثوم واقفة تشدو :

اراك عصي الدمع شيمتك الصبر
اما للهـوى نهي عليك ولا امـــر

ثم تبتعد ام كلثوم والستارة تهبط وتتقارب بهدوء ، تغطى المسرح والعازفين ويزداد الهتاف والتصفيق ، ولكن الستارة تستمر فى الانغلاق ويســـــــتمر الهتاف والتصفيق ثم .. ثم يخفت . ويدير الحاضرون رؤوسهم عن المسرح ويبداون بمغادرة القاعة وتسدل الستارة تماما . يقول المذيع المعلق .. وهكذا ينتهى حفل الليلة ..

فيلم من الارشيف عرض وانتهى وقته . تسمع نفسها تكمل الاغنية :

نعم انا مشــــتاق وعنــدى لوعة
ولكن مثلي لا يـــذاع له ســـــر

كانت اذاعة بيروت تتحدث عن خرق لوقف اطلاق نار جديد .

ديزى الأمير ـ بيروت



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الأخيرة

صراعي في الحياة.. بين حبي للناس وخوفي منهم

فى وسط الخمسينات عرفت الصديقة (ياسمين زهران) دكتورة فى التاريخ فيما بعد ، وتوطدت بيننا أواصر صداقة حميمة منذ البداية ، فاتصلت لقاءاتنا ومشاويرنا فى القدس ورام الله واريحا على مدى سنوات . كانت ياسمين من ابرز العناصر النسوية المثقفة فى البلاد . منها تعلمت حب اعمال الروائى « بروست » .. وكانت مشبعة بالفكر الغربى حتى الامتلاء فكان بيتها ملتقى اصدقائها من المثقفين والمفكرين فى رام الله والقدس . وكانت تؤكد دائما على ان العامل الفكرى والروحى من اهم العوامل الأساسية فى تقرير مصائر الشعوب ولا يقل اهمية عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وللتاريخ شواهد على ذلك . ومن شواهده فتوحات العرب التى لم يكن وراءها تقدم اقتصادى او اجتماعى . لم يكن هنالك سوى الاندفاع الروحى بالعقيدة التى حارب العرب فى سبيلها .

وكانت لها فى ذلك الحين زاوية اسبوعية فى بعض الصحف المحلية جعلت منها منطلقا لارائها وافكارها والتاكيد على وجوب ايمان الفرد العربى بقوة الامة العربية وبحقها فى الحياة الكريمة ، فبدون اختمار هذه الفكرة فى اعماقه وامتلاكه للدافع الروحى لن يكون الفرد العربى قادرا على التغيير وتقرير مصيره بنفسه .

كان بيتها فى مدينتها رام الله يضم الجنسين من صفوة المثقفين عموما ، فقد اصبحت الآن الشابة الفلسطينية الجديدة تتمتع بنصيب وافر من التعليم العالى ، حتى بنات بعض المتشددين فى نابلس وسواها من المدن الفلسطينية كن من خريجات الجامعات الامريكية والبريطانية .

كانت الصديقات النابلسيات لبيبة صلاح ـ دكتورة فى التربية ـ يسرى صلاح وسبا عرفات وشقيقتها الفنانة التشكيلية عفاف ، هؤلاء وسواهن من جيل ياسمين المتفتح الواعى فى رام الله والقدس كن حبات فى عقد ملموم يحتضنه بيت « ياسمين » الجميل .

فى بيتها عرفت صديقى حسن الذكر جميل البديرى . كان يحب شعرى ولكن .. كان يتمنى دائما ويطلب الى باستمرار الخروج من دائرة الذات . وفى بيت ياسمين عرفت صديقى الشاعر كمال ناصر .

كان حينئذ نائبا فلسطينيا فى البرلمان الأردنى ، وكنا نقضى امسيات فنية فى بستان ياسمين وقد تركنا النفوس على سجيتها . كان باستمرار قلقا ثائرا ضاحكا ، وكانت احاديثنا تدور حول الأوضاع القائمة والشعر والحب والموت والنضال والانتحار كنا نقرا الشعر ونحزن ونفرح ونامل ونياس وكان كمال بشخصيته الديناميكية الحارة شديد القرب من نفوس اصدقائه ومحبيه .



كمال ناصر

سلامة موسى

وفى عام ١٩٥٧ خلال تلك الفترة الدرامية من تاريخنا ، كانت جريدة فلسطين التى تصدر فى القدس تطالع القراء بين يوم واخر بقصيدة جديدة موقعة باسم « ابو فراس » .

وكان يلفت نظرى ما فى تلك القصائد من حرارة وصدق وشاعرية . فكنت اتساءل دائما : ـ من هو « ابو فراس » هذا ؟

وحين سالت الصديق رجا العيسى ، رئيس تحرير جريدة « فلسطين » عن الشاعر المجهول قال وهو يبتسم ـ من تظنينه يكون ؟ قلت ـ اشم فى القصائد رائحة كمال . قال : رجا ـ هس ! لا يسمعك احد .

اذن كمال مختبىء ولم يفلت من الحصار كما كنت اظن . وغمرنى تاثر عميق .

فى طريق عودتى الى نابلس اخذت عصافير الأفكار وصور الامسيات الجميلة ولقاءات الأصحاب فى بستان ياسمين زهران ، كل هذه اخذت تحوم وتطوف فى راسى وعينى وقلبى .

فى الأسبوع التالى مضيت الى الصديق رجا العيسى فى القدس ومعى قصيدة جديدة مهداة الى « المغرد السجين » .

خلال بضعة أيام جاءتنى من كمال قصيدة مقابلة . بعدها صرت التقى بكمال فى مخبئه الامين .

وجدته يوما يكابد الآلام فى بعض اضراسه . وكانت المغامرة بالتسلل الى طبيب اسنان مستحيلة لخطورتها .

اقترحت عليه ان امضى فى اليوم التالى الى القدس واطلب من نسيبنا الدكتور برهان عبد الهادى المساعدة فى هذا الشان. فى ظهيرة اليوم التالى كان الدكتور برهان يرافقنى الى نابلس .. وتم الأمر فى سرية مطلقة .. واستراح كمال.

وفى تلك الايام ، ايامى مع الدكتور عبد الرحمن شقير ثم مع الصديق كمال ناصر فى محنته اكتشفت الفرق بين احساس الانسان وتفكيره وهو يعمل منفردا ، واحساسه وتفكيره وهو يعمل مع الجماعة . وذقت حلاوة الشعور الجماعى المشترك واسعدنى خروجى من اطار نفسى الى اطار الجماعة . وحين انتهى عام ١٩٥٧ باحداثه القاتمة شيعته بقصيدة هجائية تنضح مرارة .

بقيت مشكلتى هى ذلك الحماس الآني الذى يهجم مع المناسبات الساخنة ويتراجع مع انتهائها .

كنت اتمنى بصدق لو تظل السياسة جزءاً دائم السخونة فى تفكيرى ، لو استطيع الانضواء الى احد الاحزاب التقدمية ، لو اتخلص من هذا التمزق الدائم بين فرديتى وبين عواطفى الشعبية تلك العواطف التى كانت تستيقظ فقط فى المناسبات المتاججة . كنت اتمنى ومن كل



فوكنر



مارسيل بروست

قلبى لو استطيع الارتماء فى حضن الجماعة فاعيش حياتها واهتماماتها ومواقفها المتصلة بالقضايا الوطنية . ولكن تحقيق هذا التمنى ظل فوق قدرتى ، فالتعامل مع الناس فى الخارج ليس فى

طبعى ، وهكـــذا بقى عجزى التـــام عن الاندمـــاج مصـــدر شعور بعـــدم الرضى ، وبقيت حـــائرة بين هذه الحالات المتعارضـــة ، موزعـــة النفس بفعل التعارض القائم بين قوة طبيعتى الاصلية المتحكمة وبين عدم اقتناعى ، بل كرهى لهذه الطبيعة ، مما ولد فى ضميرى ما يشبه عقدة الذنب . وفى الحقيقة لقد كان عجزى عجزا ماسويا يتطابق وتعريف احد الكتاب للماساة حين قال انها التصادم بالضرورة واستحالة تنفيذ هذه الضرورة عمليا .

كنت احيانا امقت شعلة الحب التى ظلت اقدر على اجتذابى وملء حياتى من اى شىء اخر . فلم يكن بين شعراء جيلي من لم ينضـــو الى حزب او لم يتخذ موقفا ملتزما ينبع من خلاله شعره . لقد كنت فريسة لتشابك صعب بين شـــــعور (بالأنا) لا استطيع تجاوزه وبين ادراكى التام لما فى تجربتى الشعرية من نقص نابع من خلوها من الالتزام .

احيانا كنت احاول ان افلسف وضعيتى وافتقارى الى الشعور بروح الجماعة ، فامضى فى حوارى مع النفس اتساءل ـ هل من الممكن ان يتجرد الانسان الشاعر من ذاتيته الى هذا الحد المطلوب منه فى هذا العصر ؟ ثم ، لماذا يساق الشعراء جميعا بهذه العصا الواحدة ، عصا السياسة

فقط ؛ إن جوانب الحياة كثيرة ووجوهها متعددة والنزعة الذاتية هى احد هذه الوجوه وهذه الجوانب ، فلماذا تلغى من الشعر ما دام الشعر هو انعكاس الحياة بكل اوضاعها المختلفة . الشاعر انسان قبل ان يكون اى شىء اخر ، قبل ان يكون سياسيا ـ هكذا كنت افلسف وضعيتى ـ الشاعر فرد ككل الافراد يمثل الانسان فى جوهره الذى لا يختلف ، يتالم حين يفجع بموت اخ او حبيب ، يحب الجنس الاخر ، يستجيب لمعطيات الطبيعة والحياة ، فلماذا يطالب منه ان يدير ظهره ـ كشاعر ـ الى تلك المعطيات فلا يعبر عنها فى شعره ؟

بل كنت احيانا اذهب الى اقناع نفسى بان الحزبية فى بلادنا العربية ناقصة ، وتظل ذات صفة شخصية ، فهى تتصل بالاشخاص قبل المبادىء مما يشغل الشعب عن العمل الحقيقى .

بالتاكيد لم يكن لجوئى احيانا الى هـذا التفكير الا تصيدا للمبررات ، فقط . كنت ادرك ان الشاعر يستطيع ان يمارس بشعره فعالية وطنية دون الانضواء الى تنظيمات سياسية معينة ، فليس من المحتم ان يرتبط بالحزبية ليقوم بدوره كشاعر ملتصق بالواقع العربى من حوله .

وهكذا ظلت كتاباتى للشعر اسيرة الحالات العاطفية والنفسية التى تداهمنى فجاة ، وتذهب فجاة ، ولم اعـــــرف الاحساس الدائم بالواقع والالتصاق الوجدانى الملازم بالقضية الجماعية الا بعد حرب حزيران .

• •

انا اقرا فانا موجودة . ظللت قارئة كتب شرهة . وقد نمى هذه الشراهة حرمانى من الدراسة الاكاديمية ، فالانسان الطموح يظل ينطوى على مرارة مصدرها ذلك الفراغ الذى يتركه فى النفس الحرمان المبكر من المدرسة . هنا يتحول الى (دودة كتب) .

لم تكن قراءاتى منهجية . كنت اقرا اى كتاب يقع فى يدى ، مرورا بالموضوعات الادبية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية الى كتب العلوم المبسطة . كان سلامة موسى والعقاد والمازنى من الكتاب الذين فتحوا ذهنى وعلمونى ما لم اعلم ، ومنذ الاربعينات اصبحت شديدة الالتصاق بعلم النفس من جهة والرواية من جهة اخرى .

وجدت فى الرواية حصيلة المعرفة الانسانية ، وجدت فيها الفكر والشعر والفلسفة والتحليل النفسى . انها تتناول الحياة بل كل شيء حى . الانسان هذا الجرم الصغير الذى انطوى فيه العـالم الاكبر .

تتناوله الرواية بكل اهتزازاته الحية ، بكل تناقضاته وتقلباته ، بكل ما فى تركيبه من عناصر مختلفة متضادة . وهكذا اصبح عالم الروائيين الغربيين الكبار عالمى الذى يضج بالحياة والحركة وانا سجينة الجدران . كنت اقرؤهم بالعربيـــة او بالانكليزية . تولستوى ، دوستويفسكى ، سترندبيرغ ، هكسلى ، د . هـ لورنس ، جراهام جرين ، سمرست موم ، همنجواى ، فوكنر وسواهم . وظل يجتذبنى فى الرواية الفكر الفلسفى بشكل خاص ـ مشكلة الخير والشر ، قضية الموت والمرض ، قضية العدل .

وانجذبت بطبيعتى التشاؤميـــة الى الشخصيات القلقة المتشككة المتسائلة دائما .

كان شقيقى رحمى صديقى اللدود . ورحمى ظل دائما اخا حنونا فيه من طباع ابراهيم الكثير خصوصا طبيعة الايثار وحب المساعدة . ولكن رحمى لم يكن يبدى حماسا لاهتماماتى ومطالعاتى واشعارى .

كان رحمى يلح على وجوب ارتباطى بالواقع الذى تعيشه البلاد ، ذلك اننا نعيش فى اوضاع وفى زمن لا يستطيع معه احد ان يبقى لا مباليا ، والا فلا ضرورة ولا اهمية لكل ما اكتب من شعر . وكان هـذا يقلقنى وكنت اجد فيه تهديدا لاهمية وجودى ذاته فقد كان الشعر هو كل وجودى .

لم اكن ابالى بالشيوعية ولم تكن لدى فكرة صحيحة عنها ولا صورة واضحة . كانت (عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين) قد قررت الموافقة على قرار التقسيم ، وبعد قيام اسرائيل بدا اعضاء الحزب بقيادة المرحوم فؤاد نصار ، الأمين العام للجنة المركزية يطالبون باقامة الدولة الوطنيـة الفلسطينية المستقلة التى نص عليها قرار الامم المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ .

فى تلك الأيام كانت تعتبر الموافقة على قرار التقسيم خيانة للوطن والشعب›ومن هنا كان نفورى التلقائى من الشيوعيين ، ومن هنا كان يحتدم الجدل بينى وبين شقيقى رحمى .

حين خرجت الى الحياة كنت عزلاء من سلاح الخبرة ومعرفة الناس ، فكانت المواجهة متعبة صعبة يعوزها التكافؤ . ان الكتب وحدها لا تكفى كمصدر لمعرفة الحياة وما فى العلاقات البشرية من تعقيد وتصادم . وعلينا ان نحيا فى الحياة ذاتها فتجاربنا الخاصة تظل هى الينبوع الاصلى لتلك المعرفة .

المشاعر والأفكار المعزولة عن ارض الناس والواقع .. الحس الاجتماعى العاجز عن النمو الحقيقى بسبب كساحة الزمن .. كل هذا فوجىء بالناس والحياة المتحركة وراء عالم « الحريم » المعزول الذى كنت قابعة فيه طوال تلك السنين السـابقة ، ووجدتنى اقف حائرة مبلبلة ـ الحيـاة الاجتماعية ومعطياتها فى طرف ، وانا فى طرف اخر ، وكان الامر باعثا على الدهشة والخيبة والتامل .

ان نعرف الحياة ونلمسها معناه ان نعرف النـاس ونلمسـهم ، ان نصطدم بالآخرين ، ان نضع اصبعنا على ما فيهم من رقة وخشونة وحب وكره ، وضعف وقوة ونبل وحقارة ، وصدق ورياء ، وكل ما هو خليط من التناقضات . وكانت هناك ، الى

● لم أستطع أن أرتـبط بـأي حـزب من الأحزاب

● وجدت في الروايـة الغربيـة حصيـلة المعرفـة الإنسانيـة

● تـأكدت أن سـعادتي لا تـكون إلا في عـزلتي

جانب هذا ، الضريبة الغالية الثمن التى لا مهرب من ان يدفعها المرء وهى طيبة القلب والبراءة .

اكتشفت ان عالم العلاقات البشرية مشحون بالتعقيدات والعراك . ولم اكن املك يوما الطبيعة العراكية التي كان يمكن ان تسعفني في ذلك العالم الغريب على طبيعتي . واخذت اضطرب بين حبي للناس وخوفي منهم ، بين عمق العلاقة الانسانية التي تربطني بالاصدقاء وبين اكتشافي ان الحقيقة كثيرا ما تنأى عن اللغة وتكمن باردة متوارية خلف ستار الكلمات المراوغة . وبقيت اتراوح بين فترات من استيعاب الآخرين والاستمتاع بالصحبة وبين فترات من الخمود والجمود الكليل نحو الناس وفي كثير من الاحيان كنت اتعزى ببيت الشعر الجميل :

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي النـاس تصفو مشاربه

إذ وجدت في هذا البيت تلخيصا رائعا لكل سـايكولوجية الصـداقة والعلاقات البشرية عموما . على ان ارتباطي بالناس ظل يخضع لحالتي المزاجية .

ثم وجدت نزعتي الرومانسية مبررها لتسحبني من جديد الى اعماق ذاتي ، وقد ساعدها في ذلك عدم وجود ما يضطرني إلى الاتصال بالحياة الخارجية ، فلا عمل ولا وظيفة تحتل جزءا من تفكيري ولم احس يوما بالميل الى الانخراط في خدمة اجتماعية . وهكذا لم تكن عواطفي ومشاعري لتجد اى موضوع خارجي تمتد اليه او اي بديل تتفجر من خلاله وتاخذنى خارج نفسي ، وتاكد لي ان سعادتي لا تكون الا في عزلتي ، ولكن السعادة الفردية تظل في نزاع وصراع مع الاحساس بالواجب الاجتماعي . فما هو الحل ؟

تحققت من عجزي التام عن تحطيم عزلتي التي لم تعد الآن مفروضة علي من قبل الآخرين ، وفي نفس الوقت لم يكن بوسعي تبرير هذه العزلة في حال من الاحوال ، وهنا بدا لون اخر من الوان صراعي مع حياتي ومع نفسي .

شرعت ابحث عن مخرج من هذا التازم .
كانت انكلترا حلما من احلامي البعيدة التي تراودني باستمرار . قلت في نفسي : امضي بقطار العمر في رحلة جديدة الى محطة جديدة لاختراق افاق جديدة .. اغيب في قلب الحضارة هناك عاما او عامين .

وغادرت البلاد في اواخر مارس عام ١٩٦٢ وانا اغزل الحلم عند مرافىء التوقـع المثير . غادرت البلاد وفي قلبي نسمات تهفهف رطيبة ناعمة .

● ●

تبقى رحلة الحياة مع الانسان الطموح تجاوزا مستمرا لمحطات عديدة . بدون هذا التجاوز يستحيل التجدد والاستمرار في الحياة . ليس هناك هدف نهائي ، ليس هناك مستقر نهائي يتجمد عنده . فالحياة حركة بالنسبة له تتجه دائما الى الامام . ان البحث الدائب عن اقاليم جديدة ، حتى لو كان بحثا ميؤوسا منه ، هو الذي يمنح الحياة غناها وكثافتها .

تمت المذكرات

ملحوظة :
اضطررنا لاختصار بعض الفقرات من الفصلين الاخير وما قبله ، وسوف تصدر هذه المذكرات الهامة للشاعرة الكبيرة فدوى طوقان كاملة فى كتاب يظهر قريبا ، فنعتذر للقراء وللشاعرة الموهوبة عما اضطررنا إليـه من اختصار .

« الدوحـة »

إعداد : محمد العزب موسى

الكاتب الذي قضى عمره في البحث عن أسرار القارة المفقودة

آراؤه واجتهاداته المثيرة ونقد العلماء له

منذ ان كتب افلاطون عن القارة المفقودة « اطلانطس » لم يكف الكتاب والباحثون والمستكشفون عن البحث عن هذه القارة و « العثور » عليها بالفعل في شتى انحاء الارض !

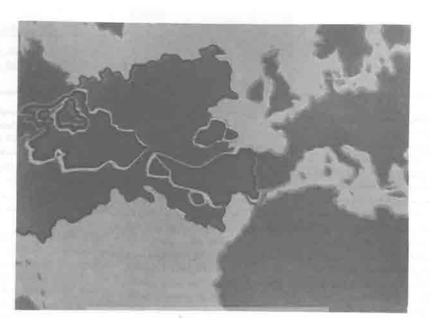
فكان فرنسيس بيكون الفيلسوف الانجليزي في القرن السابع عشر يعتقد ان اطلانطس التي اشار اليها افلاطون هي نفسها القارة الامريكية التي اكتشفها كولومبس حديثا . وكتب فيلسوف سويدي يدعى اولوف روبيك كان يعيش في القرن السابع عشر ايضا « مثبتا » ان اطلانطس هي نفسها السويد . وفي القرن الثامن عشر اكد الفلكي الفرنسي جين بيلي - الذي اصبح من ضحايا الثورة الفرنسية فيما بعد - وجود اطلانطس في المنطقة القطبية الشمالية ، اما فرنسيس ويلفورد - وهو ضابط بريطاني كان يخدم في الهند في القرن التاسع عشر - فقد كان مقتنعا بان الجزر البريطانية هي من بقايا قارة اطلانطس الغارقة ، وانتقل هذا الاقتناع الى الشاعر ويليام بليك الذي ايده فيه بحماسة .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ان كثيرين من الباحثين الاخرين - وبعضهم كرس كل حياته لهذا الغرض - وضعوا اطلانطس في اماكن كثيرة اخرى : شمال افريقيا . جنوب افريقيا . وسط امريكا . استراليا . فرنسا . بحر الشمال . سردينيا . فلسطين . لبنان . مالطة . الصحراء الكبرى . شرق بروسيا . البلطيق . سيبيريا . جرينلاند . العراق . ايران . البرازيل . المحيط الهادي . المحيط الهندي .. وبالطبع كان سكان هذه المناطق يتحمسون لهذه النظريات لان وضع اطلانطس في بلادهم أو بالقرب منها يعطيهم حجة معقولة في القول بانهم من احفاد الناجين من هذه القارة العظيمة .

وقد يبدو غريبا أن نلاحظ ان معظم هذه النظريات تضع اطلانطس فوق أرض صلبة وليس في المحيط كما اشار افلاطون .. ولكن يبدو أن السبب الظاهر لذلك ان معدات الاستكشاف تحت سطح البحر لم تكن قد عرفت بعد ، فانها قد ظهرت مؤخرا جدا ، بما في ذلك الطائرات التي تصور من الجو ، والغواصات ، ومعدات التصوير والقياس تحت سطح الماء . وبظهور هذه المعدات بدأ الاهتمام يتركز حول وجود اطلانطس في مكانها الأصلي الذي اشار اليه افلاطون وهو المحيط الأطلسي ابتداء من مدخل جبل طارق الى البحر الكاريبي . والواقع ان الاغلبية العظمى من الباحثين الذين اهتموا بلغز اطلانطس يشاركون افلاطون اعتقاده في وجود اطلانطس في المحيط الأطلسي ، وقد جمعوا بالفعل مادة ضخمة تؤيد هذا الاعتقاد .

ايجناتيوس دونيللي

من أهم الباحثين عن اطلانطس الكاتب الامريكي ايجناتيوس دونيللي الذي يلقب احيانا بمؤسس علم « الانطلوجي » نسبة الى القارة المفقودة ، وقد كان دونيللي يتمتع بنشاط بدني وفكري هائل جلب له النجاح في سن مبكرة . ولد دونيللي في فيلادلفيا عام ١٨٣١ ، ودرس القانون ، وانضم الى رابطة المحامين في سن الثانية والعشرين ،



كانت اطلانطس ، طبقا لما قاله افلاطون ، قارة واقعة فيما وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) ، وكانت مأهولة ، ولكن البحر غمرها . ولكن لا يوجد دليل جيولوجي على وجود كتلة أرضية ضخمة في المحيط الاطلنطى بين شمال غرب افريقيا وشرق امريكا الشمالية ، كما يظهر في هذا الرسم الافتراضي .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ذهب هو وزوجته وعدد من اصدقائه الى « مينوسوتا » حيث اشتروا قطعة شاسعة من الارض الخلاء بالقرب من سان بول بهدف أن يقيموا عليها مدينة كبيرة اسموها « نينجر سيتى » ، ولكن المشروع حاق به الفشل ولم تتطور المدينة الوليدة ، بسبب الكساد المالى الذى حدث فى خمسينات القرن الماضى .

بعد ذلك وجه دونيللى اهتمامه للسياسة وانتخب حاكماً لمينو سوتا فى سن الثامنة والعشرين ، وبعد أربع سنوات اخرى انتخب عضوا بالكونجرس حيث قضى دورتين من ثمانى سنوات . وكان دونيللى خطيبا مفوها ساحراً ، واكتسب احترام زملائه اعضاء مجلس النواب . ولكن وراء هذا المظهر الخارجى كان دونيللى يعانى من الوحدة الحادة ، خاصة بعد وصوله الى واشنطون ووفاة زوجته ، فاتجه دونيللى الى القراءة والدراسة بحثا عن العزاء ، واكب على مكتبة الكونجرس الضخمة حيث كان يقضى الساعات الطوال يلتهم كل صنوف المعرفة .

وهزم دونيللى فى انتخابات ١٨٧٠ فعاد الى منزله فى نينجر سيتى ، مدينة الأشباح التى حاول انشاءها ، وهناك - بين أوراقه ومكتبته الشخصية الكبيرة - بدأ يضع الكتب التى جعلته شهيراً ليس فى امريكا وحدها وانما فى العالم اجمع ، فبعد سنوات من العزلة والفقر عكف خلالها على موضوعه الوحيد المحبب ، نشر دونيللى تحفته الكبرى « اطلانطس وعالم ما قبل الطوفان » فى عام ١٨٨٢ ، وأحرز هذا الكتاب على الفور شهرة عمت الآفاق ، وفى العام التالى اخرج كتابه الثانى « راجنا روك .. عصر النار والحصباء » وأصبح أيضا من أوسع الكتب انتشاراً وهو يتعلق بالكوارث الطبيعية الكبرى كالتى يفترض انها اغرقت اطلانطس ، ومما يدل على النجاح الواسع الذى احرزه دونيللى ان كتابه الأول مثلا طبع اكثر من خمسين طبعة ولايزال موجوداً فى الاسواق حتى الآن بعد قرن من صدوره ، ويرجع الى دونيللى الفضل فى تحويل اطلانطس من موضوع للنقاش بين المثقفين الى موضوع جماهيرى يثير اخيلة الملايين .

لم يكتف دونيللى بتاكيد رواية افلاطون وتفسيرها وانما اضاف الكثير من النتائج التى توصل اليها بابحاثه الخاصة ، ويمكن تلخيص نظرية دونيللى فى ١٣ نقطة رئيسية :

١ - كانت توجد فى المحيط الأطلسى فى مواجهة البحر المتوسط جزيرة كبيرة هى البقية الباقية من قارة اطلانطيك الكبرى فى العصور الجيولوجية القديمة ، وكانت الجزيرة معروفة لسكان العالم القديم باسم اطلانطس .

٢ - أن وصف افلاطون لهذه الجزيرة والحضارة التى كانت قائمة عليها ليس قصة خيالية وانما تاريخ حقيقى .

٣ - كانت اطلانطس هى المكان الأول الذى انتقل فيه الانسان من البربرية الى الحضارة .

٤ - أصبحت اطلانطس مع الزمن أمة قوية كثيفة السكان وخرجت منها هجرات متتالية عمرت شواطىء خليج المكسيك ونهر المسيسيبى ، والامازون ، وسواحل امريكا الجنوبية ، والبحر المتوســـط ، والشاطىء الغربى لاوربا وافريقيا ، وبحر

البلطيق ، والبحر الاسود ، وبحر الخزر فجميع هذه الجهات سكنتها اقوام متحضرة جاءت أصلا من اطلانطس .

٥ ـ ان اطلانطس كانت العالم البشرى فيما قبل الطوفان ، وكل اساطير الشعوب التى تشـــير الى عصر ذهبى قـــديم انما تشـــير الى الحياة البشرية المبكرة فى اطلانطس حيث كان يسودها الوئام والسعادة .

٦ ـ ان ابطال الاساطير لدى الاغريق القـــدامى والفينيقيين والهنـــود والاسكندنافيين هم ببساطة ملوك وملكات وابطال اطلانطس القديمة ، والافعال التى تعزى اليهم فى الاساطير هى احداث تاريخية حقيقية ولكنها مشوهة .

٧ ـ ان ديانة مصر القديمة وبيرو هى نفسها الديانة الاصلية لاطلانطس والتى هى عبادة الشمس .

٨ ـ ان اقدم مستعمرة اقامها اهـــل اطلانطس خارج بلادهم ربما هى مصر حيث تعتبر حضارتها صورة طبق الاصل من حضارة اطلانطس .

٩ ـ ان ادوات العصر البرونزى فى أوربا ماخوذة من اطلانطس حيث كان اهـــل اطلانطس اول من استخدم الحديد والمعادن .

١٠ ـ ان الابجدية الفينيقية التى هى ام كل الابجديات الاوربية ماخوذة من الابجدية الاطلانطسية التى انتقلت ايضـــا من اطلانطس الى المايا فى امريكا الوسطى .

١١ ـ ان اطلانطس هى المهد الاصلى للشعوب الارية والشعوب السامية وربما ايضا الشعوب التورانية ، وتتشارك هذه الشعوب جميعا فى ذكرياتها عن اسطورة الطوفان .

١٢ ـ ان اطلانطس اختفت نتيجة لانقلاب طبيعى عنيف اغرق الجزيرة باكملها تحت مياه المحيط بكل سكانها تقريبا .

١٣ ـ ان عددا قليلا من سكان اطلانطس استطاعوا النجاة بالسفن او القوارب . وهؤلاء حملوا الى مسامع الشعوب الاخرى فى الشرق والغرب تفاصيل الكارثة الكبرى التى محقت بلادهم وهى التى عاشت فى ذاكرة الشعوب القديمة والحديثة فى صورة ذكريات عن الطوفان والفيضانات .

مناقشة نظرية دونيللى

وهكذا يبدو أن دونيللى لم « يكتشف » اطلانطس فحسب ، وانما حل ايضا جميع الغاز الماضى ، فهو يعتبر ان اطلانطس كانت منبع الحضارة (وهو زعم لم يقل به افلاطون) وانها اوحت باساطير مختلف الشعوب (وهى متشابهة حقا فيما بينها) ، كما يزعم دونيللى ان التشابه بين اجناس النبات والحيوان فى القارتين الاوربية والامريكية مرجعه ان لها اصلا مشتركا فى اطلانطس ، فيقـــول نقلا عن خـــبراء متخصصين ان الطباق والجوافة والقطن والموز لم تكن وقفا على احدى القارتين دون الاخرى قبل اكتشاف كولومبس للعالم الجديد كما هو شائع ، وانما كانت هـــذه المحاصيل وامثالها تنمو فى القارتين على السواء ، وفى اعتقاده ان هذه النباتات عبرت المحيط الاطلسى عن طريق الجسر البرى الذى كانت تمثله اطلانطس .

وكان دونيللى يعتقد ان حضارة مصر القديمة ظهرت فجاة ولم تتطور تدريجيا عبر الاف السنين مما يشير الى انها مستوردة من مكان اخر ، وتـــراه يقتبس ـ تاييدا لرايه ـ فقرة للكاتب الفرنسى ارنست رينان الذى عاش فى القرن التاسع عشر يقول فيها : « ان مصر منذ البداية تبدو ناضجة ، قديمة ، ليست لها عصور اسطورية او بطولية ، كما لو كانت امة بلا شباب ، حضارتها بلا طفولة ، وفنها بلا مهد » ويستند دونيللى الى هذه الفكرة والى حقيقة وجود تشابه بين الحضارة المصرية وحضارات امريكا القديمة للقول بان مصر استعمرها الناجون من اطلانطس ونقلوا اليها الحضارة التى تبلورت فى حياتهم الاولى .

كما يرى دونيللى ان المايا فى امريكا الوسطى هم ايضا من جنس اطلانطس لانهم يمتلكون ابجدية مشابهة لابجديات العالم القديم ولانهم يعتقدون ان حضارتهم جاءت « عبر البحر فى سفن قدمت من الشرق » اى من اتجاه اطلانطس .

وقد بذل دونيللى جهدا كبيرا فى اثبات وجود صلة بين اطلانطس وغيرها من الحضارات بتحليل المفردات اللغوية ، ويقول ان لغات العالم الجديد (امريكا) على صلة وثيقة بلغات العالم القديم ، واورد قوائم متوازية لكلمات من مختلف هذه اللغات اثباتا لوجهة نظره .

وهكذا ، فان هؤلاء الذين يعتقدون فى وجـــود اطلانطس ويشـــعرون ان قصـــة افلاطون بها كثير من الثغرات والاسئلة التى لا جواب لها يمكنهم ان يرجعوا الى دونيللى لملء هذه الثغرات والحصول على اجوبة لهذه التساؤلات ، فالذى فعله دونيللى انه كسا عظام اسطورة افلاطون لحما . والواقع ان كل كاتب عن اطلانطس جاء بعد دونيللى اخذ عنه ، ولايزال كتاب دونيللى يعد بمثابة مرشـــــد لعـــلم الاطلنطولوجى الى اليوم .

ولكن ، هل يستحق دونيللى شـــهرته فعلا ؟

ان اسلوب دونيللى القوى ، وثقافته الغزيرة ، وحماسته لفكرته ، واعتقاده الجازم فى صحة ارائه .. كل هذه الاشياء تكتسح القارىء وتخفى عنه كثيرا من الأسس الخاطئة التى تقوم عليها نظريته .. ويقول سبراجو دى كامب الذى تخصص فى نقد الكتابات المتعلقة باطلانطس « ان معظم الحقائق التى اعتمد عليها دونيللى اما انها كانت خاطئة عندما استخدمها ، او ثبت خطؤها بعد ذلك نتيجة للاكتشافات التالية » .

ويشير دى كامب الى ان دونيللى اخطا فى اعتقاده ان هنود بيرو كانوا يملكون نظاما للكتابة خاصا بهم ، واخطا كذلك فى القول بان نبات القطن فى العالم القديم والعالم الجديد ينتمى الى نفس النوع ، وكذلك فان مقارنات دونيللى بين ابجدية العالم القديم والعالم الجديد غير دقيقة ومؤسسة على ما يعتبره دونيللى « ابجدية المايا » وهى تكاد تكون من اختراع دونيللى نفسه لاثبات وجود « اشكال وسيطة » بين اللغة اللاتينية ولغة المايا المزعومة ، وكذلك ليس هناك تشابه بين لغة هنود المكسيك واللغة الصينية القديمة .

ولكن مثل هذه الاخطاء العلمية مضت دون ان يفطن اليها احد ، ولايزال دونيللى يتمتع بكثير من الانصار ، وعندما نشر دونيللى كتابه الاول سرعان ما طبقت شهرته الافاق حتى ان ويليام جلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين كتب اليه معبراً عن تقديره وحماسته ، بل قد حاول جلادستون ان يقنع البرلمان البريطانى بتخصيص اعتماد مالى للبحث عن اطلانطس ، ونتيجة لهذه الحماسة البالغة خرج دونيللى من عزلته وامتهن إلقاء المحاضرات بنجاح تام كذلك ، ثم توقف فجاة عن القاء المحاضرات وعاد الى عزلته وكتاباته ، واخيراً دخل ميدان السياسة مرة اخرى فساهم فى تاسيس « الحـــزب الشعبى » ورشح نفسه مرتين بلا نجاح كنائب للرئيس فى بطاقة الحزب الشعبى ، وقد مات هذا الرجل النشيط العصامى الذى علم نفسه بنفسه فى عام ١٩٠١ بعد ان ارسى الاساس المتين لعلم الاطلنطولوجى الحديث .

لويس سبنس

وتبع دونيللى اخرون ، كان من ابرزهم الميثولوجى الاسكتلندى لويس سبنس الذى كرس معظم جهوده للاهتمام بامر القارة المفقودة ، فاصدر مجلة عاشت فترة قصيرة اسماها « اطلانطس » كما وضع خمسة كتب فى الموضوع ، ولم يحرز سبنس قدر الشهرة الشعبية التى احرزها دونيللى ، ولكن نظرياته وجدت ترحيباً كبيراً فى دوائر المهتمين بامر اطلانطس ، وحتى المتشككين منهم يقدرون القيمة العلمية لهذه النظريات . قال عنه سبراجو دى كامب انه « كاتب ممتاز وعاقل » ووصف كتابه الرئيسي « مشكلة اطلانطس » بانه افضل دفاع عن وجود اطلانطس نشر حتى تاريخه .

وقد حاول سبنس كما فعل دونيللى ان يتناول موضوعه تناولا علميا جاداً ، وفى كتابه « مشكلة اطلانطس » الذى ظهر عام ١٩٢٤ ركز سبنس على اثبات اربع نقاط :

١ ـ انه كانت توجد فى العصـــور الجيولوجية القديمة قارة كبيرة تحتل كل او معظم منطقة شمال المحيط الاطلسى وجزءاً كبيرا من حوضه الجنوبى وان هذه القارة تعرضت فى الأزمنة الجيولوجية القديمة لكثير من التغييرات فى الحجم والمساحة بما فى ذلك انغمار اجزاء منها وظهور اجزاء اخرى .

٢ ـ فى عصر الميوسين (٢٥ ـ ١٠ ملايين سنة) كانت هذه القارة لاتزال تحتفظ بطابعها القـاري ، ولكن فى اواخر هذا العصر بدات تتلاشي نتيجة سلسلة متعاقبة من البراكين وغير ذلك من الأسباب

٣ ـ ان هذه العملية ادت الى تكوين كتلات جزرية اصغر اهمها اثنتان : الاولى على مسافة قريبة من مدخل البحر المتوسط وتسمى « اطلانطس » والثانية فى منطقة جزر الهند الغربية الحاليـــة وتسمى « انتيليا » .وكانت الاتصـــالات بين هاتين الكتلتين ممكنة عبر سلسلة من الجزر الصغيرة .

٤ ـ كانت هاتان الكتلتان وسلسلة الجزر التى تصل بينها قائمـــــة حتى عصر البليستوسين ، وفى هذه الحقبة (منذ حوالى ٢٥ الف سنة او بداية عصر ما بعد الجليد) تعرضت اطلانطس لمزيد من الانهيار حتى حدثت الكارثة الاخيرة منذ حوالى ١٠ الاف سنة قبل الميلاد فغرقت نهائيا اما الكتلة الأخرى « انتيليا » فقد استمرت الى فترة اقرب ولاتزال بقاياها الآن هى مجموعة جزر الأنتيل او جزر الهند الغربية .

ولا يتفق سبنس مع افلاطون فى القول بان اطلانطس تلاشت فى يوم وليلة بل يعتقد ان ذلك تم تدريجيا خلال سنوات طويلة ، وكذلك لا يتفق مع دونيللى فى زعمه ان اطلانطس كانت المصدر الاول لكل الحضارات بل يقول ان حضارة اطلانطس كانت تنتمى الى العصر الحجرى القديم ولم تعرف استخدام المعادن .

ويقول سبنس انه اذا كانت اطلانطس موجودة ومسكونة حتى الزمن الذى اعطاه افلاطون وهو ١٠ الاف سنة قبل الميلاد ، فلابد ان نجـــد شواهد عن النـــاجين منها فى اماكن اخرى من العالم وهـــذا ما نجده فى ثلاثة اقوام من الأجنـــاس البائدة هى انسان كرومانيون ، وسكان منطقة الخرز القدماء ، وحملة الحضارة الأزيلية . ويقتبس سبنس عن خبراء كثيرين ما يثبت ان هذه الاجناس الثلاثة لم تتطور فى المناطق التى عثر فيها على اثارها بل تطورت فى اماكن اخرى ، ولما كانت معظم المستوطنات ، الاولى لهذه الاجناس تقع فى المناطق الساحلية بجنوب غربى فرنسا وشمالى اسبانيا،فان ذلك يدل على انها جاءت من مكان اخر من الغرب غير موجود الآن ، ويمكن القول إنه اطلانطس .

والمعروف ان انسان كرومانيون ظهر لاول مرة فى أوربا فى نهاية العصر الجليدى منذ حوالى ٢٥ الف سنة ، ويبدو انه هو الذى قضى على انسان نياتتردال الذى كان يسكن هذه المنطقة من قبل لأن الاول كان اكثر تفوقا فى القوة البدنية والذكاء ، وقد ترك انسان كرومانيون رسوما فى الكهوف تمتاز باسلوبها الواقعى المدهش ومعظمهـــا لحيوانات مختلفة منها الثور (قارن اهمية الثور فى حضارة اطلانطس) .

وقد استمر هذا الجنس مزدهرا حوالى ١٥ الف سنة الى ان حلت محله غزوات الخرز والازيليين ، وطبقا لما يقوله سبنس فقد جاء هذان الجنسان ايضاً من اطلانطس فى مراحل تالية من تاريخها العنيف ، وقد احتل الازيليون نفس المناطق الأوربية التى كان يحتلها سابقوهم الكرومانيون . واكتشف الاثريون شواهد على انهم كانوا صيادين خلافا لسابقيهم ، وانه كان فى امكانهم الصيد فى عرض البحر ، واستخلص سبنس من ذلك انه اذا كان الجسر البرى الذى يربط بين اطلانطس واوربا والذى انتقل عبره الكرومانيون قد اختفى فان خلفاءهم الأزيليين باعتبارهم ركاب بحر كان فى امكانهم استخدام القوارب فى الهرب من الكوارث المتلاحقة التى حاقت بقارتهم الأم .

والمعروف ان الحضارة الأزيلية ظهرت فى اوربا حوالى عام ١٠ الاف قبل الميلاد وهو نفس التاريخ الذى يعطيه افلاطون لدمار اطلانطس ، ومما له دلالة ان الازيليين كانوا يجعلون وجهة دفناهم نحو الغرب ، اى نحو الجهة التى جاءوا منها حسب قول سبنس .

ويناقش سبنس ايضا احتمال ان يكون



الأزيليون هم الذين اسسوا حضارة مصر وكريت ، كما ان حضارة المايا جاءت ايضا من اطلانطس ، ويفسر سبنس الهوة الزمنية الكبيرة التى تفصل بين غرق اطلانطس حوالى ١٠ الاف سنة قبل الميلاد وظهور حضارة المايا قبيل العصر المسيحى بان يكون لاجئو اطلانطس قد استقروا اولا فى انتيليا او جزر الانتيل خلال هذه الفترة الطويلة قبل ان يلحق الدمار بهم الى هناك فيضطرهم الى الهجرة الاخيرة الى امريكا الوسطى .

وقد تناول سبراجو دى كامب نظرية سبنس بالنقد كذلك،بالرغم من امتداحه لها ويقول دى كامب اننا حتى لو الزمنا انفسنا بالحقائق التى يسوقها سبنس سوف نجد انها اقل تاثيرا مما يبدو لأول وهلة ، فمثلا لم تكن حضارة كرومانيون قاصرة على الغرب الأوربى وانما عثر على آثارها ايضا فى الشرق وخاصة فى فلسطين ، كما انه بالرغم من كل تاكيدات سبنس بان حضارات مصر ويوكاتان وبيرو قد ظهرت الى الوجود فجاة بدون تطور من اشكال حضارية ادنى،الا ان الاثريين المحدثين قد كشفوا عن تطور تدريجى بطىء لهـــذه الحضارات . ففى الامكان مثلا تتبع الحضارة المصرية الى شكلها البدائى الذى كانت عليه فى العصر الحجرى الحديث حيث كان انسان « مرمدة » يرتدى جلود الحيوان ويعيش فى كهوف من الطين ويزرع بطريقة بدائية . ثم اخذ المصريون يتطورون من هذا المستوى البدائى الى المستوى الرفيع الذى بلغوه فى عصر بناة الاهرام وما بعده .

هل ظهرت اطلانطس ؟

ان اى بحث نظرى عن اطلانطس مهما كان مدعما بالحجج والاسانيد لابد ان يكون مليئا بالثقوب ، فالفيصل فى وجود اطلانطس هو العثور عليها بالفعل ، وهذا ما بدا يدعيه مؤخرا فريق من الباحثين .

ففى عام ١٩٦٨ اعلن اثنان من الطيارين المدنيين كانا يقومـان برحـلة جـــوية فوق جزر « بهاما » انهما شاهدا ما يشـــبه ابنية حجرية تبرز من المحيط بالقرب من سطح الماء عند شاطىء جزيرة « بيمينى » ، وقاما بتصوير هذه الابنية من الجو . وعلى الفور تحمس الكثيرون لهذا النبا باعتباره مصداقا لنبوءة الوسيط الروحى الشهير ادجار سايس الذى تنبا فى يونيو ١٩٤٠ بان اجزاء من قارة اطلانطس الغارقة سوف تظهر فى عام ١٩٦٨ او ١٩٦٩ وحدد سايس هذه الاجزاء بانها من الطرف الغربى لاطلانطس المسمى « بوسيديا » وانه يقع بالقرب من جزر « بهاما » !

وتلقف الباحث الاثرى دكتور تشارلس بيرليتز ، وهو فى نفس الوقت غـواص ماهر ، هذا الخيط ، وقام بعدة ابحاث تحت الماء فى هذه المنطقة وما يجاورها ، ووضع كتابا بعنوان « سر اطلانطس » اكد فيه وجود اطلال كثيرة تحت الماء بالقرب من جزر الكاريبى بما فى ذلك ما يبدو كانه مدينة كبيرة غارقة بالقرب من جزيـــرة « هايتى » كما عثر على ما يبدو كانه طريق مرصوف بالاحجار فى اعماق المحيط شمالى جزيرة « بيمينى » مما يوحى بان جزءا من الجرف القاري فى المحيط الاطلسى والبحر الكاريبى كان يوما ارضا جافة وانه غرق فى وقت كانت فيه الحضارة البشرية قد ظهرت بالفعل .

ولكن ليس ثمة اجماع على ان ما يبدو كاطلال تحت الماء هو حقا من صنع الانسان ففى راى البعض ان طريق « بيمينى » ليس اكثر من صخور شاطىء تصادف اصطفافها على هذا النحو ، ولكن دكتور بيرليتز وزميله دكتور مانسون فالنتين وهو الغواص الذى اكتشف الطريق سارعا الى تفنيد هذا الاعتراض ، فكتب دكتور بيرليتز يقول « ان صخور الشاطىء لا يمكن ان تشكل مكعبات ضخمة تتسق فيما بينها على هذا النحو ، ولا يمكن ان تكون زواياها قائمة بمقدار ٩٠ درجة بالضبط ، ولا يمكن ان توجد بينها مثل هذه الفجوات التى تبدو كممرات متعمدة . والاهم من ذلك جميعا ان صخور الشاطىء « الطبيعية » التى ترقد فى قاع المحيط ليس من المحتمل ان تعتمد على مثل هذه الاعمدة التى تبدو قائمة بدقة من تحتها ! » .

ومن بين المشاهدات الأخرى التى عثر عليها بالقرب من شاطىء « بيمينى » مايبدو كانه جدران عمودية ، واقواس كبيرة ، واهرامات او قواعد اهرامات تحت سطح البحر . كما صور الطيارون على بعد عشرة أميال من جزيرة اندروس ، احدى جزر بهاما ما يبدو كانه دائرة ضخمة من الصخور القائمة تصلح كاساس لبناء عظيم ، وعثر بالقرب من شواطىء يوكاتان وهندوراس على ما يبدو كانه طريق من صنع الانسان ممتدة داخل البحر . كما عثر بالقرب من فنزويلا على سور طوله ١٠٠ ميل فى اعماق المحيط ، ولكن الجيولوجيين اعلنوا ان كثيرا من هذه الموجودات يمكن ان تكون مكونات طبيعية ، وقالوا ان « سور فنزويلا » اطـول من ان يعتبر من صـــنع الانسان (وهذه نقطة مردود عليها بان سور الصين العظيم يمتد عدة الاف من الاميال) .
ويقول بيرليتز ايضا ان الروس اكتشفوا فى قاع البحر شمالى كوبا مجموعة من المبانى تغطى عشرة افدنة ، وان ماسحة المحيطات الفرنسية « ارشميد » شاهدت درجات سلم منحوتة فى الرف القاري شمالى بورتو ريكو
هل مثل هذه المكتشفات الحديثة تفيد فعلا فى العثور على قارة اطلانطس تحت سطح المحيط الاطلسى ؟ ان الحذر يقتضينا على الاقل الانتظار ريثما يتم فحصها بدقة حتى يبت فيما اذا كانت من صنع الطبيعة ام الانسان ، بل ان جزر منطقة الكاريبى نفسها يرى كثير من العلماء انها ظهرت من باطن الأرض نتيجة انفجارات بركانية وليست بقايا قارة غارقة .

والى ان يحسم العلماء هذه المسائل الخلافية دعنا نبحث عن اطلانطس فى مكان آخر بعيد تماما عن المحيط الاطلسى هو فى راى بعض علماء التاريخ والآثار جزيرة كريت بالتحديد .. حيث يقولون ان الحضارة الميتوية الراقية الموغلة فى القدم التى ظهرت فى تلك الجزيرة ثم اختفت فجاة ، ليست سوى حضارة اطلانطس التى تحدث عنها افلاطون .

محمد العزب موسى

(المقال التالى والأخير : اطلانطس فى بحر ايجــه) .

"ذات الهـمّة" وحّدت العرب وقـادت الجيش وهزمت الـروم

بقلم : عبـــاس خضـــر

للمراة مكانة مرموقة فى الأدب الشعبى العربى ، يصورها مبرزة فى شتى المجالات فهى مرة عالمة نابغة ملمة بكل ما عرف فى عصرها من علوم ومعارف وفنون ، مثل الجارية « تودد » التى ناظرت العلماء والفقهاء والحكماء فى مجلس الخليفة هارون الرشيد ، ووجهت اليهم الأسئلة المعجزة ، فعجزوا عن الاجـــابة ، واجـابت هى بالصواب . وذلك فى حكاية من حكايات الف ليلة وليلة .

ومثل «مريم الزنارية» فى الف ليلة وليلة كذلك . وكانت بنت ملك الفرنجة . ولعل اسمها الأصلى « مارى » ساقتها الظروف الى ديار الاسلام ، واسلمت وحسن إسلامها ، وتعلق بها فتى عربى احبها واحبته ، وكافح الحبيبان بين ديار الاسلام وبلاد الفرنجة ، ونرى مريم تصارع الفرسان وتصرعهم ، بشجاعة فائقة ، كما تحدثنا « شهر زاد » أو كما تحدث الملك شهريار ، بل ان شهر زاد نفسها تعد من البطلات العظيمات ، إذ انقذت بنات مدينتها من القتل ، وبهرت شهريار والهته عن سفك دماء العذارى بحكمتها ولباقتها فى الحكى ، وصارت بعد ملهمة لكثير من الكتاب العرب والاجانب فى اعمال ادبية خالدة .

ونخص بالافاضة هنا امراة اخرى ذات سيرة عظيمة ، صورتها ابرع تصوير فى اعماقها وظاهر افعالها ، هى « ذات الهمة » التى نشات فى بادية العرب . اسمها الأصلى فاطمة ، ولدت لامير بنى كلاب ، ودفعها الأب الذى لم يرحب بولادتها انثى .. دفعهـا الى جـــارية لتربيها اســـمها « سعدى » .

اسيرة فى بنى طي

كان بين بنى كلاب وبنى طي دماء قديمة . وفى غارات بين القبيلتين اخذت سعدى والطفلة فاطمة سبيتين . ونشات فاطمة بين بنى طي فى حضن سعدى ، ولم تعرف لها اما غيرها ، عند رجل من رجال القبيلة كانتا من نصيبه .

كبرت فاطمة وقوى جسمها ، وطمحت بنظرها الى الفرسان وهم يلعبون على الخيل ، ويتضاربون بالسيوف والرماح ، وجعلت تخلو الى نفسها فى الخلاء وتحاكيهم ، وتركب خيول مولاها ، وتتعلم الكر والفر والنزال والطراد . كانت تصيح صيحة الفرسان ، فيرتعد منها العبيد ، واذا عصى فحل من فحول الابل صاحت به فارجفته ، واذا جمح حصان تعلقت برقبته وكبحته . واعجب بها الرجال والفتيان ، وحاول بعضهم ان ينازلها فردته بشدة وصرامة ، ولبست زى الرجال حتى بدت كفتى من الفتيان ، وكانت لها مغامرات دلت على شجاعتها الفائقة ، حتى لقبوها بذات الهمة وداهية بني طي .

قالت فاطمة لسعدى :

– يا امى ، هلا حدثتنى عن القوم الذين كنت تعيشين بينهم قبل ان تنتقلى الى بنى طي .

– نعم يا بنية ، كنا فى بنى كلاب ..

– هل بنو كلاب قوم اشداء ؟

– نعم يا بنية .

– كيف اذن تمكن منهم بنو طي ؟ .

– كانوا سادة العرب ، ودب بينهم الشقاق والنزاع على الامارة .

لما راى الرجل شجاعة ذات الهمة شجع جاريته ذات الهمة على الاغارة والسلب والنهب فاطاعته وتمادت ، واغارت على القبائل ، وساقت إبلها وخيلها .

ذات يوم خلت الى نفسها ، وتاملت حالها ، وبكت .. سالتها سعدى :

– لماذا تبكين يا حبيبتى ؟

– ويلى مما فعلت يا اماه .. لا ، لن اعود الى النهب والسلب ..

– وماذا فعلت يا بنيتى غير ما يفعل الفرسان ؟

– لا يا اماه .. هذا شان الصعاليك ، ماذا اقول لربى يوم القيامة والحساب ؟

مسحت دموعها وسكتت تفكر ، ثم قالت كانها تحدث نفسها :

– ان الفرسان الشرفاء يذهبون الى الجهاد فى سبيل الله ، فان قتلوا كانوا شهداء ، اما انا ان قتلت فى مغامرة من هذه المغامرات فساقتل فى سبيل ناقة او جمل .

اعتزلت ذات الهمة فى مضربها تصلى وتقوم الليل وتطلب من الله ان يغفر لها .

نشوة الحرية

وذات يوم قصد اليها مولاها ومعه نفر من وجوه بنى طي ، وسلموا وجلسوا صامتين . فقالت لهم :

– يا سادات بنى طي ، هل من حاجة فتقضى !

قال مولاها :

– يا بنية ، ان بيننا وبين بنى كلاب عداوات ، وفى قلوبنا منهم نيران لا تطفا ، فقد قتلوا سادتنا وابادوا ابطالنا . واليوم علمنا انهم اعدوا العدة للهجوم علينا وقتالنا ، ولا نريد ان نقعد حتى ياتوا إلى ديارنا .

– وماذا تبغون منى ؟

– انت « داهية بنى طي » كما يلقبك العرب ، وقد صرت اليوم من ابطالنا وحماتنا .

– داهية بنى طي ما هى الا امة من إماء بنى طى ، وكيف تكون الامة من الحماة ؟

ساد سكوت قطعه مولاها بقوله :

– اشـــهدكم علي يـــا بنى عمى أن فاطمة قد اصبحت منذ اليوم حرة !

شعرت ذات الهمة بالفرحة التى هزت

ذات الهمة وحدت العرب وقادت الجيش وهزمت الروم

كيانها وبعثت في نفسها نشوة الحرية التي نزعت من قلبها شوكة كانت تخزها وتؤرقها .. قالت :

ـ اما والله لو ملكت الكواكب ما اعد نفسي قد ملكت شيئا اعز مما ملكت اليوم .. يا بني طي ، اني لكم ناصرة ، والى اعد اثكم سائرة ..

أسرت اباها

اقبل بنو كلاب وعلى راسهم اميرهم مظلوم الذي هو في الحقيقة ابوها .. طلبت مقاتلته فبرز لها وحمل عليها ، واشتبك الاثنان في قتال ، ولكن « الاب » احس بالشفقة نحوها ففترت عزيمته ، فهجمت عليه وامسكت بيديه ، فوقع منه السيف ، فاخذته اسيرا . واستمرت المعركة وذات الهمة تصول فيها وتجول ، حتى انهزم بنو كلاب ورجعوا الى ديارهم .

حينما اسرت ذات الهمة « مظلوما » لم تكن تعلم انه ابوها ، ولكن سعدى لما راته عرفته ، فافضت الى ذات الهمة بذلك ، والتقى الاب وابنته في سرور بالغ . ورحل الثلاثة الى ديار بني كلاب حيث فرح الجميع بعودة ذات الهمة .

واراد عمها ان يخطبها لابنه ، فعرض عليها ابوها الامر ، فقالت :

ـ اقسم بالله لو واجهني كسرى صاحب الايوان بهذا الكلام لكان سيفي اقرب الى هامته من جوابي .. والله يا ابت مالي حاجة الى بعل ، وما اريد عشيرا غير سيفي ولن يكون خدري الا جوادي ، ولن تتكحل عيناي بسوى الغبار في المضمار ، ولئن راجعتني في هذا الامر لارحلن عن هذه الديار واقيمن في القفار .

ـ يا بنية لك ما تشائين ، وانا لا احب الا ما تحبين ، ولا اكره الا ما تكرهين .

علم الخليفة المنصور بامر ذات الهمة ، وكانت جيوش الروم اغارت على الحدود الاسلامية ، فبعث الى بني كلاب كي يتهيئوا لحرب الأعداء .

الاتحاد والحرب

دقت الطبول في البادية ، ونودي في احياء العرب بالسير الى العراق تلبية لدعوة أمير المؤمنين الى الجهاد . وتجمع نحو خمسة آلاف فارس ، قادتهم ذات الهمة الى بغداد . واستقبلهم هناك كبار رجال الدولة . وضربت لهم المضارب كي ينزلوا بها .

ولما استقبلهم المنصور ، ورحب بذات الهمة قالت له :

ـ يا امير المؤمنين نحن عرب البادية قد جرى الامر فيما بيننا على الغارات والنهب والسلب والقتال من اجل المراعي والجمال . والآن قد اتحدت القبائل ، وعولت على ترك تلك العادات ، وعزمت على توجيه السيوف الى اعداء العرب والمسلمين ، وصد جيوش الروم عن بلاد الاسلام وهزم ابطالهم وفتح بلادهم .

ـ احسنت القول ايها الفارسة الشجاعة هلا زدتينا من حديثك العذب .

ـ نشات يا امير المؤمنين على عادة البدو في السلب والنهب والقتل والقتال لاتفه الاسباب . ولكني تاملت في ذلك فوجدتها امورا سيئة ، وكيف نعود الى عادات الجاهلية وقد اكرمنا الله بالاسلام ؟ وارى ان الاتجاه الصحيح هو تاييد الدولة الاسلامية والدفاع عن بلاد الاسلام .

سار الجيش العربي بقيادة ذات الهمة الى الحدود ، حيث التقى وجيش الروم ، اشتبك الفريقان ، والتحم الفرسان ، وعمل سيف العرب في الروم عمل النار في الحطب ودارت عدة معارك كانت الحرب فيها سجالا ، ثم انتصر الجيش العربي ، ورد جيوش الروم على اعقابهم خاسرين ، وغنم العرب كثيرا من الاموال والعتاد .

ومن طريف ما يذكر ما حدث في خلال تلك المعارك ان ذات الهمة غلبت على امرها في واقعة بسبب خيانة بضعة افراد من جيشها ، فتوقفت عن القتال ، وجعلت تدعو الله وتقول :

ـ يا من ياتي بالفرج بعد الشدة ، اجعل من امرنا رشدا ، ومن ضيقنا فرجا ، انك انت المامول وانت المرتجى يارب العالمين .

يانس المتعرب

وما فرغت من دعائها حتى رات غبارا يرتفع من ناحية القسطنطينية . ثم ينحسر عن فرسان من الروم يقودهم بطريق يرفع علما رسم عليه الصليب ، وهمت تستعد للقائه هي ومن معها ، ولكنها سمعته ينادي :

ـ يا حملة القران وعباد الرحمن ، ابشروا من الله بالجنة والغفران .. واروني من هي فيكم الاميرة المجاهدة ، الراكعة الساجدة .. ؟

فتقدمت إليه على حذر وقالت :

ـ انا التي تطلبها ايها البطريق ، ومن انت ؟

- اعلمى ايتها الاميرة اننى ابن بنت الملك لاوون (ملك الروم) واسمى « يانس المتعرب » انظرى هناك عند الافق ترى قلعة قائمة فى اخر الدرب ، هى قلعتى ، اعطاها لى جدى ، وهؤلاء خمسمائة فارس تحت إمرتى .. وسبب مجيئى اليكم عجيب ، فقد كنت البارحة نائما فى الحصن ، فرايت فى المنام كان على الحصن رجلا قائما يؤذن اذان المسلمين ، ولما فرغ من الاذان نادى :

- يا اهل هذه الديار ، انتبهوا واسمعوا اركبوا غدا لنجدة من هزت الليل بدعائها ، وبكت السماء لبكائها وانصروها على اعدائها .

قالت ذات الهمة :

- الحمد لله الذى استجاب دعائى وساقكم الينا ، ولكن قل لى ايها البطريق لماذا سميت « المتعرب » ؟ هل تحب العرب ؟

- نعم ، لقد اختلطت بالعرب الذين جاءوا الى ديارنا ، وتعلمت منهم اللغة العربية ، واعجبت بفضائلهم ، واخذت عنهم كثيرا من العلوم والمعارف ، وتاثرت بعاداتهم واخلاقهم ، ولهذا سمونى « يانس المتعرب » .

- هل لى ان اسالك سؤالا اخر ؟

- سلى ما شئت يا سيدتى .

- وما الذى اثر فيك من عادات العرب واخلاقهم غير النجدة والمروءة اللتين رايناهما منك اليوم ؟

- عفوا يا سيدتى ، لم افعل غير الواجب ، ولا ادعى انى صاحب نجدة او مروءة .

- صنيعك معنا يدل على ذلك .

سكت يانس قليلا ثم قال :

- يعجبنى من العرب تفاؤلهم واخذهم من الحياة ما تعطيه دون ياس او إعراض ، وقد كنت زاهدا عازفا عن الزواج ، ونويت الرهبانية ، ولكن تاثرى بالعرب غيرنى .. إن الزواج لابد منه .. عرفت ان نبيكم يحث عليه .

« الزواج لابد منه والنبى يحث عليه » صلى الله عليه وسلم .

اثارت هذه الكلمات فى نفس ذات الهمة افكارا ومشاعر .. وجعلتها تواجه حقيقة واقعها ، وتساءلت فيما بينها وبين نفسها ، حقا لماذا رفضت الزواج ونفرت من الزوج ؟ لذلك قصة شرحها يطول ، وموعدنا معها فى عدد قادم ان شاء الله .

عباس خضر

حوار مع الشاعر سليمان الفليح :

أكتب قصائدي لمن يطهّرونها بالدّمع

أجرى الحوار : محمد يوسف

الشاعر الكويتى « سليمان الفليح » احد الأصوات الشعرية الجديدة الملفتة للنظر فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، وهو شاعر حاد عنيف ، قصائده اشبه بسيوف الفرسان الذين لا يرون امامهم لمواجهة الدنيا إلا ان يحرصوا على الموت لتوهب لهم الحياة . قلب « سليمان الفليح » ملىء بالهموم العربية ، هما فوق هم ، ووجهه ملىء بالبراءة والطيبة والحزم فى قول الحق ، والكشف عن اى قناع زائف . وقد اصدر الفليح حتى الآن ديوانين :

- الغناء فى صحراء الالم « ١٩٧٩ » .

- احزان البدو الرحل « ١٩٨١ » .

وفى هذا الحوار السريع يتحدث الشاعر « الفليح » عن فهمه للشعر ، وعن المدرسة التى ينتمى إليها ، ورايه فى عدد من الشعراء العرب البارزين ، وعدة قضايا اخرى .

وفى هذا الحوار - على إيجازه - يكشف الشاعر عن روحه ، وموقفه ، ونظرته إلى الفن والحياة .. ونرجو أن نقدم للشاعر فى أعداد قادمة من الدوحة بعض نماذج من شعره الحى .

● فى تصورك الخاص .. ما هو الشعر ؟ وما هى ماهيته ؟ .

- حدائق جحيمية لا تزهر إلا الشرار الذى يتبعثر عاليا عندما تندلع رياح الابداع ليشعل السحائب البليدة التى تهادن الظلام .. انه نهر اشعة يمد الشمس - إزاء محاولات إخمادها - بالضياء .. وهو اخيرا ، دوي الفجيعة عبر السكوت المقيت

● كيف تكتب القصيدة ؟

هل تستدعي ذاكرتك التاريخية اثناء كتابتها ؟

- تماما .. كما لا استدعى القصيدة فانني لا استدعي الذاكرة - لا افقيــا ولا راسيا - .. الا انهما - غالبا - ما تاتيان معا .

لست ادري ، حتى اللحظة ، كيف تتفقان على هذا الموعد ، ولست ادري كذلك كيف تنسقان مداهمتهما الغامضة الى تحجرات النفس لتحيا من جديد .

● لمن تكتب القصيدة ؟

- لاولئك الذين يطهرونها - دائما - بالدمع وهم مازالوا يجهلون هذا الفضل العظيم .

صحيح انها ضيائي الوحيد ولكنها تستمد شرارتها الاولى من بريق تلك الاعين التى تشع فى ليل الحياة .. اما كونها - كما تود ان تستفز - تلمسا للطريق الشائك فانني اقول لك انني ولدت فى ظل احدى شجيرات الصحراء .. وهناك صبوت على منعرجاتها الصعبة .. ونهضت اخيرا مواصلا مسيرتى ..

الشعر .. والدم ..

● الشهرة فى مدينة الشعر .. تخضع للمقياس التجارى .. مارايك .. ؟

- ان كل شاعر يصدر اشعاره بموجب هذه القناعة ما هو - برايي - إلا غلافا يحوي بضاعة محدودة الصلاحية .. تماما كما هو شان المعلبات التى تختم عـــادة بتواريخ نهاية استعمالها .. !!

صحيح انها تكون بضاعة هائلة الترويج بفضل تلاعب التجار وجهل المستهلك



الشاعر الكويتى سليمان الفليح .. ولد فى ظل احدى شجيرات الصحراء .. وعاش عصر الهموم العربية !

وصفاقة الاعلان الذى يصاحب طرحها فى السوق .

الشعر الحقيقى ـ كالدم ـ لا يخضع للعملية التجارية .. الصالح منه يستثمر ، والفاسد يفصد .. فما بالك بالدم المعلب المحدود الصلاحية والاستعمال .. ؟؟! .

● فى قصائدك .. ترشح تنويعات للحن الاغتراب والتوجع الوجودى .. كيف تفسر هذه السمة الشعرية لديك .. ؟

ـ دعنى استرجع لك ـ للاجابة على هذا السؤال صورة عشتها ايام طفولتى .. كانت امى الفقيرة تجرش حبات القمح برحى حجرية ضخمة ، وكانت تقفز من اشداق الرحى بعض حبات القمح هاربة من السحق .. وكنت التقط تلك الحبات وابذرها بالقرب من قربة الماء لكي تنمو . كان تصوري انذاك يهجس داخلي قائلا : إنك لكى تجعل هذه الحبة تطعم مزيداً من الافواه فازرعها لكى تصبح سنبلة وتمنحنا مزيداً من القمح .. هذه الحبة الهاربة تشبه حال الشاعر إزاء المؤسسات الاجتماعية التى تسحق كل شيء .. ان هروب حبة القمح من فك الرحى ينطوي على اغترابها ، وتحولها إلى سنبلة هو عطاؤها ، وعطاؤها هو الذى ينقذ مزيداً من الجياع .

ليس فى الامر ورطة .

● جماهيرية الشعر .. والشعر الجماهيرى .. هل هما مصيدة للانقضاض على (حرية) الشاعر وضغط (رؤيته الشعرية) فى قالب صارم ؟

ـ لا اعتقد بان هنالك مصيدة جاهزة سلفا لايقاع الشاعر فى قالب صارم .. لكن الشاعر الذى يحمل احزان وافراح الجماهير .. آمالها وانتصاراتها .. هزائمها وانتكاساتها هو الذى يضع نفسه ، تطوعا فى هذه الدائرة التى تضيق كلما اقترب منها او اقتربت منه ، وتتسع حتى تصبح خلاء موحشا كلما بعد عنها أو ابتعدت عنه .. لذا فانها ولاشك تحصر رؤيته الشعرية .. لكنها لا تحد من فعاليتها ..

إذن .. ليس فى الأمر ورطة .. مادمت تؤمن ، كشاعر ، بانك جئت لانقاذ الجماهير من ورطاتها السياسية والتاريخية والاجتماعية .

● ضع عبارة مكثفة ذات دلالة .. امام كل صوت من هذه الأصوات الشعرية .

● ادونيس ؟

ـ صخرة فسفورية فى شعاب الجبال ، يتمنى سكان السهول معرفة سر توهجها .

● نزار قبانى ؟

ـ جبل ذو ازهار اصطناعية رائعة الالوان .

● احمد عبد المعطى حجازي ؟

ـ نسر نبيل اعياه التجوال فحط على قمته الرؤوم .

● عبد الوهاب البياتي ؟

ـ محارب باسل يستغل نتائج هزائمه وانتصاراته .

● سعدي يوسف ؟

ـ جبهة مغمومة ، عالية تتلقى المطر والأنواء ، ولما تباغتها الشمس تبدو ـ دائما ـ انصع .

● محمود درويش ؟

ـ شجرة زيتون نزقة مضطربة الظل .

● خليفة الوقيان ؟

ـ طائر جارح .

● يعقوب السبيعي ؟

ـ ناظم غزليات رقيق .

● محمـد عفيفى مطر ؟

ـ شاعر اقدره كثيراً ولو أن علاقتي بقصائده لم تتعمق جيداً .

● ممدوح عدوان ؟

ـ نموذج فذ لعنفواننا المتمرد المقموع .. والعابث ايضا .

● علي الجندي ؟

ـ احد بوابات دمشق الشامخة التى لا يدخل منها الا العشاق الساخطون .

● محمد الفيتوري ؟

ـ ابنوسة تغير اوراقها فى الصحراء .



اسمها الأصلي إسلام بول: مدينة الإسلام

إحدى أجمل المدن في الدنيا.. وتاريخها يفيض بالصفحات المشرقة في مواجهة أعداء المسلمين

بقلم: نبيل خالد الأغا

اعترف بداية باننى متجاوب .. بل منحاز وبزاوية حادة الى عظمة الحضارة الاسلامية والى جمال وروعة الطبيعة فى تركيا ، وبشكل خاص الى القسطنطينية عاصمة دولة الخلافة العثمانية ، والتى فتحها القائد الاسلامى الفذ محمد الفاتح بعد انتصاره المظفر على الامبراطورية البيزنطية منذ ٥٣١ عاماً ، واسماها اسلام ـ بول اى بلد الاسلام .. أو استانبول كما يطلق عليها اليوم .

كما ان تركيا ليست غريبة عن عالمنا الاسلامى العزيز ، فتسعة وتسعون بالمائة من تعداد الشعب التركى ـ الذى يزيد عن خمسة واربعين مليون نسمة ـ يعتنقون الاسلام . وكانت تركيا لفترة طويلة من الزمن مركزاً للخلافة ترنو اليه ابصار وافئدة كل المسلمين فى العالم .

ولكن .. ما هى قصة هذا الانحياز الصريح ؟

مجموعة من اللقطات : الميناء الرئيسي الذي تنطلق منه بواخر الركاب متجهة من استانبول الى مجموعة الجزر التركية البديعة ، ويسمى ميناء « سيركجي » .. وفي اللقطة الثانية نرى فرقة الفنون الشعبية التركية بملابسها الزاهية وهي تؤدى احدى رقصاتها .. واللقطة الثالثة لحدائق الغناء المنتشرة فى جزيرة « ترمال » ، التى يستطيع المرء الوصول اليها بالباخرة فى رحلة تستغرق ساعة ونصف الساعة .





اسمها الأصلي إسلام بول: مدينة الإسلام

منذ فترة طويلة وانا متلهف لزيارة هذه الديار الغالية التى قرات عنها كثيرا فى مرحلة متقدمة من عمرى الدراسي ، وتحاورت عنها طويلا مع مؤيدين لدور دولة الخلافة العثمانيـــة التى اضطلعت بمسئولية الحكم لاكثر من ستة قرون متواصلة ، ومع معارضين لهذا الدور الذى عطل ـ حسب زعمهم ـ مسيرة الامة العربية نحو النمو والتقدم والحرية !

وفى الاونة الاخيرة اراد الله سبحانه وتعالى لهذه الرغبة ان تتحقق وتتجسد .

وعندما علم احد الاصدقاء برغبتي فى زيارة تركيا قال لي : اذا كان لابد من هذه الزيارة ، فانني انصحك بان تضع على راسك قبعة اوربية ، ولا تشعرن احدا هناك بانك عربى ، فالاتراك يكرهون العـــرب (هكذا !) ولا يطيقون رؤيتهم ، وقد يؤذونهم لانهم لا يضمرون لنا ودا ولا حبا !!

وبرغم انني لم اخذ كلام ذلك الصديق ماخذ الصدق المطلق ، الا انني اشتريت قبعة بالفعل ، وحملتهـــا معى بصورة احترازية ليس الا !!

وحينما علم سكرتير السفارة التركية فى الدوحة بانني اعمل فى الحقل الصحفي منحنى تاشيرة الزيارة مجانا ، وتمنى لى جولة طيبة ، ورحلة ممتعة ، فكانت تلك البادرة الدافئة اول سهم تركي موجه لاسقاط « نصيحة » ذلك الصديق !

• •

غادرت مطار الدوحة الدولى متوجها الى دبي ، ومنها ركبت طائرة « الجامبـــو » الضخمة الى استانبول .. وخلال الرحلة التى استغرقت حوالى اربع ساعات اخذت انبش عما اختزنته الذاكرة من معلومات عن دولة الخلافة العثمانية التى لعبت فى تاريخ الاسلام دورا رياديا بارزا ياتي فى المرتبة الثانية بعد الدور العربى الاول بطبيعة الحال .

ولقد اخذ اغلب سلاطين ال عثمان على عواتقهم مسئولية نشر الاسلام وتعميمه على كل بقاع الارض منذ ان اسس القائد الاسلامى الزاهد عثمان بن ارطغرل اركان الدولة العثمانية عام ١٣٠٠ م . وحتى تاريخ انهائها ـ بتحريض من اعداء الاسلام ـ عام ١٩٢٣ م على يد مصطفى كمال اتاتورك .

لقد كان اخواننا الاتراك ـ بحق ـ سيوفا مشهرة فى وجوه اعداء الاسلام ، ورفعوا رايته السمحة على كثير من الدول المجاورة لهم كبلغاريا ويوغسلافيا ، والنمسا .. لقد كانوا هناك ذات فترة سواعد قوية تحمي بوابة التاريخ ، ولقد كانوا هنا ايضا فى ديارنا العربية ممثلين للخلافة بعد رحيل بني امية ، وبني العباس ، وبني المماليك اذا جاز التعبير !

وبالرغم مما ياخذه البعض من ماخذ غير ايجابية عليهم فهناك الكثير من الزوايا المضيئة التى تحتسب لهم والتى لا يمكننا انكارها او التقليل من قيمتها ، ولعل اعادة تحقيق الوحدة الاسلامية ـ برغم بعض سلبياتها ـ تاتي فى مقدمة هذه الاضاءات ، خاصة وانها اتت بعد فترة تمزق وتكلس شملت كافة انحاء المنطقة ، وهى قريبة الشبه بما نعانيه اليوم من تشتت وتمزق وضياع . وعلى الذين يهاجمون تلك الوحدة ان يتذكروا باننا ـ حتى كتابة هذا التحقيق ـ قد فشلنا فى الاتيان بمثل تلك الوحدة او محاكاتها سواء على المستوى الديني او القومي او كلاهما معا !!

وهناك زاوية مضيئة اخرى تحتل مكانة مرموقة فى نفوسنا ، واعنى بها حرص الاتراك العثمانيين وعدم تفريطهم بولاية فلسطين او مجرد تسهيل الهجرة اليهودية اليها ، على الرغم من الأموال الطائلة التى عرضها هيرتسل على السلطان عبد الحميد والتى كان الاخير بامس الحاجة اليها ، ولم يجد الصهيونى الضليع بدا من ان يعترف فى مذكراته بانه جوبه برفض قاطع من الخليفة العثمانى .

وعندما ايقن اليهود ان لا امل لهم فى استجابة السلطان لمطاليهم قررت حكومتهم السرية القضاء على الخلافة العثمانيـة بمساعدة بني جلدتهم من يهود الدونمـة الموجودين في تركيا ، واليهود الموجودين في فلسطين .

بين الماضى والحاضر

وبينما كنت محلقا بجسدى وفكرى فى الفضاء والتاريخ معا على ارتفاع يزيد على ثلاثين الف قدم اذ بالمضيفة تعلن عن قرب وصولنا الى مطار (يشـــل كوي) فى استانبول الغربية ، وعلينا ربط الاحزمة ، والامتناع عن التدخين .. وليس عن التفكير !

وبعد وقت قصير انهيت اجراءات الدخول بيسر وسهولة . ووجدتني بعد ذلك اقف امام مصرف تركى املا يدى بالاف الليرات التركية (مائة دولار تساوى حوالى ١٧٫٥٠٠ ليرة) .

وبما انني اجهل اسماء الفنادق فقد اختار لي موظف مختص فندقا ما بمنطقة « اكسراي » التى تتكاثر فيها اعـــداد السائحين العرب ، وبعد ان دفعت له اجرة « التاكسى » مقدما كلف احد السائقين بتوصيلى .

واحببت ان اتحادث مع السائق التركى الشاب ، فحققت بعض النجاح ، شيء من الانجليزية على شيء من العربية ، مضافا الى مزيج من اشارات اليدين وحركات الراس والحواجب جعلنا اكثر تفهمـا لما نريد .

الانطباع الاول الذي يستنبطه المرء ، ويستقر في بؤرة الوجدان عند رؤية استانبول لاول وهلة هو ان هذه المدينة لها تاريخ عريق ، وحضارة عظيمة ، يتالف ماضيها مع حاضرها ويؤلفان معا شيئا قيما ملفتا للنظر بكل المقاييس .

هانذا اتجول بمفردي في القسطنطينية

سالت اول ما سالت عن مسجد السلطان احمد ، على البعد رايت ماذنه وقبابه ، كلما اقتربت منه ازددت افتتانا به . وعندما دخلته ادهشني كل ما به . بَسْمَلْتُ ، وحَمْدَلتُ ، وحَوْقلتُ ، وكَبَّرتُ وصَلّيتُ ركعتين تحية له . مئات السائحين امثالي ترتسم علائم الدهشة والاعجاب على قسمات وجوههم ، يتاملون ، ويتهامسون ، ويلتقطون صورا تذكارية . التاريخ منحه ايضا اسم « الجامع الازرق » لان جميع ارضياته واعمدته وقبابه من السيراميك الازرق ، وهو بلاشك من اكبر واضخم المساجد في العالم قاطبة .

ووسط هذا الجو الروحاني المضمخ باريج الاسلام والايمان هاجت مراجـــل الذكريات فى خاطرى ووجداني ، وبرزت امامي صورة المسجد الاقصى المبارك ، وما يقاسيه من ويلات الاسر ، ومخاطر التهويد . وكل المحن التى يعايشها اهلي

واحبتي فى وطنى الفلسطيني المحتل ، وانداحت من كبدي على خدى قطرات حرى من الاسي والالم ، وانطلقت من قلبى على شفتي موجات من العبرات والاهات،ولسان حالي يقول : لك الله يا ارض الاسراء ، الله وحده لك وليس من احد سواه .

وحرصت ايضا على زيارة مسجد « ايا صوفيا » الذى كان فى السابق احد اضخم الكنائس فى العالم ، ولكن المسلمين حولوه الى مسجد بعد الفتح الاسلامى مباشرة ، واضافوا اليه علامات اسلامية مميزة ، وترى فى داخله النقوش العربية الاسلامية وفن الزخرفة ، والخط العربى ..

ولقد سعدت ذات يوم باداء صلاة الجمعة فى احد المساجد الكبيرة ، وفوجئت بالامام يخطب الخطبة الاولى بلغة عربية سليمة مائة بالمائة ، وشعرت برعشة من السعادة تسرى فى كل جارحة من جوارحى ولقد عالج فيها موضوع « التراحــم بين المسلمين » معالجة موضوعية ممتازة .. ولكن تبقى مسالة التطبيق العملي لهذا التراحم بحاجة الى تلاحم المسلمين .. كل المسلمين .. شعوبا وقادة !

اما الخطبة الثانية فكانت باللغة التركية .. وقد اثار انتباهى تدني نسبة الشباب من المصلين الاتراك ، ليس هذا فحسب ، بل هناك الكثير من المساجد المغلقة ، او التى يقتصر ارتيادها على السائحين ، وهواة الرسم والآثار !! انه لأمر محزن حقا !



ساعة نادرة يرجع تاريخها لاكثر من ستة قرون ، وهى من مقتنيات متحف « توب كابى » .

معلومات عامة

قبل أن اتجول مع كرام القراء بين ردهات قصر « توب كابي » ساوجز بعض المعلومات عن جغرافية تركيا ، فمن المعلوم لدى الاختصاصيين أن الجمهورية التركية تتالف من اراض شاسعة تمتد عبر قارتي اسيا واوربا ، وكانت على الدوام مصدرا للتبادل الثقافي بين الامم ، وبامكان المرء أن يرى العديد من اثار الحضارات التى ازدهرت فى هذه المنطقة .

تبلغ مساحة تركيا حوالى ٨١٤٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، يشكل الجزء الأعظم من هذه المساحة (٩٧ بالمائة) شبه جزيرة يطلق عليها اسم الاناضول ، اما الباقى (٣ بالمائة) فيطلق عليه اسم تراقيا.يجاور تركيا من الشرق : الاتحاد السوفيتي وايران ومن الجنوب : سوريا والعراق ، ومن الغرب اليونان وبلغاريا .

يقع الجزء الاعظم من تركيا فى الجانب الغربى من اسيا ، بينما يقع الجزء البسيط الآخر فى قارة اوربا ، والفاصل المـائي بين القارتين هو مضيق الدردنيل . وبحر مرمرة ، ومضيق البسفور .

اما مدينة استانبول الساحرة فانها تتربع بدلال وكبرياء على القارتين معا . وفي الوقت الذى يقترب فيه عدد سكانها من خمسة ملايين نسمة . فان عدد سكان انقرة العاصمة لا يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة ، ثم تاتي ازمير فى المرتبة الثالثة من حيث عدد السكان ، ثم « اضنا » وتاتي فى المرتبة الرابعة .

ويعد جبل « اغري » اعلى الجبال فى تركيا ، اذ يبلغ ارتفاعه ٥١٩٥ مترا ، وحسب اقوال بعض الرواة فان سفينة نوح عليه السلام اكتشفت فى هذا الجبل ، فلا عجب اذن ان يرى المرء مجموعات متعددة من العلماء والخبراء الاجانب تجوب هذه المنطقة بين فينة واخرى لاجراء الابحاث والدراسات .

وبشكل عام فان تركيا تتمتع بمناظر جد خلابة ، وبطبيعة جد رائعة وتكثر فيها الانهار التى يزيد عددها عن اربعة عشر نهرا حيث تؤثر ايجابا على اعتدال المناخ فيها .

وبينما يكون الجو معتدلا خلال اشهر الصيف يصادف ان تهطل على البلاد دفعات كثيفة من الامطار ، ولكن سرعان ما تنقشع الغيوم العابرة وتعود الشمس لاشراقتها فى ابهى حلة نورانية اخاذة . وسبحان المبدع الاعظم .

● ●

عرجت على « سراي توب كابي » وهو من اشهر متاحف تركيا ومن اجمل القصور فى العالم،وقد كان فى الأصل المركز الاداري للامبراطورية العثمانية ، والمكان الذى فضله السلاطين لقضاء اوقات فراغهم ، وقد اختير موقعه بعناية وذوق فائقين ، ويضم حاليا بعضا من اثار رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الاثار ــ حسبما يقال ــ خاتمه ، ورسالته الى المقوقس ، وخصلة من شعره ، وسنا من اسنانه ، وبردته الكريمة ، وغير ذلك من اثار تنسب اليه . والله اعلم . كما يضم القصر كذلك سيوفا ودروعا منسوبة الى الخلفاء الراشدين ، وبعض الصحابة رضوان اللهم عليهم جميعا . وكذلك عددا من مفاتيح واقفال الكعبة المشرفة ، ومصحف عثمان رضي الله عنه ، كما يشمل بعض المخطوطات الاثرية والفرمانات السلطانية ، واردية واسلحة وصورا ورسوما لجميع السلاطين والقادة العثمانيين الكبار .

وبمناسبة ذكر المخطوطات الاثرية ففى تركيا اعداد هائلة من هذه المخطوطات الاسلامية العربية النادرة ، وانني اناشد كافة وزارات الاعلام والثقافة والتعليم وجامعة الدول العربية ان يهتموا بهذه الثروة الانسانية اهتماما يتناسب مع قيمتها ، ويتعاونوا مع السلطات المسئولة فى تركيا لتصويرها ومن ثم نشرها وتعميمها للاســتفادة منها ، فهـل من مجيب ؟ !

الحياة فى المدينة

يتم الانتقال من الضفة الاسيوية فى استانبول الى الضفة الاوربية منها او بالعكس بالمرور فوق مضيق البسفور عبر اضخم رابع جسر فى العالم والذى شيد عام ١٩٧٢ ، ويبلغ طوله الف متر وارتفاعه ستين مترا ، ولا تسنده اية اعمدة او قواعد وهذا مما يساعد على حرية مرور الســفن الحربية والتجارية القادمة بصورة رئيسية من الاتحاد السوفيتي عبر البحر الاسود الى بحر مرمرة ، ومن ثم الى بحر ايجه فالأبيض المتوسط او بالعكس .



تشتهر مدينة استانبول بمساجدها التاريخية و ترتفع في سمائها اكثر من الف مئذنة تؤكد انها مازالت درة ثمينة متلالئة فى جبين الحضارة الاسلامية .. وفى اللقطة يظهر مسجد السلطان احمد الذى يعتبر من اشهر مساجد المدينة .







بعض المقتنيات الاسلامية فى متحف « توب كابي » الذى يعتبر من اجمل متاحف العالم ويضم بعض المخطوطات الاسلامية النادرة

وتكتظ المياه التركية حول استانبول بمئات القوارب والزوارق والصنادل والسفن الغادية والرائحة والراسية ، ويوجد العـــديد من بواخر الركاب التى تتحرك لنقل الركاب بين جزئي استانبول بمعدل مرة واحدة كل ربع ساعة ، ولا تزيد اجرة الانتقال عن نصف ريال قطري،انها ارخص اجرة يدفعها المرء للانتقال السريع بين قارتين !!

واذا اراد الانسان ان ينتقل الى أوربا بواسطة القطار فيمكنه الانطلاق من محطة « سيركجي » حيث تكون العاصـــــمة البلغارية (صوفيا) اول عاصمة أوربية يصلها ، ومنها بامكانه ان يواصل مسيرته الى يوغسلافيا وهنغارية .. الخ ويمكنه ايضا الذهاب الى تلك العواصم وغيرها بواسطة السيارات والحافلات والبواخر باسعار زهيدة .

وفى الامكان زيارة المدن التركية الاخرى مثل انقره وازمير واضنا وغيرها وكذلك الى حلب وبغداد عن طريق القطار او الحافلة انطلاقا من « سيركجي » فى الجانب الآسيوي .

وتكثر فى استانبول مكاتب السياحة التى تهتم بتنظيم رحلات جماعية الى كثير من العواصم العالمية باسعار مناسبة .

ويوجد فى الجزء القديم من المدينة سوق ضخم يدعى بالتركية ـ كما العربيـــة ـ « بازار عظيم » ، وهو مبني على الطراز الاسلامى القديم حيث شوارعه مسقوفه ، وابوابه كثيرة تبلغ ٧٨ بابا ، ويضم اكثر من اربعة الاف محل تجاري ، تحتوي على الاف الانواع من المصنوعات والمنتجات التركية ومن ابرزها السجاد والجلود والنحاس والتحف والمجوهرات وغير ذلك .

والمحلات التجارية التركيـــة تتميز ـ بشكل عام ـ بتنظيمها وحسن عرض محتوياتها ونظافتها ، وانخفاض الاسعار ـ نسبيا ـ فيها ، ويلاحظ ندرة عرض البضائع الاستهلاكية المستوردة والتى تتضاعف اثمانها فى حالة وجودها ، نظراً لأن الحكومة التركية تفرض ضرائب باهظة عليها ، حماية للصناعات التركية ، وتوفيرا



احد اسواق المدينة ، يتميز بدرجة عالية من النظافة والترتيب ، ويضم بعض الصناعات المحلية والشعبية التى يقبل عليها السائحون من مختلف انحاء العالم

للنقد الاجنبى من ناحية اخرى .

ويشارك التاجر التركى اخاه العربى فى حب المساومة ، لكنه لا يبخل بالمعاملة الطيبة ، والابتسامة اللطيفة .

ولقد اعجبنى فعلا ما لاحظته من ارتفاع عال فى درجة النظافة والترتيب باسواق الخضار والفواكه واللحوم فى منطقة « ترلاباشي » ، وتمنيت ان تنتقل هذه « العدوى » الى كل الاسواق فى مدائننا العربية العزيزة .

وبالنسبة للمطاعم فهى متوفرة ، واغلبها يتمتع بمستوى عال من الكفاءة والنظافة ، والمطعم التركى مشهور بنكهته المحببة فى العالم كله ، وهو شبيه بالمطعم العربى فى كثير من اصناف الماكولات وفى مقدمتها الشاورما والكباب (التكه) وقد عرفهما العرب اساسا من الاتراك .

ولا يعاني الزائر العربى المسلم من اية مشكلة طعامية ، حيث ان جميع المذبوحات هناك يتم ذبحها وفق تعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء .

ومن ناحية اخرى معروف ان خمسين بالمائة على الاقل من اللغة التركية ماخوذ من اللغة العربية ، ويمكن ملاحظة ذلك فى اللغة الرسمية التركية ، اما لهجات العامة فقد جرى عليها بعض التحريف .. وبرغم ذلك فهناك الكثير من الاستعمالات الصحيحة . فبالاضافة الى الاسماء الدينية ، فالاتراك يستعملون كلماتنا مثل : دوام ، تمام ، سميط ، سلطة ، جزاءات ، خان ، رشوة ، محرر ، جمهورية ، هيكل ، مربع ، عظيم ، شنطه .. الخ .

السائحون العرب

ويقودنا سياق الموضوع للحديث عن السائحين العرب فى استانبول،وانني اكاد اجزم بان كل فندق فيها يكاد لا يخلو ابدا من وجود افراد عرب ، لا يشغلون فقط فنادقها بل موتيلاتها وبانسيوناتها بمختلف درجاتها واسمائها ومواقعها اضافة الى كثير من الشقق فيها .

اسمها الأصلي إسلام بول: مدينة الإسلام

ولعل من اهم اسباب كثرة السائحين العرب وجود الروابط الدينية المشتركة التى تمتن العلاقة والود بين الزائر والمزار وكذلك العادات والتقاليد والتراث المشترك وكلها عوامل ايجابية مشجعة ، وتشكل عوامل الطبيعة الساحرة ، وانخفاض الأسعار ، وتطور العلاقات الاقتصادية والسياسية ، وحسن معاملة الاتراك والجوار عناصر جذب وتشجيع للسائحين العرب .

ويَكَوِّن اخواننا العراقيون اكبر نسبة عددية سياحية فى تركيا ، ثم ياتي اخواننا الخليجيون والسوريون فى المرتبتين الثانية والثالثة على التوالى ، وباستطاعة المرء فى حي « اكسراي » وفى شارع «ملت» بالذات ان يرى كثيراً من العرب بصورة واضحة ، والحق انني تالمت كثيرا لمرأى البعض منهم وهم يتصرفون بغير لباقة ، ويجلسون على الأرصفة والمنحنيات ياكلون ويشربون ويتحدثون بصورة غير حضارية ، وغير اسلامية ، وغير عربية ايضا !! لكن هذه الصورة الباهتة تكاد تنعدم فى منطقة « تقسيم » التى تتوسط المدينة ، وتعد من ارقى احياء استانبول .

وقد اخبرنى احد الاخوة الاتراك بانها سميت كذلك لأن احد المهندسين الاتراك النابغين ويدعى سنان باشا قام بتنفيذ اضخم مشروع من نوعه فى عصره لتقسيم المياه وتوزيعها فى كل انحاء المدينة عبر خمسة اقنية بناها فوق قناطر خاصة .

« بورصة » .. وعظمة الله

خلال العطلة الاسبوعية فى تركيا يومي السبت والاحد يخرج الكثيرون من سكان استانبول لقضاء اجازاتهم فى عدد من الجزر الفائقة الجمال فى بحر مرمرة ، والتى تنطلق اليها ارتالهم عبر بواخر ضخمة ـ وباسعار زهيدة ـ بمعدل باخرة كل ساعتين حيث يصلون اليها بعد ساعة ونصف الساعة . وهناك يسبحون فى بحيرات الجمال الخلاب الذى ابدعته يد الخالق سبحانه وتعالى ، وبايحاء منه تعالى الى خليفته فى الارض اضاف الانسان الى بهاء الطبيعة لمسات جمالية زادتها جمالا على جمال واشراقا على اشراق ، فتبارك الله احسن الخالقين .

ليست هذه تهويمات كاتب ، لكنها مجرد محاولة متواضعة لوصف بعض ما رايته ولمسته من بدائع ايات الله البينات فى : كينالي ، وبورقاص ، وهيبلي ، وبيوك اضا ، وترمال ، ويالوا ..

اما « بورصة » فتعتبر من ابهى المدائن ليس فى منطقة بحر مرمرة فحسب بل فى تركيا باسرها ، وهى مطروقة الابواب على مدار السنة ، فهى مركز لرياضة التزلج على الجليد شتاء ، ومصيف لطيف المناخ ، نقي الهواء صيفا . ومن روائعها قمة « اولو داغ » التى تعلو مسافة ١٦٥٠ متراً عن مستوى سطح البحر .

وقد وصلت الى هذه القمة بواسطة « التلفريك » خلال خمس واربعين دقيقة ، وهى رحبة وشاسعة ، تزينها الأشجار والشوارع والمحلات التجارية والفنادق الفخمة المترامية على سفوح الجبل ، والعاب الأطفال « وتلفريك » خاص بهم ، ومطاعم كثيرة متنوعة ، لعل اطرف ما فيها انك تختار قطعة اللحم التى تريدها ، وتنقلها بنفسك بعد تقطيعها وتجهيزها من قبل احد العاملين، ثم تجلس على مائدة تختارها تحت الشجرة التى تفضلها ، وسرعان ما يُؤتى اليك بموقد الفحم الملتهب مع باقى أدوات الشواء ، ثم تتولى ـ على مسئوليتك الخاصة ـ اتخاذ باقى الاجراءات اللازمة لالتهام اكبر كمية تحتملها معدتك من اللحوم والمشروبات والفواكه والالبان التركية الشهية .

اما مدينة بورصة ذاتها فهى تزهو بعراقتها ذات السبعين مسجدا والمزينة بالمآذن الرشيقة ، وباشجار الحور والدلب التى تطوق جيدها على هيئة عقد زمردي فاتن الجمال ، وما دام الموقع بهذه الصورة البانورامية فلا تعجب اذا علمنا بان سلاطين ال عثمان قد دفنوا فى « بورصة » تيمنا بجنات عدن الموعودة فى التنزيل الحكيم !

واضافة الى هذه المزايا كلها فبورصة تشتهر ايضا بحماماتها العديدة ذات المياه المعدنية الطبيعية التى عرفت منذ ايام الفينيقيين والرومانيين والبيزنطيين واخيرا العثمانيين .. انها انامل التاريخ تضفي رونقا رائعا الى جمال الطبيعة الساحر .. وسبحان الذى ابدع جناته فى ارضه .

العودة الى الجذور

عشرة ايام اختلستها من قافلة الزمن ، وامضيتها فى استانبول الفاتنة ، احدى الدرر الثمينة المتلالئة فى جبين الحضارة الاسلامية ، فكانت تلك الأيام « طعما » شهيا التهمته فاغراني بالرغبة فى العودة ثانية اليها باذن الله .

ومما يزيد فى غبطتى ما اراه اليوم من تقارب ايجابي بناء بين العرب وتركيا ، بعد تباعد سلبي بينهما دام اكثر من ستين عاما . وعندما رغبت تركيا ـ خلال السنوات الاربع الماضية ـ فى العودة الى جذورها الشرقية ، واسترداد انتمائها التاريخى الى دوحة الأمة الاسلامية ، وجدت اكف العرب وقلوبهم مهياة لاحتضان الأخوة الأتراك ومعانقتهم ، وانعكس ذلك فى زيادة التعاون المشترك ، وزيادة نسبة الميزان التجاري والثقافي والاعلامي بين الطرفين ، ووسعت تركيا من نطاق مشاريعها واستثماراتها التنموية فى كثير من الأقطار العربية .

وقد زار الرئيس التركي « كنعان ايفرين» فى الأونة الأخيرة اكثر من عاصمة عربية ، كما زار انقرة خلال نفس الفترة اكثر من رئيس عربى .

واكد الرئيس التركى مراراً على رغبة بلاده فى تعزيز تحالفها مع الدول الاسلامية المجاورة ، ودعمه لخطة السلام العربية المنبثقة عن مؤتمر فاس نظرا لما تتضمنه من سلام عادل ودائم فى المنطقة .

هذا .. ورغم تقديرنا لهذا الدور الا اننا نطمع فى دور تركى اكثر فاعلية وديناميكية لدعم قضايانا العادلة . اننا نطمح فى دور عظيم يتناغم مع طموحاتنا وامالنا فى الشعب التركى المسلم العزيز .

● ●

الم اكن على حق ـ بعد هذا كله ـ حين قذفت بالقبعة ـ التى نصحنى ذلك الصديق بارتدائها ـ فى وسط بحر مرمرة ، وقذفت معها كل « فيروسات » التفرقة التى يحاول اعداء الاسلام زراعتها فى جسد الأمة الاسلامية الواحدة ؟!

ثم .. الست على حق حينما قررت فى مطلع هذا التحقيق باني منحاز ـ وبزاوية حادة جدا ـ الى عظمة الحضارة الاسلامية ، والى جمال وروعة الطبيعة فى تركيا ؟!

نبيل خالد الاغا





يعلن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، ومقره الرئيسي الدوحة بدولة قطر ، بأنه قد أنهى جميع إجراءات التأسيس الرسمية وأصبحت له الشخصية الاعتبارية كمؤسسة إقليمية تتمتع بالصفة القانونية الدولية ، بفضل تكاتف جهود سبع دول عربية من الخليج هى : دولة الامارات العربية المتحدة ، دولة البحرين ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية ، سلطنة عمان ودولة قطر . ومجال عمل المركز علمي تخصصي ، يهدف إلى دراسة أشكال ومضامين التعبير الشعبي وكل ما أنتجته الثقافة الشعبية بهذا الجزء من الوطن العربي على مر العصور ، وقد أعتمد لذلك خطة علمية يجرى تنفيذها بوسائل عديدة ، من أهمها التعاون مع كل المختصين في هذا المجال .

فالرجاء من كافة الباحثين والجامعيين والمهتمين بالتراث الشعبي في الخليج والجزيرة العربية ، من الجنسين ، الاتصال بالمركز كتابياً للتعرف ولتحديد سبل التعاون .. تعزيزاً لدور فرق العمل التي يجرى تكوينها بالدول الأعضاء لاجراء المسوحات الميدانية ، وخدمة لتراث هذه المنطقة الذي ظل لفترة طويلة نهباً للضياع والتشتت ، والله الموفق .

تليفون : ٨٦١٩٩٩
ص . ب : ٧٩٩٦
الدوحة ـ قطر



العودة إلى البيت

قصة بقلم : يوســف القعيــد

● ● وقفت على باب السجن ، تنتظر دورها فى الزيارة . بدلا من أن تفكر فى زوجها الذى ستقابله بعد قليل ، والذى يوجد فى السجن منذ ثلاث سنوات ، ذهنها يفكر فيما ستقوله لابنها شريف وما ستقوله لابنتها شريفة عند العودة الى البيت .

طفل وطفلة ، حياتهما معا عبارة عن نهر من التساؤلات التى لا نهاية لها . السؤال يلد السؤال .

تحضر لزيارة زوجها كلما كان هناك موعد للزيارة ، تحضر اليه شفافة ونقية . ولكنها فى طريق العودة تترقرق الكلمات بداخلها . الكلمة وراء الاخرى . وأول ما تفعله بعد الخروج من الزيارة القصيرة ، إستنشاق هواء النيل الطرى . النيل والأشجار والزهور الخضراء . تشعر ان الروائح المتداخلة ترتعش فى الهواء .

قالت لشريف وقالت لشريفة ، ان والدهما سافر الى الخارج . امطراها بالاسئلة . السؤال وراء السؤال : سافر بالطائرة ام بالباخرة ام بالسيارة ؟ وكيف مر بتجربة ركوب الطائرة ؟ الم يخف ؟ هل عبرت الطائرة فوق المحيطات الواسعة به ؟ هل نام وهو معلق فوق السحاب فى الأجواء العالية ؟ هل نام وكانت وسادته سحابة وبطانيته سحابة اخرى ؟ وملاءة السرير هى السماء الزرقاء الصافية ؟

ما اسعده ، وما اكثر غضبهما منه ، لأنه راح دون ان ياخذهما معه . سيعاتبانه عند العــــودة ، لا ، سيخاصمانه . لن يضعا لسانيهما على لسانه ابدا ومهما كانت الأسباب . يعودان اليها يطلبان منها وصف رحلته بالطائرة ، متى بدات ، ليلا ام نهارا ؟ كم استمرت ؟ هل جلس بجانب النافذة ام فى الداخل ؟ فى الجزء الأمامى من الطائرة ام الخلفى ؟ طبعا منعوه من التدخين وفرضوا عليه ربط الحزام حول وسطه. تحكى لهما ، تقول لهما ، تتكلم وهى تعيش بعين الخيال حال زوجها الفعلية . تقف الكلمات فى زورها مثل قطعة العظام الكبيرة . عندما قاطعها شريف :

ـ من يكذب يا ماما يروح النار ...

ترى زوجها وهى تقــــول وتحكى عن الطائرة ، ملابسه الفضفاضة الواسعة المصنوعة من الكتان الخام ، القميص واسع ولونه أزرق غامق . لا يبدو ان ملابسه قد غسلت من قبل . ويبدو ان هناك من لبسها قبله . وانها عهدة . تسال نفسها : متى يحين الوقت الذى يسلم فيه هذه العهدة ؟!

قالت لهما انه يعيش الآن فى الخارج . يعمل هناك فترة من الوقت ثم يعود . وعندما يعود ، يقول شريف : سيحضر لى سيارة بحق وحقيق . وتكمل شريفة : اما عروستى فلابد وان تكون من النوع الذى يتكلم . ومع مرور الوقت يبدلان ويعدلان فى الهدايا التى ينتظرانها من والدهمـــا عنـد العودة . يطلبان من امهما ان تقول له عندما تذهب اليه ، الرغبات الجديدة . ان تكلمه ولا تخشى شــيئا . فهو يحبهما ولن يغضب ابدا من كثرة التعديل والتبديل بهذه الصورة المستمرة .

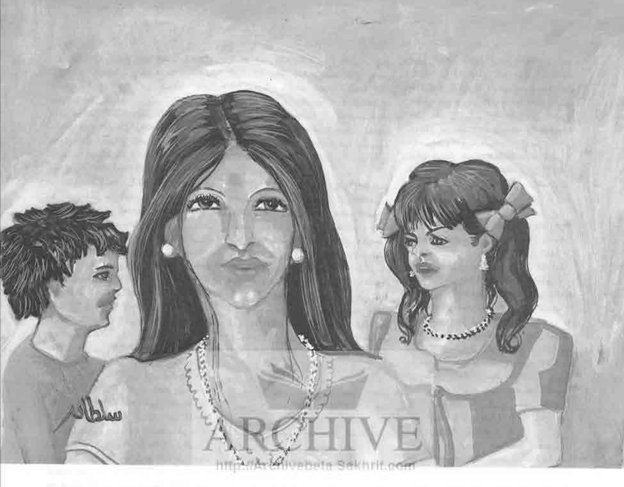
هذه المرة تعود من الزيارة وحلقها يختنق بسؤال القاه عليها . ولم تجد إجابة عليه . بعد ان راته ، وبعد الصمت والتهيب والبحث عن نقطة بدء الحديث . رفع يده من بعيد فى وجهها ، عبر السلوك الكثيرة ، طلب منها السكوت . ثم سال :

من الذى اخترع الصمت ؟

حركت فمها اكثر من مرة ، ولكن الصوت لم يخرج . لم ترد عليه ، ملامح وجهها إهتزت ولكنه ابتسم ـ لأول مرة ـ وقال انه يطلب منها الاجابة فى الزيارة القادمة . وليس الآن .

احيانا ، كانت تصلها منه خطابات بين الزيارة والاخرى . كانت تخفى الخطاب . تقرؤه فى الليل وهما نائمان . وعندما يشاهدان الخطاب فى الصباح . تقول انه أرسل يطلب منها الزيارة . تسال نفسها : ماذا تفعل عندما تكبر الطفلة ، وعندما يكبر الطفل ؟ ان الاطفال لا يظلون اطفلا طوال العمر . سيعرفان القراءة والكتابة ذات يوم تسال نفسها فى فزع وهل يبقى رجلها فى السجن حتى يعرفا القراءة والكتابة ؟

فى كل مرة تعود ، تضيف الى الاكاذيب اكاذيب جديدة . مرة فكرت ، وهى فى طريق العودة ، فى شراء بعض الهدايا لهما . لكى تقول انها من الوالد ، ولكنها حسبت الحسبة فى ذهنها واكتشفت استحالة ذلك . الزيارة تكلفها الكثير ، تشترى له الاطعمة



والشاى والسكر والملابس الداخلية الخفيفة صيفا والثقيلة شتاء . والدخان والكبريت . تدس فى يده بعض المال المتبقى معها من الشراء فى لحظة الزيارة الخاطفة . فرغم انه فى سجن ، فانه يحتاج بعض الأموال فى الداخل . وهى تحتاج اموالا اخرى تسهل لها امورها يوم الزيارة .. تعود وهى لا تعرف كيف تمر عليها باقى ايام الشهر . حتى يصلها المال مرة اخرى .

إن من يشاهدها لحظة دخولها البيت وهى عائدة من الزيارة يدرك انه امام امراة تهدمت ، تقدمت بها السنون فجاة وحفرت التجاعيد فى وجهها مرة واحدة ، وبدون مقدمات ، خطوطا كثيرة ، مع انها لم تكمل الثلاثين من عمرها بعد .

تقف على باب بيتها ، تتذكر انها كانت مع زوجها منذ ساعات ، ومع هذا كم يبدو ذلك بعيداً . فكانه مرت عليه فترة طويلة . فكانها تقوم بفعل قامت بفعله من قبل اكثر من مرة .

على باب البيت ، لا مفر من الوقوف بعض الوقت . ليس من اجل فتح الباب . ولكن بحثا عن الوجه الذى تقابل به طفليها لحظة دخول البيت . تبحث عن ابتسامتها فلا تجدها . تمد يدها ، تمر بها على شفتيها تحاول ان ترقق من ملامح الوجه المتعب . تعيد ترتيب خصلات شعرها من جديد . تتذكر فى وقفتها انها نسيت شعرها ، الذى كم تغزل به زوجها فى سنوات الحب البعيدة ، التى ولت ولن تعود . تقول لنفسها فى وقفتها ان بختها مائل ، حائرة بين السؤال هناك والتساؤلات هنا . وعليها ان تقدم الاجابات . يبدو وجهها مثل المنديل المبتل . سالها زوجها ، بعد سؤاله عن الذى اخترع الصمت . متى تهل السنة التى يولد فيها من جديد ؟ لم تجب على سؤاله للمرة الثانية فى زيارة واحدة . لانها لم تكن تعرف متى تاتى هذه السنة . لهم حسابات خاصة للسنوات . سنة المسجون اقل فى عدد الشهور من السنة العادية . وهناك العفو فى نصف المدة . والعفو فى الاعياد والمناسبات الوطنية . والافراج بسبب حسن السير والسلوك . فلم التحديد ؟ تخشى ان تقول الموعد كما تعرفه ، فيموت الامل فى قلبه . وقد لا يبقى كل المدة فى السجن . حاولت ان تخلع بعض الكلمات من فمها بصعوبة لتقولها له . ومر وقت حتى تمكنت من استنشاق الهواء بشكل عادى .

تدخل ، تبدا مباراة السؤال والجواب . تتذكر سباق الاكاذيب ، اين توقفت اخر مرة حتى تكمل المسلسل . تخشى ان تقع بين اكاذيبها . تعرف ان من يكذب كثيراً ينسى كثيراً . وكانت تدرك انه ان تهدمت لعبة الاكاذيب . لن تقف على قدميها مرة اخرى .

تقابله ، بعد السلام والتحية والسؤال عن الصحة والاحوال .. لا يعرفان عم يتحدثان . يبحثان عن الكلمات لفترة من الوقت .. الى ان يعثرا على بداية الكلمات وتجر كل كلمة الاخرى وراءها . ويدور الحديث . تسمعه وتراه جيداً عندما يتكلم . يفيض البشر على وجهها وتغطيه طبقة من الفرح الطفولى . ترتعش يداها من الرجفة

التى تشعر بها . تضع يديها امامها . تحاول تثبيتها فى مكانها . ولكن هدير الانفعال بداخلها يبدو اقوى من قدرتها على السيطرة على نفسها .

فى الدقائق الثلاث ، التى تقضيها معه ، تمتصها تساؤلاته عن شريفة وشريف . كيف يبدوان الآن ؟ فى اى الصفوف الدراسية ، الحضانة ام المدرسة ؟ حالتهما الصحية ؟ ماذا يعرفان عنه ؟ ماذا قالت لهما ؟ يحذرها من تشويه صورته فى عيونهما . ان سقط فى قلبيهما لن يقوم بعد ذلك .

خرجت من باب السجن . وقفت تنظر الى الأسوار العالية المحيطة به ، وسور الأشجار الخارجى . وقفت ، عليها ان تعد من الآن ما ستقوله فى البيت ، حركت يدها . وضعت الكلمة بجوار الكلمة .. حتى اصبحت لديها جملة مفيدة . اخذت الجملة الى الحكاية التى قالتها لهما عن والدهما . تعيد ترتيب عقد الكلمات . تحذف كلمة ، تضيف اخرى . تنظر الى الجملة بعد الحذف والاضافة . تكتشف ان الجملة فى حالتها الأولى كانت افضل . يمر الناس بالقرب منها . يقولون ان المراة جنت إما من الفرح بالزيارة ، او من الاكتشافات التى خرجت بها منها . يضرب العابرون الذين يمرون بها كفا بكف . ينظـرون الى سـماء الله العالية . يطلبون من رب العباد الرحمة والرافة بعباده . تمسك باخر طرف فى خيط الاكاذيب . اخر ما قالته فى الزيارة السابقة . ان الوالد اشترى فيللا فى البلد البعيد الذى يعيش ويعمل فيه . سالاها : هل فى الفيللا دورة مياه واسعة ؟ قالت نعم وفى الدورة هل يوجد بانيو ؟ قالت نعم ! وهل عدد غرفها يسمح بان يكون لكل واحد غرفة مستقلة ؟ قالت نعم . قال شريف مادامت فيللا فلها حديقة . هل فى الحديقة ملاعب ؟ وسالت شريفة : فى الدور الارضى الا يوجد مكان لسيارة ؟ اكدت لهما ذلك ، اذن سيكون لديهما سيارة .

الم اقل لكما ؟

قالا فى صوت واحد :

ـ لا . لم تقولى لنا .

افاضت فى سيل الاكاذيب . والدهما عنده سيارة . لها جراج فى الفيللا .

تصل الى السؤال الوحيد الذى لا يمكنها تقديم إجابة عليه . لماذا لا تاخذهما اليه ؟ قالت من قبل ان الأطفال لا يستطيعون السفر البعيد . قالت عيون الطفلين : وهل يعود الانسان من السفر البعيد فى نفس يوم السفر ؟ .

مع كل زيارة يكون السؤال : الى متى لا نستطيع السفر ؟ وترد قائلة : فى العام القادم يمكنكما السفر .

احتارت هذه المرة ماذا تقول . عمل الوالد وتحدثت عنه ، البلد الذى يعيش فيه ووصفته . قدمت خليطا ذهنيـا لبلاد الله البعيدة والواسعة . ما قراته وما سمعته ، ما شـاهدته فى السـينما والتليفزيون كان زادها فى الوصف . تكلمت عن عودته التى لم يحن اوانها بعـد ولا تعرف متى يحين الأوان .

ـ تعبت ..

قالتها لنفسها ، كانت تركب الاتوبيس القادم من القناطر الخيرية الى القاهرة . وكانت قد سارت من السجن تحمل الحقائب الخالية . اخذ ما فيها واعادها لها . رحلة العودة . الخضرة ورائحة الأرض المروية . والعشاق تحت الاشجار . انتظرت الاتوبيس وعند حضوره ركبت . ولانه كان خاليـا ، اختـارت مكانا بجوار النافذة . انتظـرت طويلا حتى تحرك الاتوبيس . دار فى البلد فذهب بها الى النيل . شاهدت مياهه السمراء المتحركة ببطء ابدى . فاشتاقت نفسها للجلوس على شاطئه ، وترك قدميها تلعبان فيه . قررت ان تفعل هذا فى إحدى الزيارات القادمة . لم تشاهد اى شراع ابيض يصل سمرة النيل بزرقة السماء ، ويشرب من قلبها ، فحزنت . كبس الحزن العجوز عليها فخافت ان تفقد قدرتها على الحكى والكذب . حاولت وصل ما انقطع من الكلمات فى ذهنها ، فاكتشفت ان ذلك صعب . ماذا ستقول بعد كل ما قالته ؟ .

اسئلة الولد والبنت لا نهاية لها ، ولكن ما عندها هى اوشك على الانتهاء . وقدرتها على قول الجديد توقفت ، احتارت . تحول راسها الى خلية نحل . بدا لها الاتوبيس والناس ، كانهما مشاهد لا علاقة لها بهـا ، تشاهدها من بعيد . فكرت ، غريب امر زوجها ، حدثها عن الصمت ، الذى كاد ان يوصله الى الجنون . والضوء الذى يقل بالداخل . يستمع الى ضجيج الزيارة حوله تشعر ان اذنيه كبرت وهما تشربان الأصوات . يتحسس الضوء الصافى بيديه .



يبدو للحظة طارئة فرحا سعيدا . عند انتهاء الزيارة يقول انه حزين . اذناه ستفتقدان الاصوات ، وعيناه ستبحثان عن الضوء الساطع من الآن . تعود وهى تخشى على عقل زوجها . كيف يقول ان الجوع الفعلى هو للاصوات والضوء والصخب ؟ الأصوات والنور ؟ غريب امر الانسان . فى بيتها تبحث عن لحظات الصمت التى لا تاتى سوى فى عذاب ساعات الليل الاخيرة وعندما تطفىء انوار البيت . تشعر ان اعصابها قد ارتاحت . تقول لنفسها : غريب امر زوجها .

وقفت على باب بيتها . اخرجت مراة صغيرة من حقيبة يدها . بعد ان وضعت حقائب السفر على الأرض . خيل اليها ان وجهها مغطى بطبقة خفيفة من التراب . يختلط بزغب نما فجاة فى رحلة العودة .

اخرجت المفتاح ، وضعته فى مكانه وادارته . وعندما استدار وانفتح الباب ، جرى نحوها شريف اولا .. ثم شريفة وراءه كانا يقفزان فى صالة البيت التى ليست واسعة . يكركران بالضحك وعلى الشفاه تتزاحم الاسئلة . فذلك هو يوم السفر ، لا يعرفان كلمة الزيارة . انفجرت فيهما معا . بكت . استسلمت لعاصفة بكائية . كانت تقلع الدموع من بئر القلب . سالا هذه المرة سؤالا واحدا :

وهل حدث لبابا شيء ؟

فزعت من السؤال ، ما كانت تتصور ان يصل تفكيرهما لهذا الحد . طلبت منهمـا السكوت . رفضا ، تكلما ، الحت فى طلب الصمت . هاجا اكثر . مدت يدها . ضربت شريفة اولا . لطمتها على وجهها بقوة . احمر خد شريفة واحمرت يدها ، حتى كاد الدم ان ينفجر منهما ، حاول شريف منعها . ضربتـه اكثر ، تحولا تحت ضرباتها المتتابعة الى كتلة هامدة من اللحم . ظلت تضربهما حتى تعبت يداها . نامت بجوارهما فى الصالة .

وبين نشـيج البكـاء . كانت تختنق بسؤاله : من الذى اخترع الصمت ؟ قالت انها لن تعود اليه ، الا ومعها الاجابة . فى المرات السابقة كانت تعود وهى تختنق من الوحدة . وهذه المرة يحدث الاختناق من السؤال الذى لا تعرف اين تجد الاجابة عليه .

وعندما كان الليل يفرض صمته وظلامه ، كان الثلاثة يبكون وهم نيام فى صالة البيت الضيقة . قالت من جديد . ولكن لنفسها وبدون صوت :

ـ تعبت .

يوسف القعيد

بقلم : د . عــزالدين فــــراج



من أجل حياة أكثر بهجة :

في بيتنا .. أزهار ونباتات

مجموعة جميلة من نباتات الظل التى تضيف على المسكن الصغير بهجة وجمالا

ليس فى مقدور كثير من الناس السكنى فى فيلات او منازل مستقلة ملحق بها حدائق كبيرة أو صغيرة ، بل الغالبية تقطن فى « شقة » يمكننا ان ننسقها ونزينها بنباتات متسلقة او نباتات ذات اوراق مبرقشة أو بنباتات ذات ازهــار نضرة بهيجـــة ، خصوصا اذا نسقت بذوق سليم ووجهنا اهتمامنا إلى نظافتها ورعايتها .

إن مثل هذه النباتات فى الصالونات والشرفات هواية طريفة ، يجد فيها من يمارسها متعة كبيرة . ويمكن ان تبدأ الهواية بداية متواضعة ، ثم تزداد مع مضى الزمن اتقانا وابداعا ، فضلا عما تحدثه فى المسكن الصغير من بهجة وجمال

وبعض النباتات لاتنمو نموا جيدا إلا اذا اخذت قسطا من اشعة الشمس ، وتعرضت لضوء الشمس المباشر ، واذا حجبت عنها اشعة الشمس ضعف نموها وحل بها الاصفرار ، بينما نجد نباتات اخـــرى لا تتحمل اشعة الشمس المباشرة ، وقد تموت اذا تعرضت لها ، وقد نجد مجموعة اخرى من النباتات تحتاج إلى اشعة الشمس ، ولكن لفترة قصيرة من النهار ، وتحتاج للظل باقى اليوم .

وهذا الاختلاف بين النباتات يساعدنا على اختيار النباتات المناسبة للمواضع التامة الظل ، والمواضع نصف المظلمة ، وبذلك نضع الشيء فى موضعه المناسب ، فتنمو النباتات بنجاح ، وتحقق الغرض المنشود .

والنباتات التى تحتمل الظل وتنمو فيه بنجاح يمكن الانتفاع بها فى امرين :

١) تزيين مدخل البيت او الشقة .

٢) تزيين حجرات المنزل وردهاته وبعض شرفاته .

وتوضع النباتات ذات الاحجام الكبيرة مثل الاسيدستر والالاتانيا والدراسينا والفوجير المزروعة داخل الاصص فى اركان الردهات والصالونات ، بعيدا عن الارائك والمقاعد حتى لا يمسها كل من يمر بجانبها ، فيسبب جفاف بعض اجزائها ، وذلك يشوه منظرها ويقلل من بهجتها .

أما نباتات الظل الصغيرة الحجم مثل الفلانجيوم والبوتس فيمكن وضع اصصها فوق الارفف والمناضد ، كما يمكن تدلية افرع البوتس فوق الرفوف العالية ، او تنسيقها بشكل جذاب .

وإذا كانت الردهة متسعة فيمكن عمل مجموعة من اصص هذه النباتات ، فى احد أركان الردهة ، على هيئة مجموعة (كوشة) متدرجة من اعلى الى اسفل .

كيف تحافظ على نبات الظل ؟

يشكو كثير من الناس من ان نباتات الظل التى تزين بها الحجرات والردهات لا تعيش كثيرا .. واليكم الاسباب التى تؤدى إلى جفاف نباتات الظل وطريقة علاجها :

(اولا) تجنب وضع هذه النباتات فى تيار هوائى مستمر .

(ثانيا) نباتات الظل كباقى النباتات الحية تتنفس .. إذن فالهواء ضرورى لحياتها لما فيه من اكسجين لازم لعملية التنفس ، لهذا يجب تجديد هواء الغرف والردهات .

(ثالثا) نباتات الظل وان امكنها الاستغناء عن اشعة الشمس فانه لا يمكنها الاستغناء عن الضوء العادى لعمليـــة التمثيل الكلوروفيلى . ان بقاء هذه النباتات قريبة من النوافذ امر ضرورى .

(رابعا) تبخر الماء فى النباتات والاصص غاية فى القلة ، لهذا كانت كثرة مياه الرى تسبب تعفن الجذور ، وبالتالى جفاف النباتات ، ماعدا « نبات البوتس » فهو نبات مائى لا يصيبه ضرر كبير بسبب ماء الرى .



كل نباتات الظل تحتاج الى الضوء .. ولهذا فوجودها قرب النوافذ امر ضرورى حتى لاتذبل



نباتات زينة معلقة على الحائط ومتسلقة فى الشرفات



تجميل الجدران

لتنسيق الجدران بالأزهار نستخدم ونختار عادة الاوعية والأوانى المعلقة او الثابتة فى الجدران ذاتها .

وسواء اكانت الأوانى ثابتة ام معلقة ، فجانب الآنية الملاصق للجدر ينبغى ان يكون مسطحا مستويا ، حتى ينطبق على الحائط ويكون ملتصقا بها .

والأوراق المعلقة تكون عادة من الفخار المطلى او من المعادن المشغولة المزركشة او من الصاج المطلى . وتعلق احيانا بخيوط حريرية ذات الوان جذابة جميلة . وفى الغالب تكون هذه الأوانى المعلقة من النوع الصغير او المتوسط الذى يعلق على جانبى صورة زيتية او على جانبى نافذة او شباك كريتال .

اما الأوانى الثابتة فهذه يعمل حسابها فى بناء الحائط ذاته .. إذ يثبت فى الحائط خوابير تحمل قاعدة من الرخام او المعدن المزركش او الخشب المزخرف . ويوضع فوق هذه القاعدة إناء جميل المنظر من الصينى او من المعدن المطلى الذى « يلبس فدـــه (إناء زجاجي ، يوضع بداخله الماء والأزهار) .

ويراعى عند تنسيق الجدار بالأوانى المعلقة او الثابتة مراعاة ما يأتى :

(١) أن يكون حجم الآنية الثابتة متناسبا مع حجم الحائط المختارة له .

(٢) ان تكون هذه الأوانى منسجمة فى الوانها مع لون الجدار ومع لون اثاث الغرفة ذاتها .

حدائق النوافذ

ويقصد بحدائق النوافذ المجرات من الأسمنت التى تعمل تحت النوافذ وبعرض مناسب ، لتوضع فيها الصناديق الخشبية التى ترتب فيها نباتات الأزهار .

ويشترط عند انشاء هذا النوع من الحدائق أن تكون النافذة خالية من الضلف الخشبية التى تفتح نحو الخارج .

وتفضل النوافذ المصنوعة من الألمنيوم التى تفتح جانبيا والمنزلقة نحو اليمين او نحو اليسار وترص فى هذه الصناديق الخشبية اصص يمكن تغيير ترتيبها او تغييرها هى احيانا ، وتصنع الصناديق عادة من خشب قوى يتحمل الرطوبة ويقاومها ، من غير أن يتعفن ، من خشب الجميز او السرسوع او السنط . وإذا عمل بدلها مجرات من الخرسانة ، يجب ان يعمل لها مصفاة أو مزراب .

وتدهن الصناديق عادة من الداخل بالقار السائل لزيادة مناعة الخشب ومقاومته للرطوبة او باى طلاء اخر واق .

ويتوقف اختيار نباتات حدائق النوافذ على مدى احتياجها للضوء والحرارة ، فاذا كانت واجهة النافذة المعلق بها الصندوق معرضة للشمس مباشرة استعملت نباتات الأزهار العادية . اما اذا كانت الواجهة مظللة او نصف مظللة فنختار نباتات تتحمل الظل .

ويراعى فى النباتات التى تزرع فى هذه الصناديق ان تتشابه احتياجاتها من الماء والغذاء بقدر الامكان .

تجميل الشرفات

أما النباتات التى يمكن اختيارها فى حدائق الشرفات والنوافذ فموفورة ، إلا أن تحديد الملائم منها يتوقف على مدى الاضاءة والظل الواقع على هذه الأماكن .

ففى الأمـــاكن الظليلة يمكن اختيـــــار الكلنديولا والبريميولا والعائق ، كما يمكن اختيار الفوجير والكروتن لجمال أوراقهما . وإن كنت من المحبين للجارونيا ، ففى مقدورك ان تختارها فى حدائق الشرفات الوفيرة الظل . أما المواضع التى يتوفر فيها الضوء كالشرفات الشرقية والقبلية فيمكن ان نختار لها نباتات الزينيا والفربينيا والجوديشيا ، وفى بعض اركانها يمكن





نباتات ظل بالغة الجمال ، صغيرة الحجم ، يمكن وضعها فى اصص فوق الارفف



نبات ظل من الاحجام الكبيرة توضع فى اركان الردهات والصالونات

وضع قصارى « الاراولا والداليا » ، كما يمكن اختيار « القرنفل والبلارجونيوم » للغرض ذاته .

والنباتات الحولية الصيفية والشتوية ليست هى كل ما يمكن تربيته فى حدائق النوافذ والشرفات . ولا يجب ان يقتصر الحال عليها .

واحسن طريقة لوضع هذه النباتات المتسلقة على الحائط هى ان توضع الاصص التى لا يزيد قطرها عن ٢٥ سم بجوار الحائط ، مع تخصيص متر من عرض الحائط لكل متسلق . فاذا فرضنا مثلا عرض الحائط متران وضع فيه نباتان . واذا فرضنا به اربعة امتار وضع فيه اربعة نباتات من هذه النباتات المتسلقة . ويوضع كل اصيص فى منتصف المسافة المخصصة له بعد دق مســامير فى الحائط عموديا على محور الاصيص . وعند اسناد هذه النباتات المتسلقة الى الخيط تربط ربطة واسعة لا تعيق نمو هذه النباتات .

ومن المستحسن دهن حوائط هذه الشرفات بالزيت حتى لا تتسخ هذه الحوائط فى اثناء رش الاوراق بالماء ، وترك المتسلقات من غير رش يجعلها متسخة غير مقبولة ، وبدلا من دهن حوائط هذه الشرفة يمكن تغطيتها بخشب البغدادلى المتقن الصنع والمنسق فى اشكال جميلة . وعلى هذا البغدادلى الملتصق بجدران الشرفة توجه النباتات المتسلقة .

ويلاحظ موقع الشرفة فاذا كانت قبلية او شرقية يجب ان تعمل حماية للجالس من اشعة الشمس . فيمكن مثلا وضع مائدة مستديرة فى وسط الشرفة ، لها ثقب فى المركز توضع به شمسية ملونة وحولها كراسى من الصاج او الحديد المزخرف مختلفة الاشكال ، توضع عليها (شلت) عند الجلوس ، وتفضل الكراسى الصاج والحديد ، حيث انها اكثر تحملا للعوامل الجوية كالحرارة والامطار .

وإذا كانت الشرفة اكثر اتساعا فيمكن ان نعمل فى احد الجوانب تكعيبة من الخشب البغدادلى ذات شكل هندسى بديع (برجولا) . والغرض منها تهيئة مكان مظلل هادىء للجلوس تحتــــه . وتغطى « البرجولا » ببعض النباتات المتسلقة التى تزرع تحتها براميل خشبية كبيرة ، وتزين البرجولا ببعض الاضواء الملونة غير المباشرة اى المختفية عن الانظار ، بحيث لا يبدو منها إلا ضوؤها فقط ، حيث يضفى ذلك على المكان كثيرا من السحر والجمال .

وقد يوضع فانوس من الحديد الزخرفى يتدلى من سقف البرجولا ، ويكون ضوؤه خافتا ويمكن ايضا ان تتدلى من سقف البرجولا بعض النباتات المدادة . كذلك يمكن ان يعلق قفص يحتوى على عصافير الكناريا الملونة الجميلة .

حدائق أسطح المنازل

ويمكن استغلال اسطح المدارس والمنازل فى اقامة حديقة السطح . لتجميلها وتزيينها واستغلالها فى اعطاء حصص فى الهواء الطلق كحصص الرسم والاعمال الزراعية خصوصا عند ضيق الحديقة المدرسية او عدم وجودها كلية .

ويلاحظ ان النباتات في حديقة السطح تتعرض لجو حار جاف صيفا .. فالرطوبة الجوية فيها اقل من الحديقة العادية .. ولهذا لا تنجح زراعة نباتات الفل كالفوجير والاسبرجس الناعم . وانما يستعاض عنها بنباتات تتحمل ضوء الشمس والجو الجاف مثل النباتات العصــارية والجــاردنيا والاسبرجس الخشن وبعض النباتات المستديمة « كالسلفيا والوانكا والجاردنيا العادية » وكثير من الحوليات الشتوية .

ويمكن تنسيق حدائق السطح بشجيرات مخروطية كشجيرات « التويا » الصغيرة .. ومن الشجيرات التي تصلح لهذه الحدائق الفل ، ومن المتسلقات شجيرات الياسمين التي تضفي على المكان رائحة جميلة .

عزّ الدين فراج

بقلم: جمال قطب

موناليزا.. الأصل والتقليد


لوحة « موناليزا » الأصلية للفنان العالمي ليوناردو دافنشي

في متحف اللوفر بباريس ، حيث تستقر تحفة ليوناردو دافنشي الخـــالدة .. « الجيوكوندا او الموناليزا » ، يتزاحم المئات كل صباح حول اشهر لوحة في العالم ، ويقفون امامها صامتين ساهمين وقد علقت ابصارهم بابتسامتها الغامضة ونظراتها الساحرة .. وبين الفينة والفينة ، يسرى همس كصوت النسيم بين الحضور .. فيه التساؤل وفيه المناجاة واجترار الذكرى وتمجيد العبقرية ..

اما التساؤل ، فمبعثه ما تطالعنا به اجهزة الاعلام من حين لآخر عن اكتشاف لوحة جديدة للموناليزا في هذا المكان او ذاك ، بل وتتمادى وكالات الانباء العالمية في سرد المزيد من التفاصيل مؤكـدة ان (الخبراء) بعد البحث والتدقيق يرون ان اللوحة من إبداع فنان عصر النهضة الايطالي الاشهر : ليوناردو دافنشي ! وسرعان ما تخبو جذوة الدعاية لهذا الحدث .. وتتراجع كل التاكيدات لتصبح مجرد ظن او حدس .. ثم يطويها النسيان ، وتبقى الحقيقة الرائعة المتربعة في اروقة متحف اللوفر ، تضفي على الفكر الانساني ثوب العبقرية الملهمة !

لقد رسمها دافنشي في اربع سنوات كاملة بمدينة فلورنسا في مطلع القرن السادس عشر ، وبلغ من اعتزاز الفنان برائعته الموناليزا انه كان يحملها معه في اسفاره دون غيرها من اللوحات .. وقد حيكت حولها اساطير وحكايات كثيرة ، وسجلت في الآلاف من القصص والاشعار والمسرحيات ، كما ظهرت عنها « اوبرا الموناليزا » الشهيرة .. وذاعت شهرة اللوحة حتى غمرت ارجاء المعمورة عندما سرقت من متحف اللوفر عام ١٩١١ . وبذلك شغلت اجهزة الأمن في العالم لسنتين كاملتين حتى عادت لتحتل مكانها ومكانتها في المتحف الكبير !

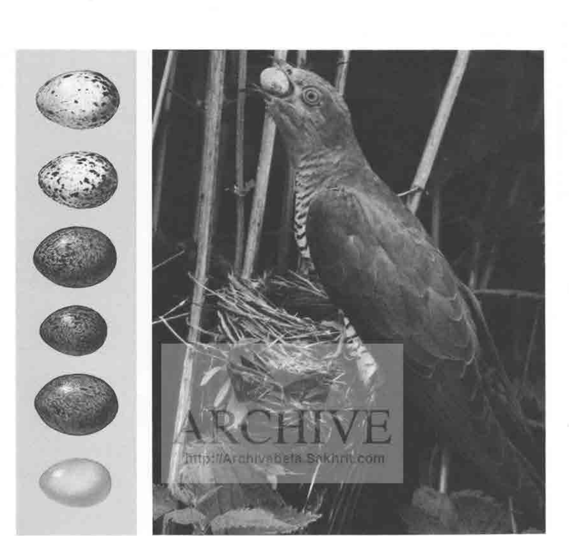
ولم يثبت على الاطلاق ان الفنان قد رسم اية لوحات اخرى للموناليزا ، ولم يرد عن ذلك شيئاً في مذكرات دافنشي التي كان يدونها مفصلة كلما انغمس في عمل جديد ، كما لم نقرا مثل هذه المعلومات في كتب التاريخ ولم نسمع عنها من اقـــوال معاصريه .

إلا اننا نلاحظ حشدا هائلا من اللوحات المقلدة للوحته الاصلية ، ولا يخلو عصر من العصور ـ منذ ان رسم دافنشي تحفته الموناليزا ـ من اعمال مقلدة لروائع الفن العالمي لكبار الفنانين ، ولاسيما للوحة الجيوكوندا كأشهر لوحة في التاريخ !

وقد استعرضنا سويا من قبل على هذه الصفحات قصة الفنان الاسطورة وملهمته ، وارينـــا كيف انتهى المطاف بلوحـــة الجيوكوندا الى القصور الملكية الفرنسية في عهد الملك فرانسوا عام ١٥١٦ .. ثم استقرت بعد ذلك في متحف اللوفر . واليوم يرى القارىء على الصفحة المقابلة لوحة احد الفنانين الذين قلدوا الموناليزا .. ولكننـا إذا امعنـــا النظـــر في هـــذه اللوحة المقلدة ، لراينا الفارق الجوهري بين الاصل والتقليد . وكلما اكتشفت لوحة جديدة من هذه اللوحات المقلدة ثارت حولها الحكايا والظنون التي قد تصل الى درجة الاعتقاد الراسخ من البعض بانها من اعمال الفنان .. وتعاد الكرة من حيث بدات وتتبدد الظنون وتنجلى الحقيقة ولا تبقى في الاذهان والوجدان إلا التحفة الخالدة ، ذات الابتسامة الغامضة والنظرات الساهمة الحالمة .. هناك في احدى القاعات بديوان الفن العريق .. في متحف اللوفر .. إنها الموناليزا بين الأصل والتقليد !



الموناليزا التقليد كما رسمها فنان غير معروف فى القرن السادس عشر .. اللوحة ضمن مقتنيات متحف البرادو فى مدريد



انثى طائر الوقواق بعد ان ضبطتها العدسة متلبسة بالجريمة .. إنها تحمل فى منقارها بيضة الطائر المضيف ، وتلقيها خارج العش لتضع بيضتها مكانها !

هذه هى احجام البيض لدى كل انواع هذا الطائر الغريب

من عجائب الحياة :

طائر يعبر القارات ويخدع الطيور الأخرى لترعى صغاره !

حسام جميل مدانات



الأم تقف فوق ظهر من تظنه صغيرها ، لتلقى بالطعام فى فمه الواسع والشره .. لاحظ فرق الحجم بين فرخ « الوقواق » الكبير جداً بالنسبة لأمه البديلة وهى انثى طائر « الجشنة » .

ربما كان اكثر الاصوات عند الطيور التى يذكرها التراث الشعبى الأوربى ، من غناء وشعر وقصص ، صوت الوقواق .. تلك « الوقوقة » الرتيبة الرنانة والتى تسمع على مسافات بعيدة .

ويمثل عبور هذا الطائر للقارة الاوربية نذيراً باقتراب الربيع : ومع هذا فقد بقيت أساليب معيشته محاطة بالكثير من الالغاز حتى وقت قريب جداً .

ان من الأساليب الغريبة التى يمارسها هذا الطائر ، ما يمكن تسميته بالتطفل الحضانى .

حيث تضع انثى الوقواق بيضها فى أعشاش طيور أخرى ، وتترك مهمة حضانة البيض ، ثم رعاية الصغار للطائر الآخر صاحب العش .. ! تصرف ماكر ولئيم بلاشك . ولكن ما الذى يدفعها لمثل هذا التصرف ؟ وكيف توصلت طيور الوقواق الى التغلب على مظاهر الرفض التى عادة ما تبديها انثى اى حيوان تجاه صغار حيوان اخر ، حتى لو كانوا من انثى اخرى من نفس الجنس ؟

ان هذه الظاهرة الغريبة لا تقتصر على الوقواق الاوربي ، رغم ان هذا الوقواق هو الاكثر كمالا فى اساليبه التى يطبقها لاستغلال غيره من الطيور ، اذ تمارس معظم انواع طائر الوقواق ، وعددها ١٢٦ نوعا ، والمنتشرة فى انحاء العالم عادة التطفل الحضانى . كما تمارسها طيور اخرى غير الوقواق ، مثل البط الأسود فى امريكا الجنوبية وطائر الهويد الافريقى .

استراتيجية التحايل

وتتبع انثى الوقواق استراتيجية بسيطة ومباشرة لتحقيق عملية التطفل على اعشاش ضحاياها ، فهى تبدأ اولا باستكشاف المنطقة المحيطة باعشاش الطيور التى ستضع عليها بيضها ، وهى تضعه فى اعشاش انواع معينة من الطيور ثم يقع اختيارها على عش معين ، فتبدأ بمراقبة مواعيد خروج وإياب انثى الطائر

طائر يعبر القارات
ويخدع الطيور الأخرى لتربى صغاره !


طائر الوقواق الصغير يطرد بيض الطائر المضيف لينفرد وحده بالعش تحت رعاية الام المخدوعة !

صاحبة العش . وهى مراقبة تتم من مكان خفي ، بحيث تضمن الا تشعر الضحية المختارة بها . وبمجرد ان تلاحظ انثى الوقواق ان ضحيتها قد بدات بوضع البيض ، فانها تستعد للعمل . إنها تنتظر ان تضع الانثى الاخرى اول بيضة لها ، وان تغادر العش ، لتذهب فوراً نحو العش وتلتقط تلك بمنقارها ، وتضع فوراً بيضة واحدة من بيضها مكانها ، ثم تبتعد عن العش ، وتتخلص من البيضة التى سرقتها

والمثير فى الامر ، ان هذه العملية لا تدوم اكثر من خمس ثوان . وخلال الايام التالية ، تنهى الانثى الحاضنة وضع باقى بيضها ، جاهلة ما تم اثناء غيابها ، وغير مدركة لوجود بيضة مزيفة غريبة فى حضانتها .

ولا تعود انثى الوقواق مطلقا للعش الذى وضعت فيه بيضتها . إنها تبدا فوراً فى البحث عن عش اخر ، وترتيب الامور بنفس الطريقة ، لتضع فيه بيضتها التالية وهى تضع فى الفصل الواحد عدداً من البيض قد يبلغ اثنتي عشرة بيضة ، كل منها تضعها فى عش منفصل جديد .

وفى هذه الاثناء ، ترقد انثى الطير الاخرى على بيضها ، ومن ضمنه بيضة الوقواق ، والتى تفقس عادة قبل غيرها . وهنا يحصل تصرف قد يكون مستغرباً من فرخ طائر ، لم يكد يخرج من البيضة . ولكن كما يقال « ان فرخ البط عوام » او « من شابه اباه او امه فما ظلم » فبمجرد ان يفقس فرخ الوقواق ، حتى يباشر بالعمل لاتمام العدوان الذى بداته امه على الطائر الحاضن ، اذ ياخذ هذا الفرخ بدفع باقى البيض خارج العش بكل فعالية ، رغم انه يكون عارياً من الريش ولا يرى .

وبمجرد ان يصبح البيض خارج العش ، فان الام الحقيقية لهذا البيض تهمل بيضها تماما ، وتصب جل اهتمامها على إطعام ما تعتقد انه صغيرها الى ان يبلغ مرحلة من النضج والقوة تمكنه من مغادرة العش والاعتماد على نفسه .

احتمالات الفشل

رغم البساطة الظاهرة لهذه العملية ، فانها تتضمن نظاما متكاملا ومعقداً ، مشحونا باحتمالات الفشل فى اية لحظة ونتيجة اى خطا فى التصرف .

ـ ماذا لو ان الطائر الحاضن اكتشف انثى الوقواق اثناء وضعها لبيضته فى العش ؟

ـ وماذا لو انها لاحظت ان البيضة التى فى عشها ، بيضة غريبة تختلف عن بيضتها هى ؟

ـ وماذا لو انها ادركت ان فرخ الوقواق بحجمه الكبير ليس من جنسها ولا من صلبها وهجرته او قتلته ؟

والمشكلة الاولى حقيقية وجدية ، فاذا لاحظ الطائر صاحب العش وجود انثى وقواق قريبة ، فانه يهاجمها ويبعدها عن مملكته التي تحدد بمنطقة معينة حول العش ، وهذا يحصل رغم تفوق الوقواق في الحجم .

وقد تمكن علماء بريطانيون من اعطاء ادلة مصورة على اصرار الطيور في الدفاع عن اعشاشها ضد الوقواق ، فقد امسك العالم المختبري بدمية تمثل طائر الوقواق ، ووضعها بجوار عش طائر صغير ، فهاجم الطائر الدمية بكل عنف متجاهلا اليد التي تمسك بالدمية ، وعندما تاكد من عبث محاولاته لابعاد ما اعتقد انه طائر حقيقي ، تخلى عن عشه نهائيا ولم يعد إليه .

اما عن المشكلة الثانية ، فقد حصل



.. وهنا يستلقى الطائر الصغير فى سعادة بالغة بعد ان انتهى من المهمة العاجلة واصبح وحده فى العش !

احيانا ان هجر الطائر عشه عندما اكتشف بيضة الوقواق الغريبة ، ولكنه في الغالب لا يتمكن من تمييزها عن بيضه ، إذ ان للوقواق قدرة غريبة على تقليد بيض ضحيته ، وبالاحرى فان معظم انواع الوقواق تكون متخصصة بنوع معين من الطيور بحيث ان بيض الطائرين يتشابه تماما حجما وشكلا ولونا ، رغم ان بيض الوقواق يكون عادة اكبر قليلا !

ويبدو ان اختلاف حجم البيضة لا يمثل مشكلة حقيقية ، ففي تجارب اجريت على طائر « نورس الرنكة » لوحظ ان انثاه ترقد على اية اجسام لها شكل البيض ، وذلك بالطبع بعد ان تكون قد وضعت بيضها واصبحت في مرحلة احتضان البيض . ان هذا مثال لحالة بسـيطة تتميز بالاثارة حسب التعبير المتخصص لعلماء الأحياء ، فالمثير هو شكل البيض والاستجابة هى الاحتضان .

وفي تجارب على بيض الطيور ، لوحظ انها تكون مستعدة لهجر بيضها الذي ترقد عليه ، إذا رات بيضة اكبر بجانب عشها ، حيث تفضل عندئذ احتضان البيضة الاكبر وهكذا فان كبر حجم بيضـــة الوقواق لا يشكل عائقا في سبيل تقبلها من قبل الطائر الاخر .

ويبدو مؤكدا ان فرخ الوقواق يخرج من البيضة قبل الانواع الاخرى التي وضع معها ، وهذا يمكنه من التخلص بسهولة من البيض المنافس ، وحتى لو فقست بعض البيضات الاخريات قبله ، فانه قادر على طرد الفراخ الاخرى من العش واحتكاره لنفسه .

ثم ان الطيور تميل الى الاعتناء بالفرخ الاكبر ، وهذا ما لاحظه علماء الطيور ، حيث وجدوا ان بعض الطيور تهجر صغارها لصالح فرخ اكبر غريب وضع بجانب العش .

ويبدو ان هذا مثال على حكمة الطبيعة وتدبيرها ، فهي تعمل على ضمان البقاء للاقوى والاقدر على الحياة ، خاصة عند نقص الطعام ، حيث يخصص كله او معظمه للافراد الاصح والاقوى .

وينمو صغير الوقواق ليصبح عادة اكبر حجما من انثى الطائر المعيل التي تعتقد انها امه ، وتضطر لبذل جهود مضاعفة لاطعام هذا الفم الجائع دائما .

ان الفم الواسع لصغير الطيور ، يعتبر مثيرا قويا يحفز الانثى على العمل لاطعامه حتى ان بعض الطيور المجاورة تهمل جزئيا رعاية صغارها وتشارك في اطعام هذا الفم الكبير .

وتهاجر طيور الوقواق الاوربية في الشتاء نحو الجنوب هاربة من الصقيع الاوربى لتستمتع بدفء القارة الافريقية ، وقبل ان تلحق صغار الوقواق بالطيور البالغة ، فانها تتزود بكميات كبيرة من الطعام ، إنها تلتهم انواعا من الـديدان لا تجرؤ على اكلها الطيور الاخرى ، فهى إما مرة الطعم او سامة للطيور الاخرى . وهكذا فانها تكون مستعدة تماما للرحلة الطويلة عبر البحر وصحراء شمال افريقيا .

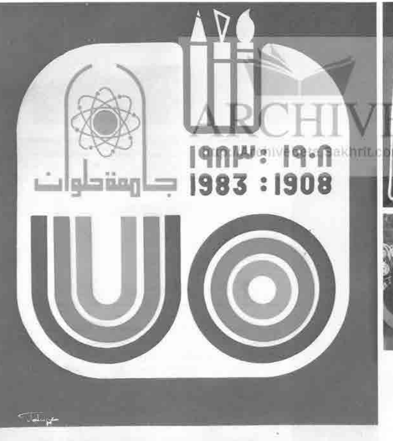
إن عدم احتكاك صغير الوقواق بوالديه منذ رؤيته النور ، قد يفسر بساطة غنائه ، إذ لم تتح له الفرصة ليتعلم من والديه اغان اجمل او اكثر تعقيدا من ذلك الصوت الرتيب : كوكو ، كوكو ..

إنه دعاء بسيط بما فيه الكفاية ليردده اعتمادا على غريزته وحدهـــا . وليتقله بلا تغيير من جيل لجيل عبر العصور !

حسام جميل مدانات ـ الأردن

العيد الماسي
لأول كلية للفنون الجميلة في الوطن العربي

بقلم: صبحي الشاروني









مجموعة من اللقطات المتعلقة باحتفالات العيد الماسى لاول كلية للفنون الجميلة فى الوطن العربى : الميدالية التذكارية التى اهديت للذين خدموا الفنون الجميلة من الاحياء .. ثم طلبة وطالبات كلية الفنون الذين شاركوا فى المهرجان .. ولقطة ثالثة « للبوستر » الخاص بالمناسبة .. واخيرا واجهة المبنى الرئيسى لكلية الفنون الجميلة .

نشر الفنان الفرنسي جيروم لابلان فى مجلة « مصر المعاصرة » التى كانت تصدر فى القاهرة باللغة الفرنسية عام ١٩٠٧ ، مقالا يحكى فيه قصة إنشاء مدرسة الفنون الجميلة المصرية ، وذلك قبل افتتاح المدرسة ببضعة اشهر ، وهو الذى تولى « نظارتها » منذ قيامها عام ١٩٠٨ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ..

روى مسيو « لابلان » ان فكرة مشروع انشاء مدرسة للفنون الجميلة راودته لما لمسه من استعداد فنى عند بعض الموهوبين من الشباب المصريين الذين جمعته بهم الصدفه فعرض فكرته على الامير « يوسف كمال » الذى اظهر اهتماما واضحا باقتراحه وطلب منه قبل البدء فى التنفيذ ان يتعرف على راى اصدقائه من المصريين والأجانب .. وزوده بقائمة تضم اسماء اصدقائه ومعارفه ، وكلفه ان يبدا اتصالاته بهم ..

سعى « لابلان » لاقناع هؤلاء الاغنياء والوجهاء بمشروعه ، ولكنهم اعتبروا فكرته خيالية ، مصيرها الفشل ، وخشي الفنان على المشروع من الانهيار ، وعاد الى الامير حزينا اسفا لعدم نجاحه فى إقناعهم .

وما كاد الفنان الفرنسي ينتهى من التعبير عن اسفه ، حتى فاجاه الامير باعتزامه تنفيذ المشروع بمفرده وعلى نفقته الخاصة . وكلفه باعداد كل ما يلزم من اساتذة وبرامج ، مع تحديد موعد بدء الدراسة والاعلان عن ذلك فى الصحف ، وفوضه فى وضع شروط الالتحاق بالمدرسة وخصص لها احد قصوره (رقم ١٠٠ شارع درب الجماميز) امام دائرته ، واوقف عليها من املاكه .



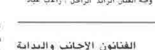


قطعة من النحت الغائر لاصحاب الحرف والزراعة فى مصر القديمة للفنان محمود مختار



عازف العود .. كما رسمه الفنان احمد صبرى الذى كان من اوائل تلاميذ الكلية واصبح من اعلام الفن فى وطننا العربى





احد اقنعة الكرنفال . يمثل بطريقة كاريكاتيرية وجه الفنان الرائد الراحل : راغب عياد

الفنانون الاجانب والبداية

كان ذلك منذ ٧٥ عاما ، بعد عام واحد من إنشاء الاحزاب الوطنية فى مصر ، وفى نفس العام الذى انشئت فيه الجامعة الاهلية (جامعة القاهرة الآن) .

وفى أوائل عام ١٩٠٨ بدأ « لابلان » فى اختيار المدرسين من الفنانين الاجـانب الموجودين فى مصر ، وكان « لابلان » الناظر واستاذ فن النحت و « باولوفورتشيلا » الايطالى استاذ فن التصوير (اى الرسم بالالوان) و « جيمس كولون » الفرنسى استاذ الزخرفة و « هنرى بيرون » الفرنسى استاذ العمارة .

وعلى يد هؤلاء الفنانين الأجانب بدات تعاليم فنون الرسم تنتقل الى المصريين .. وكذلك النحت وفنون العمارة الحديثة .

افتتحت مدرسة الفنون الجميلة المصرية فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٨ وكان (محمود مختار) الطالب رقم واحد ، اذ التحق بها فى ١٣ مايو سنة ١٩٠٨ ، وكان عمره ١٨ سنة وستة شهور .. والتحق بها فى الشهر الاول ما يقرب من ١٧٠ طالباً ، وكانت الدراسة من الثامنة صباحا الى الواحدة بعد الظهر للطلبة النظاميين ، ومن الواحدة الى الخامسة مساء للموظفين والهواة .. ومدتها ثلاث سنوات .

وفى يونيه عام ١٩١٠ صارت إدارتها تحت إشراف الجامعة المصرية ، لمدة اربعة اشهر ، اذ ـ الحقت فى اكتوبر من نفس العام بادارة التعليم الفنى بوزارة المعارف التى ادخلت عليها عدة اصلاحات ونقحت لائحتها العامة والداخلية . وكان يتحتم على الراغبين فى الالتحاق بها أن يؤدوا اختبار القبول .. وقد تقرر امتحان الدبلوم بعد السنة النهائية ابتداء من السنة



لوحة « الاخوات » للفنان يوسف كامل الذى تخرج ضمن الدفعة الاولى من الكلية عام ١٩١٢ ، ويعتبر رائدا فى المدرسة التأثيرية فى التصوير

الدراسية ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ، بمعرفة اللجنة التى تشكلها الوزارة .. وقد نقلت مدرسة الفنون الجميلة المصرية سنة ١٩٢٣ من مكانها الأول بدرب الجماميز الى الدرب الجديد بميدان السيدة زينب حتى عـــام ١٩٢٧ ، وكان ناظرها عند نقل مكانها هو المثال الفرنسى « جبرييل بيسى » .

فى ٥ يونيه ١٩٠٩ اوقف الامير « يوسف كمال » عشرة الاف جنيه ـ بالقيمة الذهبية ـ لبناء مدرسة الفنون الجميلة بعد وفاته .. وفى ١٩١١/٦/٣ اوقف عمارة كبيرة بشارع توفيق بالاسكندرية وارض زراعية بسمالوط (تقدر قيمتها بمبلغ ٥٩٥٦٠) جنيها ذهبيا للصرف منها على مدرسة الفنون الجميلة المصرية ، على الا يزيد عدد الطلبة عن ١٥٠ طالباً ..

وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ تغيرت الوقفية السابقة واستبدلت للصرف على ايفاد الاول والثانى من خريجى كل قسم الى فرنسا او ايطاليا لمدة ثلاث سنوات أو لمدد اخرى تراها الوزارة فى مصلحة كل طالب ليتم دراسته ، واشترط ان يكون الطالب مصرى الجنسية ـ حيث كانت تضم المدرسة عددا من الطلاب الاجانب .. وفى نفس التاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ استبدل البند الاول بمبلغ ٢٤ الف جنيه ذهبا لتشييد مدرسة للفنون الجميلة بعد وفاته ، وذلك على الارض التى يملكها بشارع درب الجماميز (وهو مكان الدائرة) ..

واقبل الشباب المتحمس على المدرسة ، وكانت الدروس تلقى بلغه الاســـاتذة الفرنسية عادة وكانت هذه المشكلة عائقا امام كثير من الطلبة ، وتمكن بعضهم من التغلب عليها وتم لهم التوفيق فاصبحوا رواد الفنون الجميلة الاوائل ..

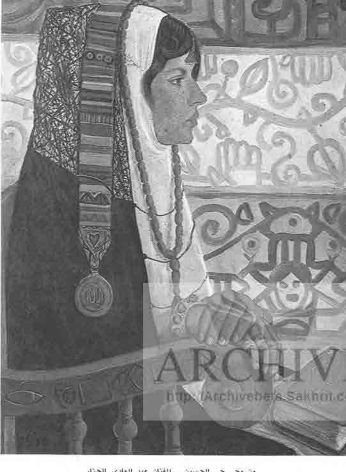
وبعد ثلاث سنوات من بدء الدراسة ، وبمناسبة تخريج اول دفعة ، اقيم معرض فنى ساهم فيه كل طالب ، وقد اقيم المعرض

فى يناير عام ١٩١١ بنادى (الاتوموبيل كلوب) اى نادى السيارات بشارع المدابغ (شارع شريف حاليا) وعرضت فيه الرسوم الهندسية للمنازل والعمارات والمحلات الكبيرة (لطلبة العمارة) وتماثيل لطلبة قسم النحت ولوحات مرسومة بالالوان لطلبة قسمى التصوير والزخرفة .. وكان من بين العارضين « يوسف كامل » ومحمد حسن » وراغب عياد » وعلى حسن » وانطون حجار » ومن المهندسين محمد انيس ، وراغب محمد اسلام ، وفريد نجم ، وتوفيق شارل وغيرهم .. وقد برزت فى هذا المعرض تماثيل الطالب « محمود مختار » ومنها تمثال كاريكاتورى لابن البلد ، وقد نال هذا التمثال اعجاب الكثيرين من المصريين والاجانب ، حتى انه باع منه ثمانى نسخ ، وكان ثمن النسخة جنيهين ذهبيين ، وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت .

الجيل الأول

كان محمود مختار هو ابرز فنانى الجيل الأول ، وكان من بين افراد هذا الجيل المصورون احمد صبرى ، وعلى الاهوانى ، ولبيب تادرس ، وزكى رائف ، ونحميا سعد وسحاب الماس ، ويوسف كامل ، وراغب عياد .. ومن المثالين عثمان دسوقى وانطون حجار ومحمد حسن. ومن المزخرفين حسين رجب ومحمود ياقوت. ومن المهندسين فريد نجم وابراهيم فوزى ومحمد انيس .

وكان الذين تالقوا من ابناء هذا الجيل الى جانب محمود مختار هم محمد حسن ، وراغب عياد ويوسف كامل واحمد صبرى وعثمان دسوقى ومحمود حسنى .



من وحى حي الحسين .. للفنان عبد الهادى الجزار

● محمود مختار : ولد يوم ١٠ مايو سنة ١٨٩١ باحدى قرى المحلة الكبرى ، وكان والده الشيخ ابراهيم العيسوى عمدة هذه القرية الذى هاجرها الى قرية « نشا » من قرى المنصورة، وهناك بدات مواهب الفتى الفنية تتفتح ، ثم رحل الى القاهرة ، وقد تتلمذ فى مدرسة الفنون الجميلة المصرية على يدى « جيروم لابلان » الذى لقنه قواعد النحت الكلاسيكى ، وقد بعث الى باريس على نفقة الامير « يوسف كمال » من عام ١٩١١ حتى عام ١٩٢٠ وهناك تتلمذ على يدى الفنانين (كوتان) و (مرسيبيه) ، وقد عرض نموذج تمثاله (نهضة مصر عام ١٩٢٠) بمعرض الفنانين الفرنسيين ، فنال شهادة شرفيه ، بعدها اثار عدد من المفكرين المصريين فكرة اقامة هذا التمثال فى احد ميادين القاهرة ، ونظم اكتتاب شعبى لهذا الغرض ، ثم ساهمت الحكومة المصرية فى اقامته واتم الفنان إقامة تمثال « نهضة مصر » عام ١٩٢٨ ، حيث ازيح عنه الستار فى ميدان محطة السكة الحديد بحضور الملك فؤاد ، ثم نقل الى مدخل جامعة القاهرة عام ١٩٥٥ .. وقد ساهم مختار فى انشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا . كما اقام معرضا خاصا لاعماله فى باريس عام ١٩٣٠ ، ثم تولى إقامة تمثالى « سعد زغلول » بالقاهرة بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٤ . وقد توفى فى ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ ، وقد كرمته الدولة باقامة متحف شامل لاعماله افتتح عام ١٩٦٢ بحديقة الحرية بالجزيرة بالقاهرة .

● محمد حسن بك : ولد فى ٢ مايو ١٨٩٢ والتحق بمدرسة الفنون الجميلة المصرية عند انشائها بقسم التصوير فتتلمذ على يدى « فورتشيلا » و «بيبيسى» و « لابلان » ، وقد عمل مساعداً لرئيس قسم الزخرفة بمدرسة الفنون والصنايع عام ١٩١٠ بجانب دراسته للفنون الجميلة ، ثم بعث الى لندن عام ١٩١٧ لدراسة الفنون التطبيقية ، وبعد عودته شارك فى تاسيس مدرسة الصناعات الزخرفية عام ١٩٢١ ثم اوفد مرة اخرى مبعوثا للدراسة فى اكاديمية روما للفنون الجميلة لمدة ٤ سنوات ابتداء من عام ١٩٢٥ ، وبعد عودته عين وكيلا لمدرسة الفنون التطبيقية ثم عميداً لها ، ثم عين عميداً لمدرسة الفنون الجميلة

العليا من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤١ ، وكان أول مصرى يتولى منصب مدير عام الفنون الجميلة « بعد جورج ريمون » علاوة على اشرافه على الفرقة القومية للمسرح ودار الاوبرا منذ عام ١٩٤٨ ، وقد نال رتبة البكوية ، فى عام ١٩٥٢ اى قبل إلغاء الالقاب فى مصر بشهور قليلة،واشرف على الاكاديمية المصرية للفنون الجميلة بروما لمدة ٤ سنوات بعد سن التقاعد ، ثم عين مديرا لمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية حتى سن السبعين ، وقد نال جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام ١٩٦١ لكن فوزه اعلن بعد وفاته فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٦١ .

● يوسف كامل : ولد بالقاهرة فى ٢٦ مايو عام ١٨٩١ وتخرج ضمن الدفعة الاولى من مدرسة الفنون الجميلة ليساهم عام ١٩١٢ فى انشاء المدرسة الاعدادية بحي الظاهر ، فكان زميلا لاساتذتها العقاد والمازنى واحمد حسن الزيات وفريد أبو حديد ومحمد بدران وغيرهم من مفكرى مصر الذين اسهموا فى انشاء هذه المدرسة ، وفى عام ١٩٢١ سافر الى روما فى بعثة تبادلية على نفقة زميله الفنان راغب عياد لمدة عام واحد ، وفى عام ١٩٢٥ بعثته الحكومة المصرية الى ايطاليا للدراسة حيث عاد عام ١٩٢٩ ليكون اول فنان مصرى يعمل استاذا بقسم التصوير بمدرسة الفنون الجميلة العليا حتى وصل الى منصب رئيس قسم التصوير ، وقد تولى ادارة متحف الفن الحديث لمدة عام سنة ١٩٤٨ ثم عين عميدا لكلية الفنون الجميلة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ ، وسمح بالتحاق البنات لاول مرة للدراسة بها . وقد تولى منصب مقرر لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٦٠ وتوفى فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٧١ . وهو يعتبر رائد المدرسة التاثيرية فى التصوير الزيتى بمصر وكان يتميز بغزارة الانتاج .

● راغب عياد : ولد فى القاهرة فى ١٠ مارس ١٨٩٢ وتلقى الدراسات الاولى بمدرسة الفرير الفرنسية . وعقب تخرجه من مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩١١ تولى تدريس الرسم بمدرسة الاقباط الكبرى ، وقد سافر عام ١٩٢٣ الى روما فى بعثه تبادلية على نفقة زميله الفنان يوسف كامل « لمدة عام » .. ثم فى بعثه حكومية الى روما لمدة خمسة اعوام درس خلالها فنون التصوير والزخرفة وفن المسرح ، واقام اول معرض له فى روما للمناظر الخلوية عام ١٩٢٩ . وقد عين رئيسا لقسم الزخرفة فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠ ثم عين استاذا بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٧ ثم رئيسا لقسم الدراسات الحرة بها من عام ١٩٤٢ حتى ١٩٥٠ ، وقد شارك فى تاسيس « اتيليه القاهرة » عام ١٩٥٢ . كما تولى ادارة متحف الفن الحديث لمدة خمس سنوات من عام ١٩٥٠ وقد شارك فى اعداد المتحف القبطى وتوسيعه .. هذا وقد نال وساما من الحكومة الايطالية تقديرا لفنه عام ١٩٣٦ وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٦٥ . وتوفى فى ديسمبر عام ١٩٨٢ عن ٩٠ عاما .

● احمد صبرى : ولد بحي الجمالية بالقاهرة فى ١٩ ابريل عام ١٨٨٩ والتحق بمدرسة الفنون الجميلة المصرية عام ١٩١٠ وتخرج عام ١٩١٥ ، وسافر الى باريس على نفقته الخاصة لمدة عامين سنة ١٩١٩ حيث استكمل دراسته فى فن التصوير الزيتى ، واقام معرضه الاول بالقاهرة سنة ١٩٢٥ .. وقد بعثته الحكومة المصرية فى نفس العام لمدة ٤ سنوات حيث درس فى باريس ، وهناك عرض لوحته الرائعة (الراهبة) فى القصر الكبير بمعرض جمعية الفنون الفرنسية عام ١٩٢٩ فنال عنها شهادة تقدير وميدالية ذهبية .. وعند عودته الى مصر عين استاذا لفن التصوير الزيتى بمدرسة الفنون الجميلة العليا حتى عام ١٩٤٣ حيث تولى رئاسة قسم الدراسات الحرة حتى عام ١٩٥١ عندما بلغ التقاعد .. وتوفى عام



العروس .. للفنان عز الدين حمودة ، الذى كان من ابرز اساتذة التصوير فى الكلية

١٩٥٥ فى ٩ مارس بعد مرض طويل وضعف بصر . وقد اشتهر بالواقعية فى اعماله ودفء الالوان وقدرته الفائقة على رسم الوجوه الشخصية .

البعثة التبادلية

قبل ان ننتقل الى استعراض التطورات التى مرت بها مدرسة الفنون الجميلة ، نقدم نموذجا واحدا من النماذج العديدة للكفاح الشاق الذى خاضه جيل الرواد يبرز المناخ القاسي الذى عملوا فيه من اجل استكمال ادوات التعبير الفنى لديهم ، حتى احترم الجميع كفاحهم ، انه نموذج للتعاون والتضحية والوفاء من اجل تادية دورهم فى الحياة الثقافية والسياســـية على السواء .

فبعد ان تخرج راغب عياد ويوسف كامل من مدرسة الفنون الجميلة عمل كل منهما فى وظيفة مدرس رسم ، راغب عياد فى مدرسةالأقباط الكبرى ، ويوسف كامل فى المدرسة الاعدادية ، ولم يتوقف الفنانان عن الانتاج الفنى واقامة المعارض لانتاجهما ، ومرت سنوات الحرب العالميـــة الأولى ثم احداث ثورة ١٩١٩ والفنانان يشعران بضرورة استكمال دراستهما بالخارج ، وكان راغب عياد قد اعتاد ان يســـافر الى ايطاليا خلال شهور الاجازة الصيفية ، وكان احيانا يزور فرنسا فيشاهد المتاحف والمعارض ويملاه الاحساس بمدى حاجته الى الدراسة المنظمة خاصة وان زميلهما محمود مختار كان قد اختار فرنسا وطنا ثانيا له وحقق خلال اقامته هناك مكانة فنية مرموقة .

وكان لراغب عياد مرسم ببيت الفنانين فى القلعة ، وكان يتردد عليه فى هذا المرسم زميله يوسف كامل من حين لآخر .. وفى احدى الجلسات تطور الحديث بينهما الى حياتهما الفنية وضرورة السفر الى ايطاليا والدراسة بها على يد اساتذتهـا الكبار واقترح عياد ان يقوم كل منهمـــا بالتدريس فى المدرستين معا ويسافر الآخر الى ايطاليا لتنمية دراسته الفنية .. وراقت الفكرة فى نظرهما وقابلا ناظـرى مدرستى الأقباط والاعدادية ، فوافقا على الفكرة وشجعاهما .. وسافر اولا يوسف كامل ، وزميله عياد يرسل له مرتبه شهريا .. ولما انتهت مدة يوسف كامل سافر عياد فى الاجازة الصيفية وقابله هناك وقضيا سويا الاجازة ، بمرورهما على «اكس ليبان» قابلهما محمد كامل سليم (سكرتير سعد زغلول) وكان مدرسا بالاعدادية » مع يوسف كامل » وسمع قصتهما فطلب منهما ان يقابلا سعد زغلول وكان يستشفى هناك بعد خروجه من منفاه فى سيشل .. وقابلا سعد زغلول الذى فرح بهما وقال ليوسف كامل (روح سدد الدين لزميلك) . وعاد يوسف كامل الى مصر وتولى عمله بالمدرستين وارسال النقود لعياد فى ايطاليا حتى اتم دراسته .

وكانت قصة هذين الشابين موضع اعجاب كل من سمع بها .. فلما اجتمعت الدورة الأولى للبرلمان ، وقف ويصا واصف باشا وروى قصة هذين الشابين ، ودعى الى تشجيع الفنون وفتح اعتماد سنوى لذلك فى ميزانية وزارة المعارف .. فوافق المجلس على طلبه واعتمدوا مبلغ اثنى عشر الفا من الجنيهات سنويا لارسال بعثات الفنانين الى الخارج ، ووافقت الوزارة على إيفاد « يوسف كامل » و « راغب عياد » الى ايطاليا .. و « محمد حسن » الى انجلترا .. و « احمد صبرى » الى فرنسا .. وذلك سنة ١٩٢٥ .

كلية الفنون الجميلة

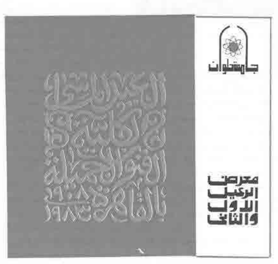
قرر البرلمان الأول عـــــام ١٩٢٤ ـ كاستجابة للبعثة التبادلية بين الفنانين يوسف كامل وراغب عياد ـ تخصيص ميزانية سنوية للبعثات الفنية وميزانية للاقتناء من اعمال الفنانين ، وتكونت لجنة استشارية للفنون الجميلة ، وهكذا بدا تشكيل النواة الاولى لمتحف الفن الحديث .

وتتويجا لهذا الاهتمام الحكومى بالحركة الفنية انشات وزارة المعارف العمومية ـ وكان هذا اسمها وقتئذ قبل تسميتها وزارة التربية والتعليم ثم وزارة التعليم ـ المدرسة التحضيرية للفنـون الجميلة عام ١٩٢٧ ، قبل الغاء مدرسة الفنون الجميلة المصرية بالسيدة زينب والتى تخرجت منهـا آخر دفعة عام ١٩٢٨ ليحل مكانها مدرسة الفنون الجميلة القسم العالى عام ١٩٢٩ ويشمل العمارة والتصوير والنحت ، ومدة الدراسة بهـا اربع سنوات .. وفى سنة ١٩٣١ اضيف قسم رابع وهو الفنون الزخرفية .. وفى عام ١٩٣٣ اضيف قسم الحفر (الجرافيك) وبذلك استكملت المدرسة اقسامها الخمسة وتخرجت أول دفعة من هذا النظام الجديد عام ١٩٣٣

وقد اختير لمبنى المدرسة فيلا بشارع خلاط بشبرا رقم ١١ من عام ١٩٢٧ ، ثم نقلت فى اغسطس ١٩٣١ الى المبنى رقم ٩١ شارع الجيزة ، وفى سبتمبر سنة ١٩٣٥ نقلت الى مكانها الحالى بشارع اسماعيل محمد رقم ٨ بالزمالك ، واضيفت عمارة جديدة لأقسام الفنون سنة ١٩٥٣ .

وفى عام ١٩٣٧ الغيت المدرســـة التحضيرية للفنون الجميلة واضيفت سنة اعدادية الى الدراسة بالمدرسة العليا واصبحت سنوات الدراسة خمس سنوات .

وفى عام ١٩٥١ استبدل اسم مدرســـة



الكتيب الذى اصدرته جامعة حلوان فى المناسبة التاريخية



الأمير يوسف كمال ، منشيء مدرسة
الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٠٨



الدكتور اسماعيل علم الدين
رئيس جامعة حلوان



الفنان صلاح عبد الكريم
عميد كلية الفنون الجميلة

الفنون الجميلة العليا باسم الكلية الملكية للفنون الجميلة ، ثم اصبح ابتداء من عام ١٩٥٣ اسمها كلية الفنـــون الجميلة بالقاهرة .

وفى عام ١٩٥٧ قررت لها مصروفات دراسية وكانت قبل ذلك بالمجان ثم الغيت هذه المصروفات فيما بعد .. وفى سبتمبر سنة ١٩٦٦ ضمت مبان وارض وفيلات مجاورة لها كان يملكها احمد عبود (باشا) ومنى عبود ومحمد على حسين (وكان يسكنها الدكتور طه حسين) وهى المساحات الملاصقة للكلية ومبانيها ، وبعد ذلك اقيمت مبان جديدة لتواجه التوسع فى الدراسة وفى أعداد الطلاب .

العمـــداء

كان « جيروم لابلان » اول عميد لهـــا (ناظر المدرسة) من عام ١٩٠٨ حتى ١٩١٨ أعقبه « جبرييل بيبسى » حتى ١٩٢٧ ، وعندما تحولت الى مدرسة للفنون الجميلة « العليا » تولى عمادتها (كاميلو انوشنتى) حتى عام ١٩٣٧ ثم الفنان « محمد ناجى » حتى عام ١٩٣٩ ثم الفنان « محمد حسن » ١٩٤١ واصبح اسمها « المدرسة العليا للفنون الجميلة » ، ثم تولى هذا المنصب « شفيق زاهر » حتى ١٩٤٣ ثم المهندس « عبد المنعم هيكل » حتى ١٩٥٠ ثم الفنان (يوسف كامل) حتى ١٩٥٣ واصبح اسمها فى فترة عمادته « الكلية الملكية للفنـــون الجميلة » ثم تغير الى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة . وتولى بعده المهندس « عوض كامل فهمى » حتى ١٩٦٦ ثم (م . احمد الحسينى » حتى عام ١٩٧٢ وبعده الفنان « عبد الله جوهر » حتى ١٩٧٦ وقد ضمت الى جامعة حلوان اثناء عمادته يوم ٢ اكتوبر عام ١٩٧٥ . اعقبه الفنان (عباس شهدى) حتى عام ١٩٧٨ ثم الفنان « صلاح نايل » الذى أصبح عام ١٩٨٢ نائبا لرئيس جامعة حلوان فحل مكانه الفنان « صلاح عبد الكريم » الذى تحتفل الكلية فى عهده بعيدها الماسى .

اقسام الدراسة

تتكون كلية الفنون الجميلة بالقاهرة من ستة اقسام هى : العمارة - والعلوم الانشائية- والديكور - والتصـــوير - والجرافيك - والنحت .. ومدة الدراسة لنيل درجة البكالوريوس خمس سنوات تبدا بسنه اعدادية لتخصص العمارة والعلوم الانشائية ، وسنه اعدادية لتخصص الديكور وسنه اعدادية مشتركة لتخصصات التصوير والجرافيك والنحت .

● قسما العمارة والعلوم الانشائية :- يلحق بهذين القسمين الحاصلون على الثانوية العامة تخصص رياضة ، وتهدف الدراسة فيه الى تخريج مهندسين معماريين يتعاملون مع البناء كفن من الفنون الجميلة وليس مجرد اماكن صالحة للاستعمال وحسب .

ويدرس الطلاب فى هذا القسم المواد المتعلقة بالهندسة المعمارية كالتصميم المعمارى والمنظور الهندسي وحساب الانشاءات وغيرها بالاضافة الى تاريخ العمارة والنقد وعلم الجمال والحساب العلمى (الكمبيوتر) ونظريات العمارة ثم الدراسات الميدانية للتراث القومى والحضارة القديمة .

● قسم هندسة الديكور :- يلتحق بهذا القسم الحاصلون على الثانوية العامة تخصص رياضة او علوم ، وتهدف الدراسة فيه الى تخريج مهندسى ديكور لهم رؤية جمالية وعلى دراية بالخامات والمواد وكيفية توظيفها جماليا ونفعيا .. ويتفرع هذا القسم الى شعبتين لطلاب السنتين الثالثة والرابعة هما (شعبة العمارة الداخلية) للتخصص فى الاثاث وديكور المنازل والفنادق والمكاتب العامة ، وشعبة الفنون التعبيرية للتخصص فى ديكور المسرح والسينما وقاعات العـــرض المختلفة .

● قسم التصوير : يلتحق بهذا القسم وكذلك اقسام الجرافيك والنحت ، الحاصلون على الثانوية العامة سواء تخصص رياضة او علوم او اداب .

ويتدرب طلاب هذا القسم على الرسم بالالوان وتكنولوجيا الالوان وتاريخ الفن وغيرها من الدراسات ويتخصص بعض الطلاب خلال السنتين الثالثة والرابعة فى دراسة التصوير الجدارى اى الرسم على المساحات الضخمة والخامات المناسبة للرسم فى العراء على الجدران الخارجية للمبانى .

● قسم الجرافيك : ويتدرب فيه الطلاب على الطباعة الفنية عن طريق حفر رسومهم على اسطح صلبة لطبع عدة نسخ متشابهة من الرسم الواحد .. وتتضمن الدراسة الخط العربي والتصميم والزخرفة .. ويتخصص الطلاب بعد السنة الثانية في التصميمات المطبوعة او الرسوم المتحركة وفنون الكتاب .

● قسم النحت : تتضمن الدراسة في هذا القسم التشكيل في الفن والنحت البارز على السطوح المنبسطة وفن الميداليا ثم النحت المباشر على الاحجار الصلده والطرز المعمارية المختلفة بالاضافة الى الدراسات النظرية في تاريخ النحت وتكنولوجيا معالجة الخامات المختلفة والترميم والنقد الفنى وعلم الجمال ..

ويتخصص طلاب هذا القسم بعد السنة الثانية في النحت الفراغي والميداني او الميدالية والنحت البارز على السطوح المنبسطة .

المرسم والقسم الحر

يتبع كلية الفنون الجميلة مرسم ، انشيء عام ١٩٤٢ كان يلتحق به المتفوقون من الخريجين لمدة عامين بمرتب شهرى ، وهو يعتبر اول شكل في نظام التفرغ ويمثل نوعا من البعثة الداخلية .

وقد اختيرت منطقة « الاقصر » بين الآثار القديمة مقرا للمرسم طوال مدة الشتاء ، واحد البيوت العربية الاثرية « بحوش ادم » بحي الغورية في القاهرة صيفا حيث يمكن معايشة الآثار العربية والبيئة الشعبية .

وقد تولى ادارة هذا المرسم منذ انشائه الفنانون « حامد سعيد » ، « عبد القادر رزق » ثم « صلاح طاهر » ثم « عباس شهدى » ثم « الحسين فوزى » .. وقد اغلق عام ١٩٦٧ في انتظار الاستفادة منه بشكل يتناسب مع الظروف الجديدة في المجتمع .

اما القسم الحر فقد انشيء عام ١٩٤٢ لقبول الفنانين من الهواة الذين لا يستطيعون الالتحاق بالدراسة النظامية وكان به قسم نهارى واخر ليلى لدراسة النحت والتصوير الزيتي . وقد تولى الفنان « احمد صبرى » تدريس فن التصوير عند انشاء هذا القسم ، والمثال عبد القادر رزق تولى تدريس فن النحت .. ثم صدر قرار عام ١٩٦٦ بنظم الدراسة الحرة ادى إلى إغلاق هذا القسم ، وكان المتفوقون من الفنانين الاحرار يحصلون على جائزة الالتحاق بمرسم الفنون الجميلة .

الاشعاع الثقافي

تعتبر « كلية الفنون الجميلة بالقاهرة » هي المدرسة التي افرخت روادا عمالقة في مختلف افرع الفنون الجميلة ، شاركوا بفعالية في الحياة العامة بتخصصاتهم ، بعضهم وجه نشاطه نحو الصحافة فتطورت على ايديهم بالرسوم والاعلانات والكاريكاتير ، كما تخصص بعضهم في التحرير والنقد الفنى .

ومنذ ربع قرن كان لهذه الكلية دورها في انشاء كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ، التي احتفلت منذ شهور بيوبيلها الفضي ، كما انشئت ابتداء من العام الدراسي الحالى « ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ » كلية الفنون الجميلة بالمنيا : الشقيقة الثالثة .

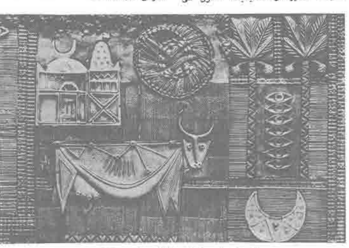
وامتد عطاء هذه الكلية الى المستوى العربي ممثلا في اساتذتها وخريجيها الذين ساهموا في انشاء كلية الفنون الجميلة بدمشق ، واستكمال هيئة التدريس باكاديمية الفنون الجميلة في بغداد ، وذلك باعتبارها الكلية الاولى للفنون الجميلة في الشرق العربي ، كما انها استقبلت المبعوثين والدارسين من البلاد العربية والافريقية على مدى نصف القرن الاخير حيث تخرج منها المئات الذين انعكس عطاؤهم على المنطقة كلها .

هذا وقد تطورت برامجها التعليمية بعد انضمامها لجامعة حلوان عام ١٩٧٥ فسبقت الكثير من اكاديميات الفنون في العالم بانشاء دراسات عليا تمنح درجات الماجستير والدكتوراه في مختلف تخصصاتها .

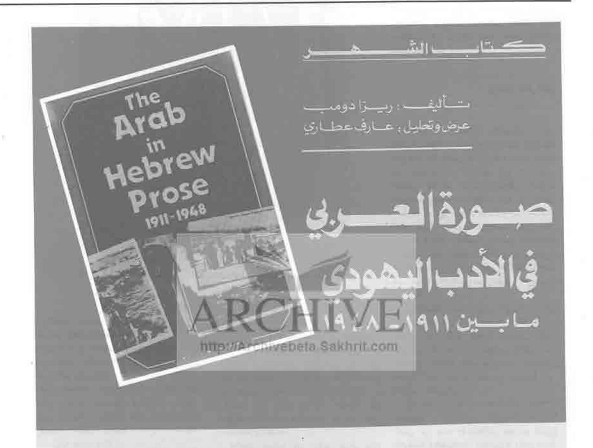
ومن اقطاب الجيلين الثالث والرابع الفنان الحسين فوزى رائد فن «الجرافيك» في مصر ، الذى درس بباريس بعد تخرجه من مدرسة الفنون الجميلة ، وقد تولى رئاسة قسم الحفر عام ١٩٣٤ واشتهر من خلال رسومه الصحفية بالمجلات والصحف كما رسم مساجد مصر في كتاب من جزئين طبع بالالوان لحساب وزارة الاوقاف ، وله لوحات زيتية ضخمة في عدة اماكن عامة .

والفنان صلاح طاهر الذى اشتهر من خلال معارضه المتتالية في مصر وخارجها وقد عمل مديرا لمكتب وزير الثقافة ثم مديرا عاما للفنون الجميلة ثم مديرا لدار الاوبرا ويعمل حاليا كمستشار فني لمؤسسة جريدة الاهرام ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤ .

والفنان عبد السلام الشريف الذى التحق بمدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٣٠ وتخرج عام ١٩٣٥ ليعمل في الميدان السينمائى والمسرحى ، ثم في تصميم اوراق البنكنوت وطوابع البريد ، ثم مسجلا لحفائر المعهد الفرنسى للآثار بمنطقتي الكرنك والاقصر ، وقد اشتهر من خلال اهتمامه بالاخراج الصحفى وتصميم الكتاب ، وقد كان اول عميد للمعهد العالى للنقد والتذوق الفنى ، وبعد احالته الى التقاعد عين استاذا للاخراج الصحفى بجامعة الملك عبد العزيز في جدة . وقد حصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى عام ١٩٦٧ .



القرية (نحاس مطروق) : للفنان صلاح عبد الكريم



يلاحظ المهتم بالدراسات الفلسطينية والاسرائيلية ندرة الابحاث ، خاصة المنشورة بالعربية ، المتعلقة بالجوانب الادبية والثقافية للصراع العربى الاسرائيلي ، بالمقارنة مع الدراسات المتعلقة بالابعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية ، مع ان الحرب على الجبهة السياسية والعسكرية إن هى الا التعبير الدموى المتفجر للحرب على الجبهة الثقافية او الحضارية . حتى الدراسات المنشورة بالعربية ، وإلى حد ما بغير العربية ، استندت ، فى معظم الاحيان ، الى مراجع ومصادر مكتوبة بلغات غير اللغة العبرية .

ومن هذه الزاوية ، وزوايا اخرى ، تاتي قيمة هذه الدراسة التى نعرضها فى هذا العدد . وهى للكاتبة الاسرائيلية « ريزا دومب » المحاضرة فى جامعة كمبردج . ومع ان هذه الدراسة منشورة بالانجليزية إلا انها تحليل لروايات وقصص كتبت باللغة العبرية ، بينما معظم الأعمال الادبية الصهيونية التى قام باحثون عرب – امثال غسان كنفاني وهانى الراهب – بتحليلها قد كتبت بلغات غير العبرية ، كما كان كتابها فى الغالب من خارج فلسطين .

والحدود الزمنية لهذه الدراسة هى الفترة الممتدة بين عامي ١٩١١ – ١٩٤٨ اما الحدود المكانية فهي فلسطين فقط .

تطرح الكاتبة فى مقدمة دراســـتها السؤالين التاليين :

ـ هل انتمـاء الكتاب لعقيـــدتهم الصهيونية أثرٌ فى تصويرهم للعربى ؟

ـ هل اثر الموطن الاصلي للكتاب على تصويرهم للعربى ؟

فى مناقشتها للسؤال الأول تقــــول الكاتبة : « ان معظم الاعمال الادبية للكتاب اليهود فى الفترة التى تغطيها الدراسة ، تعكس القيم الاشـــتراكية للحـــركة الصهيونية والحركة العمالية ، تلك القيم التى كان يشارك فيها القراء ايضا . وهكذا فانهم صاغوا اعمالهم من زاوية فكرية معينة ، ومن هذه الزاوية قدموا رؤيتهم للواقع » .

وفى مناقشتها للسؤال الثانى تقــول : « ان معظم الكتاب اليهود فى تلك الفترة لم يولدوا فى فلسطين . وقبل هجرتهم اليها كانوا قد تغذوا بمعرفة متحيزة . ولذلك شعروا بالاحباط لدى وصولهم إلى فلسطين وقد اثر ذلك على أسلوب تجاوبهم مع المحيط الذى وجدوا انفسهم فيه ، وعلى كيفية تصورهم للواقع » .

ولتوضيح مدى تاثير الموطن الاصلي على الكتاب اختارت الباحثة خمسة كتاب ممن هاجروا الى فلسطين من الخارج ، وكاتبين ممن ولدوا ونشاوا فى فلسطين نفسها .

قسمت الكاتبة دراستها الى ثلاثة اقسام : الأول عبارة عن خلفية تاريخية للفترة التى تغطيها الاعمال المختارة . وهذا القسم يبحث تطور الجماعة اليهوديـــة والجماعـة العربية فى فلسطين ، كل على حدة ، مع عرض اسباب التوتر بينهما .

اما القسم الثانى ،فهو تحليل موجز للاعمال المختارة ، يشمل عرض العقـــدة والشخصيات والاسلوب الادبى والفكرة الرئيسية .

اما القسم الثالث ، وهو القسم الرئيسي الذى يحمل عنوان الدراسة نفسها ، فهو عرض لصورة العربى ، فى تلك الاعمال المختارة ، من زوايا اربع : ـ العربى كفرد ـ البنية الاجتماعية العربية ـ الـــدين والعادات العربية ـ العربى فى صلتـــه باليهود .

خلفية تاريخية

تقدم الكاتبة الخلفية التاريخية فى القسم الأول ، من منطق صهيوني ، رغم محاولتها الظهور بمظهر الكـــاتب الملتزم بالموضوعية . وهى تستخدم السيرة الذاتية لاحد الكتاب ، الذين شملت الدراســـــة اعمـــالهم ، وهــو « موشي سميلانسكي » ، مصدراً للمعلومـــــات التاريخية الواردة فى هذا القسم . وهى ترى أن « استخدام السيرة الذاتية يتيح فرصة غير عادية لعرض الخلفية التاريخية من خلال الرواية نفسها » .

ولكن من حقنا ان نتساءل الى اى مدى يمكن استخدام السيرة الذاتية . بمـــا تتضمنه من عنصر الذاتية والاختيار من الأحداث ، لعرض معلومات يفترض أن يتسم عرضها بالموضوعية . ومع أن عدداً من الباحثين يرى أن السيرة الذاتية هى احد الأشكال المشروعة للكتابة التاريخية ، إلا اننا نعتقد ان ذاتية الكاتب واختياره الأحداث بما يخدم هدفه ، يقيدان ذلك الاستخدام .

فى سيرة « سميلانسكي » تبسيط لطبيعة واسباب الصراع العربى الاسرائيلى . القضية لديه قضية احتلال واستعمار من جهة وطرد واقتلاع من جهة اخرى . القضية ببساطة هى : ارض يباب جاء اليهود ليعمروها . وهم ليسوا غرباء عنها . فهى ارض اجدادهم . لم يكونوا فى البدء يتخيلون وجود سكان غرباء فيها . صدموا عندما رأوهم . « ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ » . هكذا تساءلوا فى البداية .

ويعزو « سميلانسكي » الصراع العربى الاسرائيلى الى سوء فهم عائد الى اختلاف اللغة احيانا ، والى عدم فهم اليهود لعادات العرب او احترامهم لها احيانا اخرى . كما يعزوه على الصعيد العربى إلى تحريض الاتراك للعرب ، كعامل خارجى ، وإلى تحريض ملاك الأرض سكان المدن للمزارعين العرب . كما انه يشير الى مقولة طالما رددها الكتاب الصـــهاينة وهى أن الصراع العربى الاسرائيلى هو نتيجة تزامن الصحوتين القوميتين العربيـــة واليهودية . وهذا ، كما اشرنا ، تبسيط لجوهر الصراع ، واغفال لحقيقة ارتباط الحركة الصهيونية بالاستعمار العالمى . ولكننا لن نتوقف عند هذا الموضوع حتى لا نبتعد عن الموضوع الرئيسي للكتاب وهو صورة العربى فى الادب العبري .

اشرنا فى فقرة سابقة الى عدم تصـــور بعض الكتاب اليهود فى البداية ـ وجود عرب فى فلسطين ، ودهشتهم عندما راوا اولئك العرب . هذا النفي ينسجم مع مقولة الصهيونية بان « فلسطين ارض بلا شعب » التى تبرر او تشكل سنداً للشق الثانى عن المقولة وهو : « لشعب بلا ارض » .

استعمار نبيل !

ولكن بعد ان لم يعد ممكنا انكار وجود الشعب العربى فى فلسطين لجـــات الصهيونية الى المنطق الاستعمارى الذى ساد اوروبا فى تلك الفترة من الزمن والقائل بان الشعوب غير الاوروبية شعوب متخلفة وان على الرجل الابيض عبء النهوض بها او بمعنى اخر التخلف يبرر الاستعمار .

وكان لابد أن ينسجم الكتاب اليهود مع هذا المنطق ، وذلك بتصوير الانسان العربى المتخلف ـ وبالفعل فالعربى فى الاعمال الادبية التى قامت « رايزا دومب » بتحليلها هو تجسيد لكل صفات التخلف !

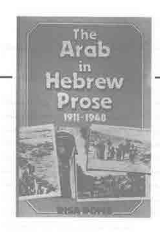
العربى فى هذه الروايات انسان قدري مستسلم . هكذا يبدو « رشيد » فى قصة « سميلانسكي » « الرجل العجوز » ومحمد فى القصة التى تحمل نفس الاسم . وهكذا يبدو « ابو الشوارب » فى قصة « يتسحاق شامى » ، « انتقام الآباء » .

يشوه هؤلاء الكتاب فكرة القدر فى الاسلام فيصورونها ، من خلال قصصهم ، استقالة مطلقة من الحياة ، وتخليا عن الاختيار الشخصي ، وعدم القدرة على الاعتراض . هكذا يبدو حسن فى قصـــــة « الفلاحين » لـ « سميلانسكي » :

« احنى حسن راسه واستسلم . كذلك كان على الدوام . لقد استسلم لضربات ابيه وشيخ العشيرة وجامع الضرائب ، وللدائن وللعاصفة والجفاف والمجاعة والكوارث » .

وفى قصة « ستافسكي » بعنوان « فى النقب » وصف محزن لسلبية اهل القرية العربية التى تمر فى عام من الجفاف . ورغم ذلك ، ياتى جامع الضرائب لياخذ حصة الحكومة :

« خيم الصمت على القرية صمت طويل يبعث على الوهن . الناس يتجشـــاون



ويبحثون عن ظل عند حائط الى جهة الغرب . اشتدت حرارة الشمس . الحديث اصبح مملا مفككا كاصداء اصوات تاتي من بعيد ثم تتشظى . افترش احد الرجال عباءته وسيطر عليه النعاس . واخر اسند ظهره الى الحائط وجلس متربعا ثم نام . وهكذا ثالث، ورابع ، بدا القوم وكانهم سكارى ، متعبون إلى درجة النوم ، حتى اذا طلعت اول خيوط الشمس كانت القرية باكملها لا تزال نائمة » .

والعربي جامد يقدس تقاليد الاسلاف ويرفض التغيير . هكذا قـال عنهـم « سميلانسكي » فى قصته « فى كروم يهودا » :

« نحن عرب نتبع اوامر اسلافنـــا : « لا تسكنوا البيوت المبنية من حجر لان اساساتها تؤذى باطن الارض . اسكنوا الخيام التى تحيكها نساؤكم من شعور الابل . لا تزرعوا شجرا فى ارضكم ، حتى لا تحجب وجه الارض المقدسة عن اعينكم . سوف تطول ايامكم على الارض التى وهبها الله لكم ، اذا زرعتموها بالحب فقط ، الذى تصنعون منه الخبز ، وإذا تغذت جمالكم ومواشيكم التى تعيش معكم على العشب » يجب ان نحافظ على كلمة اسلافنا ونلتزم بها الى الابد » .

ولكن الانسان العربى ، فى نفس الوقت مبتز مخادع منافق متوحش كذاب . هكذا يبدو فى قصة «يسرائيل زارحى» بعنوان « قرية سلوان » ، وهى عن يهود يمنيين واجهوا ، لدى وصولهم الى شاطىء أرض الاحلام ، ملاحا عربيا هدد حيلتهم مالم يضاعفوا له المبلغ المتفق عليه لقاء تهريبهم اليها . كذلك يفعل « عربى » اخر عندمـا يهدد بالوشاية عنهم مالم يدفعـوا له مبلغا شهريا .

ويصور « زارحى » وحشية العرب فى الحـــرب العالميـــة الاولى ، وهم « يتسللون فى اوقات الهدوء ، يجردون جثث الجنود الاتراك من الملابس ، حتى انهم يقطعون اصبع الميت ليجردوه من خاتمه، ويقتلعوا سن الذهب من فمه » .

ولكن هذه الوحشية تظهر اكثر مع يهود قرية سلوان ، عندما حدث توتر بينهم وبين العرب ، فقام العرب بذبحهم وتدمير منازلهم :

« كانوا يدمرون كل شيء . اقتحموا بيت الرابي « يوسيف كلاوستر » ، ومزقوا كتبه ومحفوظاته ، التى نثرتها الرياح ، بعد تمزيقها ، فى كل الارجاء . لم يبق منها الا صفحات ممزقة من كتاب عن تاريخ الهيكل الثاني . كما دمروا بيت الكاتب س . ي . عجنون ، وبعثروا مكتبته الثمينة ، ومزقوا كتبه الخاصة بالقدس القديمة التى قضى حياته يجمعها . سرقوا كل ما يستحق السرقة ، ومالم يريدوا سرقته دمروه . وعندما جاء الصباح تراجعوا الى الصحراء .

وعندما عاد « زكريا » ليفقد صحائف التوراة التى تذكر انه تركها هناك . وجد بقايا منازل :

« كان الدمار كاملا . حتى الاشياء التافهة مزقوها . لم يبق مسمار فى باب ، ولا باب فى جدار . حتى ارضية المنازل حطموها ، وظهرت عليها اثار اقدامهم . هنا وهناك قد يرى المرء اثار حياة كانت وزالت : إناء ماء محطم ، فجوة لوضع الكتب ... كاد ييأس من العثور على الهدف الذى جاء من اجله ، الى ان شاهد اوراقا ممزقة . تعرف من بينها على كتاب التوراة . جمع الاوراق الممزقة ، حملها مع قلبه الممزق ، قبل الاوراق وعانقها ، وبكى بكاء مرا » .

نلاحظ هنا انه مقابل الانسان العربى المتوحش ، انسان يهودي يحرص اكثر ما يحرص على الكتب والمخطوطات ، يقضي عمره فى جمعها والمحافظة عليها ، ويبكي على ضياعها ، ويغامر بحياته لانقاذها .

والانسان العربى متقلب المزاج سريع الغضب محب للثـــار . عبر عن ذلك « سميلانسكي » فى قصته « فى السهل » فقال :

« انهم بدائيون . احيانا تراهم سعداء وفى سلام . ولكن سرعان ما يتحولون الى مجرمين . إنهم على استعداد ليتقاسموا رغيف الخبز مع الجائع ، ولكنهم على استعداد ايضا لارتكاب جريمة فى سبيل الحصول على شيء يريدونه ولا يستطيعون دفع ثمنه » .

ويصفهم على لسان مســــتوطن من « هاديرا » فى نفس القصة فيقول :

إنهم ليسوا شريرين ،ولكنهم بدائيون سريعو التهيج ، تسهل اثارتهم . وهم فقراء ايضا ، وعلى استعداد لارتكاب جريمة من اجل رغيف خبز » .

هكذا صور « شامي » فى قصته « انتقام الآباء » « ابو الشوارب » الزعيم النابلسي الذى يقتل شيخ الشباب ، زعيم الخلايلة ، وهو يحاول ان يضع راية بلده اولا على مقام النبى موسى :

« كانت رغبتهم فى الانتقام والدفاع عن شرفهم قد اشتعلت فى قلوبهم حتى اعمت بصائرهم ، حاصرتهم واسرتهم ، ودفعتهم لارتكاب الخطا تلو الخطا ، وكانهم مجانين فقدوا توازنهم » .

فى قصة عايشة لـ « سميلانسكي » يصف الكاتب عبد الله بانه : « شخص فضيء ، روح شريرة ، مليء بالحقد والحسد والكراهية . يسعى وراء المال والجـــاه . لا يوثق به ولم يحافظ يوما على كلمتـــه . لا يعرف إلا كراهية كل من يقف فى طريقه »

والمراة العربية ، فى القصص التى تستعرضها الكاتبة ، محرومة من كل الحقوق . فى قصــــــة « لطيفـــة » لـ « سميلانسكي » تساله بطلة القصة : « هل تتزوج النساء عندكم من يحببن ؟

عندنا تباع النساء كالحمير » . اما المراة العربية عند « رابينوفيتش » فهى سهلة ، ورغم انه يعبر عن تقززه من قذارة العرب الا انه يتحـــدث عن انجذابه نحـــو المراة العربية . فى قصة « عماسي الشومير » يقول .

« عندما اريد امراة منهن ، ابعثها الى بركة الماء اولا لتستحم » .

يخلط الكتاب اليهود ، الذين شملتهم الدراسة ، بين الدين والتقاليد والخرافات ، وربما كان هذا الخلط من الكاتبة نفسها . من امثلة ذلك ان موسم النبي موسى ، وهو موضوع قصة « انتقام الاباء » لـ « شامي »

يعتبر موسما دينيا ، ويعبر عنه بكلمة حج . والامر بطبيعة الحال ليس كذلك ، فهذا الموسم لا يزيد عن كونه احتفالا فولكلوريا له ما يشابهه فى معظم البلاد العربية ، كذلك تصور الموسيقى ورقصة « الدبكة » على انها جزء من الطقوس الدينية .كذلك يصور الدراويش على انهم ممثلون للدين . وهكذا : خلط شديد واخطاء كثيرة .

صحيح ان « بيرلا » فى « صراعات الانسان » تحدث عن الحج الى مكة ، إلا ان وصفه تركز على الستائر الباهظة الثمن التى تشحن من دمشق الى مكة .

على صعيد اخر صور « سميلانسكي » الصراع بين المتدينين والعلمانيين ، ففى رواية « الضيف » وكذلك « الحاج ابراهيم » البطل يفطر فى رمضان ويشرب الخمر ، ويسخر من الدين الذى يرتبط به كبار السن ،

لماذا الأعجاب بالبدو ؟

ميز الكتاب اليهود فى تلك الفترة بين البدو والفلاحين وسكان المدن . وقد احترموا البدو كثيرا ، واعجبوا بحريتهم وعدم خضوعهم لسلطة الدولة ، وبشجاعتهم ... وقد وصل الاعجاب ببعضهم ان نادى بتحويل اليهود الى بدو . هذا ما يقوله « عماسي » بطل رواية « رابينوفيتش » ، التى تحمل نفس الاسم !

« نحن نعيش على حواف الصحراء . وحسب معلوماتنا ان هناك كنوزا تنتظر من يكشف عنها .. يحتاج اناس امثالنا إلى الوحشية والمتوحشين . نريد ان نجدد دماءنا ... البدوي اليهودى هو المطلوب ... وبدون ذلك لن نتحرر » .

ويكاد « عماسي » يرى : عدة مئات ممن يركبون الجمال ، طاروا كالنسور ، مروا كالغيم فى الرياح . شعورهم الطويلة وطيات عباءاتهم كانت تسبح فى الفضاء ، رماحهم تلوح وجمالهم تصم بشخيرها الآذان » .

ولكن امله يخيب حين يعرف انهم من العرب . وكان « بيرلا » فى قصة « ظلام المعاناة » قد تحدث عن خيبة امل مماثلة واجهها « أبا يهيا » اليهودى اليمني الذى كان يبحث عن قبائل بدوية يهودية . وتعتقد الكاتبة ان تركيز الكاتبين على خيبة أمل ابطال قصصهما فى العثور على البدو اليهود ، مقصود لوضع حد لتلك الاحلام التى كانت تراود بعض اليهود ، وللعودة بهم الى مشاكل « اليشوف » اى المستوطنات اليهودية فى فلسطين .

اما الفلاحون فيصور الكتاب اليهود حياتهم المزرية ، كما يصفها «سميلانسكي» فى قصته « الفلاحون » .

« بيوتهم من طين صغيرة ، سوداء ، قذرة ، لا نوافذ لها . ملتصقون ببعضهم ، غارقون فى الطين » .

ويتحدث فى نفس القصة عن حسين عبد الله :

« الفلاح الاصفر عريض المنكبين ، الذى يعبر وجهه عن الأسى والألم ، ويعبر انحناء ظهره عن الهموم وينوء باعباء الضرائب وزعماء العشائر والجنود والجفاف والعمل الشاق » .

ويركز هؤلاء الكتاب على استغلال الفلاحين من قبل الاغنياء وملاك الارض يتحدث محمد فى القصة التى تحمل نفس الاسم ، وهى لـ « سميلانسكي » ايضا عن :

« الاغنياء الذين لو باعوا قمحهم المخزون فى زمن الجفاف لساعدوا الفقراء . صوامعهم تمتلىء بالقمح والشعير والاف الفقراء حولهم يموتون من الجوع ولا يجدون رغيف الخبز » .

وفى قصة « الفلاحون » لنفس الكاتب ، يقول : « الاغنياء يقبضون على اعناق الناس وارزاقهم ، ياخذون الاراضي عن طريق الرهن ، تمتلىء جيوبهم بالمال ، بينما يزداد الفلاحون فقرا » .

فى قصة « ناحوم يروشاليمي » بعنوان « ميركادو : سائق الحمار » ، يقول :

« يمتلك الغني قرى بكاملها حول الخليل . كانت تعتبر ملكا خاصا له . كل سكانها تحت سيطرته . كل عام ياتون له بهدية : فتاة عذراء يتزوجها » .

لا نستطيع نفي مظالم الاقطاع وملاك الارض فى تلك الفترة من ألزمن ، ولكن استخدام الكتاب اليهود لتلك المظالم لتبرير استيلائهم على الارض ، أو القاء عبء المواجهة بين الفلاحين العرب واليهود ، على الاغنياء الذين حرضوا الفلاحين ليكرسوا امتيازاتهم ، هو - كما اشرنا من قبل - تبسيط للصراع ، ومحاولة للتعتيم على اسبابه الحقيقية . واكثر من ذلك هو محاولة لتصوير الاستيطان اليهودي على انه نعمة للفلاحين والفقراء العرب . وهو ما اثبتت زيفه الاحداث التالية :

اليهودى نموذج للتمدين

ولا يتضح مدى التشويه الذى الحقه الكتاب اليهود بالعرب الا بعرض الصورة التى رسموها لليهودى فى نفس الروايات . اليهودى هو الصورة النقيضة . اليهودى يذهب للطبيب عند المرض ، والعربى يذهب إلى الساحر . اليهود كرماء يدفعون بسخاء مقابل اي ارض يشترونها . العرب اطفال سذج امام اليهود المتقدمين . عندما يظهر النظام الزراعى اليهودي المتقدم يفتح العرب اعينهم على تخلفهم « لقد قلب اليهود العالم راسا على عقب » كما قال حسن فى قصة الوثاق لـ « سميلانسكي » .

وعن سذاجة العرب يتحدث « رابينو فيتش » فى رواية « عماسي الشومير » :

« الحارس العربى ينام . كثيرا ما سرقنا بندقيته دون ان يدري . وسرقنا حميره وتركناها ترعى فى بيارات البرتقال ، هل تتوقع ان تراه دون ان يحمل شيئا على ظهره ، او شيئا فى كيسه من الاشياء التى لا يزال المالك يحتاجها » .

ومع ان كلا من « سميلانسكي » و « رابينوفيتش » يصور العربى الساذج مقابل اليهودى المتقدم ، إلا أن سميلانسكي يدعو اليهود للتعاطف مع العرب ومحاولة فهمهم واحترام عاداتهم ، والاهم من ذلك انه يعتبر الاستيطان اليهودي فرصة للنهوض بالعرب وانتشالهم من التخلف . فى قصة « الشيخ عبد القادر » يتحدث سميلانسكي عن المواجهة بين اليهود والعرب فى « رحفوت » . عندما أراد اليهود امتلاك الارض انقسم العرب على انفسهم ، فمنهم من قاتل اليهود كغزاة اوروبيين لم

يروا اى خير من قدومهم ، وقسم راى فى وجود اليهود منفعة مادية واقتصادية وتهيا لقبول الوضع الجديد . هذا الفريق ربح المعركة ، وتبعه الفريق الاول .

فى قصة « الوثاق » يصبح كل امل العرب الفقراء ان يشترى اليهود ارضهم ليتخلصوا من ديونهم لملاك الارض . ولكن السلطات العثمانية هى التى تعارض بيع الارض لليهود .

أما فى قصة « حسن عبد الهـــادي ابو عيد » فكان رد فعل العرب اللامبالاة . « الفلاحون مشغولون بهمومهم ولا يعنيهم مجيء اليهود » .

فى قصة « رضا ورضـــا الله » لـ « سميلانسكي » ايضا ، تتحسن حياة الشيخ هلال فقط بعد ان اقيمت الى جانب مضارب قبيلته مستوطنة يهودية :

« منذ اقيمت المستوطنة اليهوديـــة الكبيرة الى جانبهم توقفوا عن الترحال واستقروا . ظل الشيخ هلال وبناته يعيشون فى الخيام ، لانهم يرفضون الاستغناء عنها ببيوت الحجر ، إلا انهم اخذوا يحرثون الارض ويزرعونها بنجاح » .

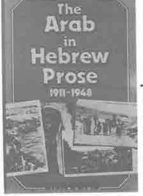
فى رواية « عطا الله » يصبح اليهود قدوة فى عدم الاستغلال :

« عندما تجمع اهل القرية بدا عطا الله يلوم الاغنياء لاستغلالهم اخوانهم الفقراء ودعاهم الى الاقتداء باليهود الذين يدفعون للعرب ضعف ما يستحقون من اجر » .

وكان الكاتب يريد ان يقول : لا مبرر لتذمر العرب من الاستيطان اليهودي فهو خير وبركة عليهم .

وبشكل عام تتعاطف الشخصيات اليهـــودية فى روايـــات وقصص «سميلانسكي» مع العربى المظلوم سواء كان رجلا مزارعا يظلمه صاحب الارض ، او امراة يظلمها زوجها وابوها والمجتمع ، بل هناك تعاطف مع العربى الذى يسيء اليهودى فهمه ، او لايصبر على سذاجته . المحصلة فى النهاية ان النهوض بالعربى يتم عن طريق الاقتداء باليهود ، وعلى اليهود عبء اخلاقى تجاه ذلك فهم المتقدمون والعرب سذج .

ولكن « رابينوفيتش » يرفض رومانسية « سميلانسكي » ، ولا يرى اي امكانية للتعايش بين العربى المتخلف واليهودى المتقدم :



« لا تتحملنا الارض معا . إما نحن او الوثنيون ... ســوف تتقياكم الارض كمــا تقيات الكنعانيين من قبل . سوف ياتي عمال جدد عبريون انقياء » .

ولا يهتم بطل قصته « عماسى الشومير » لمنظر فلاح يهودي يضرب صبيا عربيا . ما يهمه هو ان يتخلص اليهود من احلامهم الرومانسية فى الحياة بسلام مع العرب :

« عليهم ان يقبلوا حقائق الحياة المرة . الرومانسية ممنوعة . عندما يريد الانسان ان يعيش يجب ان يجعل قلبه قاسيا » .

لذلك فبطل القصة لا يكتفي باللامبالاة تجاه ضرب اليهودى للعربى بل يشترك معه :

« امسك اليهودى الصغير العربى من ثوبه وسحبه حتى ظهرت عورته . سقط وكان لا حياة فيه . جاء الفلاح اليهودى وصفعه على وجهه . وظل يصفعه حتى تدفق الدم من بين شفتيه » .

وهذه فى رايه هى الوسيلة الوحيدة للبقاء . الامور المعنوية لا تقلقه فلا بديل عن امن « اليشوف » . والبطل « عماسي » يحتقر حتى اليهـــــود الشـــرقيين لان « السفارديين يشبهون العرب . مساء كل سبت يحل العرب ضيوفا على السفارديين ويملاون شرفات المنازل بقشر الجوز . يقضمون ويقضمون بشكل مثير للغثيان . واهم شيء انك لا تستطيع ان تفرق بين الطربوش الاسرائيلى والاسماعيلى » .

لا تختلطوا بالعرب

وهو يثير مخاوف السفارديين من علاقتهم بالعرب فقد اختلط واحد منهم بالعرب وكانت نهايته القتل ، بل إن العرب منعوا والد « عماسي » من الاتيان بقابلة لتوليد امه فماتت اثناء الوضع .

هذا التخويف من غدر العرب ولؤمهم رايناه عند « زارحي » فى « قرية سلوان » . وهو ايضا موجود فى قصة ميركادو : سائق الحمار » لـ « يروشاليمي » . هذه القصـــة تدور حول ذبح اليهود للعرب عام ١٩٢٩ فى الخليل . ولا يوضح الكاتب ابدا الاسباب التى ادت الى ذلك . مع ان العلاقات بين العرب واليهود قبل تلك الاحداث كانت طيبة ، فالحاخام « شبتاي » حكيم نزيه يستدعيه العرب واليهود لتسوية المنازعات (لاحظ هذا الايحاء ، فالحاخام وليس رجلا عربيا ، هو الحكم وموضع الثقة) و « ميركادو » يستاجر الحمار ، الذى يعمل عليه ، من عربى ، والعرب يؤجرون ارضهم لليهود ، والمراة العربية تغسل النساء العواقر : عربيات كن او يهوديات ...

ولكن فجاة ودون توضيح للاسباب يخون العرب تلك العلاقات وتكون المذبحة . اما فى « قرية سلوان » فيوضح « زارحي » سبب كراهية العرب لليهود ، وهو الحسد ، فاليهود يناوئون مهرة نشيطون .. وبما ان يهود « سلوان » من المهاجرين من اليمن ، فهو يعود الى اضطهادهم هناك ويعزوه الى الاسلام ، فمنذ اعتناق اهل اليمن للاسلام واليهود مضطهدون روحيا واقتصاديا ، فاضطهادهم فى فلسطين هو امتـــداد لاضطهادهم فى اليمن .

وهكذا فان القارىء اليهودى ، الذى كتبت هذه القصص له (فهى مكتوبة بالعبرية) سوف يعتقد بالتاكيد ان هناك خللا ما فى الشخصية العربية والعقلية العربية ، وهذا الخلل يبيح الاستيلاء على ارضها ، فهى اصلا عبء على تلك الارض وسبب من اسباب خرابها . هذا الخلل يسلب العربى حقه فى رفض الوجود اليهودى . وهو فى افضل الاحوال لا يمنحه اكثر من حق التعاطف معه ومحاولة انتشاله من تخلفه .

وبهذا كان الادب الصهيونى رديفا للسياسة الصـــهيونيـــة وتنظيرا لها . ان ما يقوله كتاب القصة والرواية الصهيونية هو ما ردده ولازال يردده الساسة الصهاينة. وبذلك تكون الساحة الادبية هى احدى الجبهات التى خاضت عليها الحركة الصهيونية معركتها ، وهى ساحة جديرة بالبحث والدراسة .

عارف عطاري

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد حماً لامعاً الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● وليم شكسبير .. هل كان ملكا ؟ ●● وسائل الوحدة العربية ومقاصدها



وليم شكسبير .. هل كان ملكا ؟

بقلم : حسين غانم

(ولد شيكسبير فى ابريل عام ١٥٦٤ ، وتوفى فى ابريل عام ١٦١٦ ، وفى ذكرى ميلاده وموته نكتب هذه الكلمة الطريفة تحية للشاعر العظيم فى قبره) .

ظلت المسرحيات الخالدة المنسوبة إلى وليم شيكسبير ، شغل العلماء والادباء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فى ناحية واحدة ، لأن العالم شغل بها منذ أن وجدت من نواحيها الاخرى .

فلم يكن شاغلهم هذا القرن إذن هو قوتها الخارقة ، فلا يختلف اثنان فى عبقرية كاتبها التى لا تجارى . والذى يقدم على بحثها يتهيبها قبل الاقدام على دراستها وفهمها . وشيكسبير علم : اى مادة قائمة بذاتها تدرس فى المدارس الانجليزية جميعا ، ابتدائيها وعاليها .

حتى فن (السينما) ، على ما بلغه من شاو عظيم فى الاخراج والحيل الخارقة للطبيعة نفسها . يتهيب الاقدام على هذه المسرحيات لاعدادها للسينما ، وقد اخرجت السينما روايتين من مسرحياته . هما : حلم ليلة صيف ، وروميو وجولييت ، وقد بلغت الاخيرة من الجودة والاتقان فى الاخراج حدا كبيراً . اما حلم نصف الليلة فقد سقطت فى الاخراج ، ولهذا ينظر فن السينما إلى اعمال شيكسبير خجلا !

وهاتان المسرحيتان ليستا من احسن اعمال شيكسبير ، فماذا تكون النتيجة لو اقدم فن السينما على اخراج بعض مسرحياته الممتازة مثل مكبث ، والملك لير ، وعطيل ، وسمبلين ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وكما تريد ؟

خذ مثلا كاتبا مسرحيا اخر ، هو برنارد شو ، فقد اعترف بنفسه ان فيلم (بجماليون) الماخوذ عن مسرحيته التى تحمل هذا الاسم ، بلغ درجة من النجاح لم تبلغها المسرحية على المسرح ..

وقل مثل هذا فى فيلم (ميجور باربارا) الماخوذ عن مسرحيته بهذا الاسم ، فقد نجح نجاحا كبيراً ..

وقد عادت (السينما) إلى اعمال شيكسبير فى محاولة اخرى ، هى مسرحية هنرى الخامس ، تخرجها بالالوان الطبيعية ، وهى محاولة جدية عساها تنجح .

● ●

اما ان اعمال شيكسبير شغلت العلماء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فلم يكن مبعثها قوتها وعظمتها ، ولكنه البحث فى حقيقة كاتبها ومنشئها ، وهل هو الممثل المغمور وليم شيكسبير ، ام هو شخص غيره ؟

وقد ظهرت كتب عديدة فى هذا الموضوع الى جانب المئات والمئات من الكتب التى تبحث هذه الاعمال وتشرحها وتحلل عبقرية شيكسبير .. وعلى الرغم من قيام هذه

الحرب التى تكاد تستنفذ جهود الشعوب جميعا ، افراداً وجماعات ، بمن فيهم من علمــاء وادباء وشعراء وصحافيين . فان الكتابة عن شيكسبير لم تنقطع عاما واحدا .. ومن الكتب التى ظهرت عنــــه اخيرا ـ فى نحو عام سابق من هذا التاريخ ـ كتاب للاستاذ هسكث بيرسون عن حياة شيكسبير ، وقد قال عنه برناردشو إنه عمل طيب لم يقرأ له نظيراً فى التراجم القديمة التى وصفت عن المترجم له العظيم ..

وكتاب ثان بقلم الدكتور تليارد عنوانه صورة عالم اليزابث ، واخر بعنوان طوالع فولستاف للاستاذ دوفر وليم .

والكتاب الثانى يختص شيكسبير بالقسم الأكبر منه ، فى كلامه عن تاثير الأدب فى العالم ، وعمل الكتاب الادباء والشعراء فى ســـــبيل الانســـــانية والحضارة .

اما الثالث فهو يدافع عن شيكسبير من الناحية الانسانية فيما صور به هنرى الرابع فى تخليه عن صديقه فولستاف ، ويدافع عن إنسانية شيكسبير المتطرفة وحبه للخير العميم ، ضد اراء موريس مورجان ..

وكتاب رابع بقلم إديث ستول عنوانه مفكرة شاعر ، وهو يبحث فى نظم شيكسبير وقوته على التعبير البعيد البليغ .

وكتاب خامس ، وهو موضع حديثنا فى هذا المقال ، وهو من الكتب الكثيرة التى شغلت الباحثين قرنا من الزمان فى تلك الناحية الواحدة ، والتى يتلخص بحث العلماء والأدباء فى محاولاتهم ومجادلاتهم منها فى : هل هذه المسرحيات كتبت بقلم شيكسبير أم بقلم فرنسيس بيكون وكيل الملكة اليزابث ، وظلت تنسب إلى شيكسبير مئات من السنين ؟

الكتاب الجديد

هذه المسالة حيرت عديدا من العلماء والأدباء ..

وهذا الكتاب اخر ما ظهر عن هذا الموضوع ، وقد وضعه الأديب الأمريكى المعروف إدوارد مورجان ، الذى توفر على دراسة شيكسبير مدة عشرين عاما متوالية وخرج من هذه الدراسة بنظرية جديدة ـ إذا



صحت ـ قلبت تاريخ شيكسبير ومسرحياته راسا على عقب ، بل غيرت كثيرا من تاريخ انجلترا المتوسط .

وقد سببت هذه النظرية الجديدة حيرة جديدة ، واستحدثت حدثا ضخما فى تاريخ الأدب الانجليزى . وقبل ان نتكلم عن هذا الكتاب ونناقشه يجب ان نضع امامنا ما قاله احد نقاد الانجليز اخيرا بصدد الكتب التى تخرجها المطبعة عن شكســـبير واعماله : (إن الكتب التى توضع عن شيكسبير شتيت مختلف ، فبعضها دون ، وبعضها جنون ، على ان غالبيتها تتحدث عن الناقد نفسه لا عن شيكسبير واعماله ، ولكنها جهود مشكورة على اية حال !) .

يدعى مورجان ان الاجابة الصحيحة لكل المحـــــاولات والمناظرات والبحوث السابقة تتلخص فيما يلى من الحقائق التى ضمنها كتابه ، ونحن ناتى على بعضها ونناقشه فيما يلى :

هل مات إدوارد السـادس صغيراً ؟

يقول مورجـــان إن فـــرنسيس كتب المسرحيات المعزوة إلى شيكسبير ، ولكن بيكون كان فى نفس الوقت ، هو ملك انجلترا إدوارد السادس الحقيقى !

فالمعروف فى تاريخ انجلترا ان هذا الملك المعجزة ، الخارق الذكاء ، مات فجاة وهو فتى فى السادسة عشرة من عمره . ولكن مورجان ، على ذلك ، يدعى ان ادوارد الصغير لم يمت فى هذه السن الباكرة ولكنه اختفى فجاة اختفاء غامضا مريبا .

الرسالة الخفية

يعلم الادباء الذين درسوا شيكسبير جيدا ، ان هناك دلائل وقرائن تثبت ان مؤلف روايات شيكسبير حاول ان يحمل اعماله رسالة خفية بين سطورها ..

ولكن هؤلاء الذين يعتقدون ان شيكسبير حاول ان يلمح الى انه بيكون نفســــه ، تجابههم هذه الحقيقة : لماذا كان بيكون ، وهو ذو الشخصية القوية الممتازة فى البلاد والقاضى الفاضل رفيع الشان والفيلسوف العظيم ، يحاول ، أو يرغب فى إخفاء حقيقة شخصيته ، ويمنح الخلود لممثل وضيع مجهول اسمه شيكسبير ؟

هذه المسالة المعقولة تهلهل ما نسجه هؤلاء الذين يقولون ان شيكسبير هو بيكون . فقد كان من السهل على بيكون ان يكشف عن نفسه كمؤلف لتلك المسرحيات وهـــو ما تقدم من تلك المكانة الادبية ، لو لم يكن فى المسالة سر اعظم من هذا وامر اشد خطرا .. يبدو لنا من النقطة التالية ..

هل كان الملك وكيل الملكة ؟

وهذا الراى المعقول يؤيد وجهة نظر مورجان تاييدا قويا .

فهو يعتقد ان فرنسيس بيكون كان اكثر من كاتب متحجب . لقد كان شخصية متحجبة ايضا ، فهو شخص فر من الجلوس على عرش خطير ، محاط بالدسائس والمؤامرات ، إذ لم يجرؤ على الكشف عن شخصيته الحقيقية خوفا من (نصف اخته) القوية ، إليزابث ، التى نصبت على عـرش انجلترا عام ١٥٥٨ ، حتى لا تقتله .

ويعتقد مورجان ان اليزابث عرفت ان وكيلها فى الملك ، فرنسيس بيكون ، كان ابن والدها نفسه ، هنرى الثامن ، من زوجته الثالثة جين سيمور ، وإنه سيكون ـ تبعا لذلك ـ خطرا شديدا على عرشها ، إذا طالب به .

ولكن ، هل هناك سبب معقول يجعلنا نعتقد ان هذا الغلام ، صار قادرا فيما بعد من سنيه المتاخرة ، على ان يكتب هذه

الاعمال التى نحلها وليم شيكسبير ؟

بالتاكيد هناك سبب معقول !

كان هذا الملك ، وهو طفل صغير ، مشهوراً فى البلاط انه طفل عجيب معجز ، مفرط فى الذكاء والقوة العقلية ، حتى سموه سليمان الثانى !

فقد كان وهو فى السابعة من عمره ، شاعرا ورساما ، وقد حذق اللغة اللاتينية حذقا تاما ..

ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية ! ويحتمل بل يرجح ، انه اتفق مع (نصف اخته) اى اخته من ابيه ، الملكة اليزابث ، على ان يكتب اعماله الأخرى تحت اسم فرنسيس بيكون .. ومن الناحية الثانية ، باستعماله اسم الممثل المجهول شيكسبير لمسرحياته .. ولا يكون بذلك خطرا على عرش (نصف اخته) حتى فى تلميحاته الخفية بين سطور كتاباته فماذا يكون دخل هذا الممثل المجهول المدعو شيكسبير فى عرش انجلترا ، وما هى علاقته به ؟

فى عـــام ١٥٥٣ ، اعلن ان إدوارد الصغير مات فتربعت على عرش انجلترا اللادى جين جراى ، ولكنها قتلت بعد تسعة ايام من حكمها . وعندئذ حكمت كارى تيودور مدة قصيرة ، ثم خلفتها اليزابث عام ١٥٥٨ .

وكانت هذه الفترة من التاريخ الانجليزى فترة دموية من دسائس ودماء .

وإذا كان إدوارد حيا ، ومختفيا ، كان لديه من الاسباب ما يجعله يخشى على حياته إذا ظهر وطالب العرش،فآثر السلامة الشخصية على العرش .

على أن اختفاءه المفاجىء ، وإن ظل سرا مكتوما ، جعل كثيرين من الناس يشكون فى انه مات حقا .

ويقول مورجان : إن الأوراق الرسمية فى سنة ١٥٩٩ تثبت ان عددا كبيراً من الناس القى عليهم القبض ، لانهم أعلنوا ان إدوارد السادس حى لم يمت . وكان حينئذ عمره يقرب من الستين عاما ..

وكثير من الكتاب والشعراء لمحوا فى كتاباتهم إلى ان الملك الصغير إدوارد لم يمت ، فهذا الشاعر (مايكل درايتون) يقول من قصيدة :

« إن الملك إدوارد السادس ، المقصور فى حياته القصيرة ، (مع الريبة فى هذا) ولكنه ترك المملكة » .

فى منزل بيكون

ويستمر مورجان فى كلامه فيقول ثانيا : إن هناك برهانا اخر ، وهو ان المنزل القديم ، الذى كان يعيش فيه بيكون ، فى سانت البان ، كان مكتوبا على باب الحجرة الخاصة التى ينام فيها اسماء جميع الملوك لانجلترا من وليم الفاتح الى جيمس الاول الذى ارتقى العرش بعد الملكة اليزابث . وبين اسمى اليزابث وجيمس يوجد اسم اخر يكاد يكون مطموسا ولكنه يبـــدأ بحرف... E وهو اول حرف من اسم إدوارد.

ومن المحتمل جداً ان يكون بيكون فى نزوة تهكمية ساخرة كتب اسم إدوارد هناك وهو يعنى به نفسه !

طغراء

وهنا يذكر مورجان برهانا قويا على صدق نظريته ، ويبدو معقولا إلى حد بعيد .. يدلل به على ان شيكسبير وبيكون لم يكونا غير شخص واحد هو إدوارد السادس ..

وهذا هو البرهان :

فى بعض مسرحيات شيكسبير توجد هذه الطغراء ..

EVI

ER

ET

فالاولى تعنى الحرف الاول من إدوارد ، والحرفان بجانبها يعنيان السادس .

والثانية تعنى إدوارد ركس .

والثالثة تعنى إدوارد تيودور .

وهذه الطغراء نفسها وجدت بالذات فى بعض اعمال فرنسيس بيكون .

القرد فى اللحية

ويلفت مورجان انظارنا إلى صورة زيتية لفرنسيس بيكون ، وجدت فى كتابه المعروف :

The Mirror of State and Eloquence

فاذا قلبت هذا الرسم وجعلت راسه إلى اسفل ، وجدت فى لحية الرسم الغريبة شكلا لوجه قرد !

وتذكر سجلات التاريخ ان إدوارد السادس كان مغرما بقرد يعتز به إلى درجة بعيدة ، وكان هذا القرد يجلس دائما على كتف نديم هذا الملك .. كهذا الرسم :



نقش فى الخشب

ودليل اخر ...

فقد وجد كتاب اسمه Minerva Brittanica بقلم مؤلف مجهول باسم هنرى بتشام ، ويظهر فى هذا الكتاب رسم عليه نقش فى الخشب يحمل هاتين الكلمتين اللاتينيتين Mente Videbor ومعناهما : سأكون مرئيا فى العقول ، ولكن الغريب فى أمر هذا النقش ان نقطة وضعت وضعا شاذا بين الكلمتين ، لان هذه النقط لا توضع فى اللغات الافرنجية إلا فى اخر الجمل ، ولكنها موضوعة بين الكلمتين ، فتجعل من اخر الكلمة الاولى ، واول الكلمة الثانية هذه الحروف : TE. VI

وهذه هى الحروف الاولى من اسم : تيودور إدوارد السادس ، كما فى هذا الرسم ، والكاتب يخفى نفسه خلف ستار !

حسين غنام

١٩٤٤

وسائل الوحدة العربية ومقاصدها



بقلم : الدكتور عبد الوهاب عزام

● ● الكاتب العربى الكبير عبد الوهاب عزام شغل مناصب هامة فكان عميداً لكلية الآداب فى جامعة القاهرة وسفيراً لمصر فى باكستان والسعودية ، وكان من اسبق دعاة الوحدة العربية فى مصر ، وقد كتب هذا المقال الممتاز منذ اربعين سنة ● ●

للعرب موطن واحد او مواطن متصلة مترامية بين هضب إيران وبحر الظلمات ، وسعة هذا الوطن لم توهن الصلات بين ارجائه المتنائية ، فكانت متعاونة متواصلة على حين لم يكن للناس من وسـائل الاتصال وطريق التعارف ما كشفت لهم الحضارة الحديثة ، وقد خضعت هذه البلاد كلها حينا ، ومعظم البلاد الاسلامية الأخرى لدولة واحدة ، الكلمة العليا فيها لرجل واحد ، يشرف على هذه الاقطـار الواسعة ويدبر امورها العليا . وكانما زويت للعرب جوانب الارض فتدانت اطرافها او كانها كانت مصورة على خريطة ، كما قلت فى الخليفة الوليد :

دانت لسطوته البلدان واجتمعت
فى همة العـرب اقطار وامصـار
كان ما بين شـيخون وقرطبـة
على الخريطـة للرائين اشـبار

فكيف وقد قرب العلم والصناعة ما بين اقطار العالم كله ، وصار ما بين مشرق الارض ومغربها ايسر على المسافر و اقرب مما كان قديما بين ارجاء القطر الواحد . كيف وقد صار الانسان يسمع الانسـان يتكلم فى اقصى الارض ، ويعرف الاحداث التى تقع فى أبعد الممالك اسرع مما كان القدماء يعرفون احداث المدينة الواحدة .

لقد طويت المسافات والاوقات ، وتدانت الأبعاد والآماد . فما سعة الوطن العربى بحائلة دون اتصال اقطاره وتعارفها وتعاونها وتاخيها .

ولهذا الموطن الشاسع لغة وادب وتاريخ وثقافة ، كانت وما تزال على تطاول العصور وتنائي الديار ، واحدة او كالواحدة . فاما اللغة فقد بقيت لغة القرآن شائعة فى هذه الاقطار مسيطرة عليها ، فنشا ما نشا من اللغات المحلية او العامية ، ودامت اللغة العربية ملتقى عقولهم وعواطفهم ، وترجمان آمالهم وآلامهم ، ووسيلة تفاهمهم وتعارفهم . فما يلتقى عربى بعربى مهما تباعدت ديارهما إلا ارتفعا قليـلا عن لغتيهما المحليتين إلى العربية الجامعة الواسعة فتحدثا بها ، وتعارفا بما علمتهما العربية من قبل من تـاريخ وادب ، وما طبعتهما عليه من عواطف وآداب ، وكانهما اخوان فرقت بينهما الحادثات حينا ثم اجتمعا .

وإذا تحدثا فى التاريخ رجعا الى أواصر جامعة ، ومفاخر مشتركة . فاذا ذكرا خليفة او ملكا او اديبا او شاعرا او كاتبا او متكلما او محدثا او مفسرا او فقيها او فيلسوفا ذكرا رجالا ليس احدهما اولى بهم من الآخر ، وسمع كل من اخيه ما يعرفه او ما يسره ان يعرفه من تاريخه ، وإذا تحدثا فى الحاضر فبينهما على العـلات عواطف مؤلفة ، وثقافة مقربة ، اجتمع على تاليفها الماضى والحاضر . وكثيرا مالقينا العرب من غير ديارنا فى اوطان عربية وغير عربية فما تناكرت الوجوه ، ولا تقاطعت الالسن ، ولا تباعدت العواطف ، ولا اختلفت المعارف إلا بمقدار ما تختلف معارف رجل عن اخيه فى المملكة الواحدة والبلد الواحد .

هذا ولم يعمل العرب اليوم لنشر ثقافتهم بينهم ، وإشاعة ادبهم فيهم ، والتقريب بين عقولهم وقلوبهم ، وإنما هو ميراث التاريخ الذى لم تقو الخطوب على تفريقه ، ورباط الماضى الذى لم تجرؤ العصور على تمزيقه فكيف إذا مهدت السبل واتخذت الوسائل لتعريف العرب بثقافتهم الموروثة وإمدادهم بثقافة جديدة مشتقة من تاريخهم واوطانهم ، مستمدة من كل ما اخرجته عقول البشر فى الشرق والغرب .

كيف اذا اجتمع علماء العرب على نشر ثقافتهم القديمة مهذبة مرتبة موضحة ميسرة ، واتفقوا على اشاعة ثقافة حديثة ملائمة لبيئاتهم واحوالهم ، ثم اتخذوا فى نشر هذه وتلك وسائل النشر الحديثة .

ان الكتاب ليؤلف اليوم فى القاهرة أو دمشق فيقرا فى بغداد بعد قليل ويقرا فى المغرب بعد حين على كثرة ما وضع من الفواصل التى اريد بها قطع المغرب عن سائر بلاد العرب . فكيف إذا نظمت الحكومات والجماعات وسائل التعليم والنشر ، ورفعت العوائق وازالت العقبات ، وتوسلت بما يعرف العالم اليـوم من وسائل .

إن العالم العربى ليصير إذن بلداً واحداً فى ثقافته وتربيته إلا ما تقضى به البيئة من اختلاف بين الاقطار وبين ارجاء القطر الواحد غير مضر بالاواصر ولا مخل بالثقافة المشتركة .

والحق اننا حين نتحدث فى التقريب بين بلاد العرب او التاليف بينها لا نحاول ان نخلق او نضع اواصر وروابط ولا ان

نحتال بالاوهام الى مقاصدنا ولكنها الحقائق الماثلة ، والاواصر القائمة التى غفلنا عنها حينا فما وهنت ، وحاول الزمان إنكارها فما خفيت ، وعالجتها الحادثات لتزيلها فما قدرت . إنها خلق الله ومن يغير على الله خلقه ، وإنها سنة الله ومن يبدل على الله سنته . وإنها الحق الذى لا يملك الباطل له تحويلا ، والتاريخ الـــذى لا تستطيع الخدع فيه تاويلا .

بين البلاد العربية من الروابط والاواصر والعواطف ما بين كل امة موحدة قوية ، وفيها من الآمال والمقاصد ما لكل امة عزيزة طامحة ، ولكن ينقصها التهذيب والتدبير والتنظيم والتوضيح . ولهذه كلها وسائلها وهى يسيرة إن صحت عقولنا ونشطت ايدينا .

لقد دعا العرب منذ سنوات إلى الاحتفال بذكرى ابى الطيب المتنبى . فاجتمع ادباء من الاقطار العربية فى دمشق ،وتجـاوبت البلاد العربية كلها بهذه الدعوة ، واحتفلت بهذه الذكرى ، فلم يخل قطر بين دجلة والمحيط الاطلسى من احتفال بالمتنبى وكتابة عنه ، وإعراب عن عواطف العرب بشعره . هذا ولم تكن الوسائل الكافية قد اتخذت للاحتفال بالشاعر الكبير ، ولكنها كانت دعوة صـــادفت نفوسا متعارفة ، وقلوبا متالفة قد غذاها ادب واحد وايدها تاريخ واحد ، والبلاد العربية تدعو اليوم إلى الاحتفال بابى العلاء المعرى هذا العام. وكل ادباء العرب سواء فى الاهتمام به ، والدعوة إلى إعظامه . وسيكون احتفال المعرى ، مراة لوحدة الثقافة فى البـــلاد العربية .

هذه الاواصر والوشائج الطبيعيـــــة والتاريخية التى تربط بين بلاد العـــرب لا تعمل عملها إلا إذا عنينا بها فاحكمناها ، وازلنا العوائق من طرقها ، ووجهناها إلى الغاية المرجوة واحسنا الانتفاع بها . وإلا بقيت كقوانين الطبيعة التى لا يهتدى اليها او المعادن الغنية التى لا يستخرج ما فيها، او الاشجار العظيمة التى لا تجنى ثمراتها او الانهار الزاخرة التى لا يستقى ماؤها .

إن النيل ودجلة والفرات وبردى وانهارا اخرى صغيرة تجرى فى بلاد العرب ولكنها لا تسقيها حتى يسيطر الانسان على مجاريها ويحوز مياهها ويسوقها الى الارض بالسدود والقنوات . وكذلكم هذه الافكار التى فى عقولنا والعواطف التى فى قلوبنا والآمال التى فى نفوسنا ، والقوى التى فى ايدينا . وكل ما عندنا وما نستحدث من علم وادب وخلق ، كلها تحتاج الى العناية والرعاية والتوجيه والاستثمار . فنحن فى حاجة الى مؤتمرات للائتمار بيننا فى التعليم والتربية والاقتصاد وشؤون كثيرة ، ثم اتخاذ الوسائل التى تؤدى بنا الى ما نؤمل من اتفاق وتعاون على بناء حضارتنا على قواعد وطيدة ، والسير إلى مقاصدنا على خطط سديدة . على ان ناخذ للامور اهبتها ونعد لها عدتها ، ونعرف المقاصد ونخط الوسائل على بينة من امرنا ، وبصر بحاجاتنا ، واعتداد بانفسنا فنخلق من بيئتنا وتاريخنا واحوالنا واخلاقنا حضارة فيها من تاريخنا سمات ، وعليها من ايدينا علامات ، فليس كرامة ان تقلد ولا تبتدع ، وليس حياة ان تستعير من غيرك لباسه ، وتستجديه طعامه ، وتاخذ منه حليتك وزينتك ثم تزعم انك نظيره ، ولكن الحياة فكر ونَصَب، وعمل وداب، وخلق واختراع واعتداد بالنفس واعتزاز بها ، وان تشيد بناءك بيدك لنفسك ثم للناس .

إنما الحياة ان يكون للامة على الارض اثارها ، وسماتها وخصائصها . ولا حرج من بعد ان تاخذ من الامم وتعطى ، ثم تعاون البشر كافة على حضارة إنسانية جامعة .

وبعد فعلى الذين يهيمنون على شؤون العرب من رؤساء وزعماء وعلماء وادباء ان يخطوا للاخلاق خططها كما يخطون للمعارف والصناعات وغيرها . فما يرتفع لامة بناء على غير قواعد من اخلاق قوية صحيحة فاضلة . ولا يستقيم لها فى الحياة منهاج إلا على هدى الفضائل والمكارم . إننا وقد اخذتنا الفتن والمحن ، والقت علينا الحوادث اعباء باهظة لا نستطيع ان نثبت ونجد إلا بعدد من الاخلاق واسلحة من الفضائل . ويخشى ان نفتن عن انفسنا فنضل طريقنا ، ونفقد سجايانا ثم لا يردنا إليها الجهاد الطويل ، والجد الدائم والندم الضائع وقديما قال شاعرنا العربى :

ما تنســـج الايدى يبيد وإنمـــا
يبقى لنـــا مـــا تنســـج الاخـــلاق

وحديثا قال شاعرنا شوقى :

وإنمـــا الامم الاخـــلاق ما بقيت
فان هُمُ ذهبت اخـــلاقهم ذهبـــوا

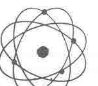
فليحسن سادتنا وقادتنا القيام على اخلاق هذه الامة ، وليحسن الشعراء والكتاب تربيتها وتغذيتها وليجنبونا كل فكرة سقيمة ، وكل معنى عليل ، ليجنبونا الالفاظ الرخوة والمعانى الدنيئة ، فلا يهبطوا بشبابنا إلى الدرك الاسفل حيث تموت الهمم ، وتخمد العزائم ، وليسموا بهم الى المعالى التى تطمح إليها النفوس الابية القوية الطماحة .

امامنا تجاربنا وتجارب الامم ، فلنعتبر ونتعظ ، فالسعيد من وعظته الحوداث واخذ من الايام العبر ، واهتدى بهدى التاريخ ، واستمع لنصائح الزمان . إن الزمان يسرع ، والحوادث تتوالى ، والاعمار تمضى ، والتاريخ يسجل والاجيال تقرا ، فليسرع بنا التفكير والتدبير ولتحكم الاقوال والافعال ، لنساير الزمان بكفايته من الاهبة ، ونلقى التاريخ بملئه من العمل الصالح والمجد الباقى .

وبعد فالعرب اليوم . على علاتهم ، فيهم من العقول والاخلاق وبينهم من الروابط والعواطف ، ولهم من التاريخ والمكانة ما يؤلف امـــة قوية رشـــيدة عزيزة كريمة فاضلة وليس لمسير القافلة إلا ان يبين الطريق وتصلصل الاجراس .

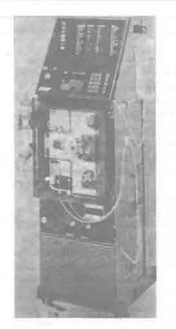
وليست دعوة العرب إلا الى الكرامة والعزة وإلى الخير والحق والوئام والسلام وليست نيتهم إلا الخير للناس جميعا . لا يريدون إلا ان يتخذوا مكانهم بين الامم ، ويؤدوا نصيبهم فى الحضارة الانسانية ، ويوفوا دينهم للتاريخ . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل انصار حق ودعاة اخوة وبناة مدنية وائمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون . ليست دعوة العرب عدوانا على احد ولا عداء لاحد ، وإنما هى دعوة الامة الكريمة العزيزة العادلة التى تعرف ما يجب عليها لنفسها وللناس ، وتحرص على ان تحمل ما هى اهل له من الاعباء ، وتشيد ما هى جديرة به من المكارم ، وتاخذ حقوقها وتؤدى واجباتها على سنن بينة من العدل والاحسان ، وخطة قويمة من الهدى والرشد والله المسؤول ان يهيىء لها من كل امر رشدا .

عبد الوهاب عزام
١٩٤٤



تقديم : لبنى الريدي

جهاز إلكتروني للكلى الصناعية



يقدم الكمبيوتر خدمة جديدة للطب ولمن يعانون من قصور فى وظائف الكلى وذلك فى صورة جهاز كلى صناعية جديد مزود بميكروكمبيوتر وشاشة تليفزيونية ولوحة ازرار للتحكم الآلى فى جميع عمليات تخليص الدم من الشوائب وهو يمثل احدث تطور فى مجال تنقية الدم .

حينما تحتاج اجهزة الكلى الصناعية التقليدية الى عمليات مراقبة وضبط مستمرة خلال فترة العلاج التى تستغرق ما بين ثلاث واربع ساعات بهدف تحقيق التوازن السليم للتركيب الكيمائى للدم فان الجهاز الجديد يستطيع مراقبة عمله ذاتيا اثناء التشغيل بحيث يقوم اتوماتيكيا بعمليات الضبط الدورية كما يراقب ايضا حالة المريض من نبض وضغط وحرارة .. الخ .

ومن ثم يمكن للمرضى استخدامه فى المنزل وبدون الحاجة الى مساعدة طبية .

وهو يتميز بدقة اكبر من الاجهزة التقليدية ويمكن توصيل جهاز الكلى الصناعية الذى يعمل بالكمبيوتر بخط الهاتف لنقل القراءات التى يسجلها الى المركز الصحى او المستشفى كما يستطيع الطبيب التحكم فى عملية التكرير من بعد عند الحاجة .

وبتوصيل جهاز الكلى الصناعية بطباعة الكترونية يتم تسجيل القرارات المختلفة اتوماتيكيا اثناء عملية التكرير .

ولا يحتاج المريض الى ضبط او تجهيز مسبق للكلى الصناعية فهى تضم ذاكرة الكترونية مسجل فيها التعليمات اللازمة لتشغيل الجهاز بحيث لا يبقى امام المريض سوى الضغط على زرار التشغيل .

الحفارة الأفقية

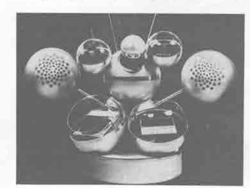


تستطيع هذه الحفارة الافقية مد الكابلات وشبكات انابيب المياه والصرف دون حاجة الى حفر الطريق او تعطيل المرور فى الشوارع . كما يمكنها مد هذه الكابلات والانابيب تحت اشرطة السكك الحديدية او المناطق السكنية او المطارات او حتى المجارى النهرية . إذ يكفى حفر حفرة صغيرة على العمق المطلوب عند نقطة بداية مد الشبكة واخرى عند نهايتها بحيث يتم ادخال الانابيب او الكابلات من الحفرة الأولى بينما تمثل الأخرى نهاية الشبكة الممتدة تحت الأرض .

وتتقدم هذه الحفارة المبتكرة فى باطن الأرض مدفوعة بروافع هيدروليكية قوية للغاية يتراوح ضغطها بين عشرين طنا واربعين طنا . وتستطيع هذه الحفارة بالرغم من صغر حجمها ـ طولها ۱٫۳۰ متر وعرضها ۱٫۲۰ متر العمل فى جميع انواع التربة سواء كانت جيرية او طينية او حتى أراضى المستنقعات .

وهى تتميز بسرعة انجاز كبيرة فلا يستغرق الحفر لعمق ١١ مترا سوى ٤٤ دقيقة اما مد الكابلات او الانابيب فلا يتطلب سوى اثنين من العمال وهو يستغرق ساعة واحدة فقط تكون خلالها قد قامت بحفر ممر ارضى قطره ٢٥ سنتيمترا .

زحل وأجهزة الصوتيات



قدمت الصناعة الفرنسية فى معرض اجهزة الصوتيات الذى اقيم مؤخرا فى باريس مجموعة مميزة من اجهزة « الاى ـ فاى » . فهذا الجهاز يحمل اسم « زحل » ويبدو كانه من عالم الفضاء عبارة عن « ساوند سيستم » يتم تشغيله بالتصفيق له فبمجرد ان يلتقط هذه الاشارة الصوتية يبدا الجهاز فى نشر جميع مكوناته من هوائى ومكبرات صوت وسماعات بحيث تصبح مستعدة للعمل .

ويضم « زحل » بالاضافة الى اجهزة الصوتيات التقليدية من مسجل ومذياع وجهاز تشغيل الاسطوانات هاتف مزود بذاكرة الكترونية لتسجيل المكالمات وهو يتميز بنقاء صوت عالى وترمومتر حرارة وولاعة سجائر . واستخدم فى تصنيع هذا الجهاز المتعدد المنافع خامات بلاستيكية جديدة تجمع بين الشفافية ومقاومة الكسر

ولكن لا يتم تصنيع « زحل » الا بالطلب ولذلك فان ثمنه يصل الى ٣١ الف دولار ! !

كما ضم المعرض هذا الجهاز الستريو الذى يتخذ شكل سماعة الهاتف الثابتة راسيا على قاعدة معدنية وتم وضع مكبرات الصوت محل بوق وسماعة الهاتف بينما ضم الذراع جهاز التسجيل والمذياع .

الهاتف المطيع



انه هاتف ينفذ اوامر صاحبه دون الحاجة الى تدوير القرص او حتى الضغط على الازرار فهو يعمل بالاوامر الشفوية وذلك بفضل ما يضمه من دوائر التعرف على الصوت .

وتتم برمجة هذا الهاتف المتطور بتلاوة كلمات كودية تمثل ١٦ رقما هاتفيا بحيث يختزن الهاتف فى ذاكرته الرقم والكود المقابل له . وعندما ينطق صاحبه بالكلمة الكودية يقوم الهـــاتف بطلب الـــرقم اتوماتيكيا . كما يضم الجهاز لوحة ازرار تقليدية لكى يسمح للآخرين باستعماله لانه لا ينفذ سوى اوامر صاحبه فالدوائر الالكترونية المزود بها لا تتعرف الا على صوت صاحب الهاتف فقط .

ويوجد طراز آخر من هذا الهاتف المطيع يستجيب لمائة امر شفوى ولقد حرص مصممه على اخفاء لوحة الازرار وراء غطاء مفصلى .

الأشعة تحت الحمراء وأجهزة الاتصال



ابتكر الباحثون الامريكيون نظـــــام اتصالات لاسلكية يعمل بالاشعة تحت الحمراء بهدف استخدامه كوسيلة اتصال بين رواد الفضاء وبين كابينة التحكم فى المكوك او المركبات الفضائية وذلك اثناء دوران الرواد احرارا فى الفضاء الخارجى .

ويتميز النظام الجديد بصغر حجمه وخفة وزنه بحيث يحمله رائد الفضاء على كتفه مثل السبلايت . كما ان استخدام شعاع ضوئى فى تشغيل جهاز الاتصال يحول دون امكانية التجسس بواسطة اجهزة التصنت الالكترونية او تشويش الارسال .

ويقوم هذا الجهاز باستخدام صمامات ارسال واستقبال للاشعة تحت الحمراء للاتصال بمجموعة من دوائر الارسال والاستقبال المثبتة على امتداد المركبة الفضائية . ويستطيع الشعاع الضوئى حمل رسائل صوتيه مكودة رقميا بين كابينة المكوك والاجهزة اللاسلكية فى المحطات الارضية . ولكن استخدام نظام الاتصالات الذى يعمل بالاشعة تحت الحمراء ليس مقصورا على مجال الفضاء فان له العديد من التطبيقات على كوكب الارض . ولقد اعتمد تصميمه على تقنيات متطورة فى مجال تكنولوجيا الليزر وانصـــــاف الموصلات .



عادل امام يهرب من السجن فى عربة نقل اللحوم

الممثلة الفرنسية - كاترين دينيف - بطلة فيلم « المتعة » الذى يدور فى كواليس قصر الاليزيه بباريس

سينما

أفلام.. أمام المحاكم

بقلم رءوف توفيق

شهدت السينما المصرية ، فى الاسابيع الاخيرة ، تطوراً جديداً .. فقد انتقلت اخبار الافلام الى الصفحات الاولى من الجرائد المصرية .. وافسحت صفحات الحوادث والقضايا ، مساحات بارزة لتتبع آخر اخبار القضايا المرفوعة على بعض الافلام !!

الزوجة « يسرا » والشقيقة « اسعاد يونس » فى فيلم « الافوكاتو »

وهذه الظاهرة اخذت تتكثف بشكل حاد ومثير للانتباه .

ففى فترة واحدة .. كانت هناك خمسة افلام منظورة امام القضاء المصرى .. فبخلاف القضايا المرفوعة ، من اصحاب فيلمى « درب الهوى » و « خمسة باب » ، للاعتراض على قرار وزير الثقافة المصرى بمصادرتهما ومنع تداولهما فى السوق ..



لقطة تجمع بين « بول نيومان » و « سالى فيلد » من فيلم « غياب ماليس » والذى يتعرض لدور الصحافة فى تحطيم احد الابرياء

كانت هناك ايضا قضايا مرفوعة ضد افلام : « المتسول » و « الفرن » و « الافوكاتو » .

ففى فيلم « المتسول » .. احتج عمدة احدى القرى المصرية ، من ان « عادل امام » بطل الفيلم ، يسخر من اسم قريته .. ورفع العمدة قضية ضد ممثل ومخرج ومنتج الفيلم .. وشغلت هذه القضية بعض اهتمام الرای العام لطرافتها .. ثم جاء حكم المحكمة برفض الدعوى وبراءة الفيلم من التشهير باسم القرية .

واكدت المحكمة فى حكم مستنير « انه لا يمكن الحجر على حرية الكاتب فى التعبير عن رأيه ، سواء فى القصة الواردة فى الفيلم ، او المقال ، او الشعر .. ولولا حرية التعبير لما تقدم الانسان وبلغ اعلى درجات العلم والتقدم » .

ولكن استمرارا للاستفادة من الضجة المثارة حول الفيلم ، قرر منتجه وكاتبه « سمير عبد العظيم » ان يرفع دعوى ضد هذا العمدة ، مطالبا بالتعويض للاساءة الى سمعة الفيلم !

وما كادت هذه القضية تنسحب من صفحات الجرائد .. حتى ظهر من جديد خبر يقول ان احـــد المواطنين فى حى « الشرابية » بالقاهرة ، ارسل انذارا لمنتج فيلم « المتسول » يطالبه بوقف عرض الفيلم .. لان الفيلم يتنافى مع تعاليم الدين .

وفى فيلم « الفرن » .. اجتمع بعض أصحاب الأفران ، للاحتجاج ضد الصورة التى ظهر بها الممثل « عادل ادهم » فى الفيلم .. وطالبوا بتعويض كبير عن هــذا التشهير ، بالاضافة الى منع الفيلم !

اربع قضايا وفيلم واحـــد

ولكن اكثر القضايا التى شغلت الوسط الفنى والثقافى فى مصر .. تلك المتعلقة بفيلم « الافوكاتو » الذى كتبه واخرجـه « رافت الميهى » ، ولعب بطولته « عادل امام » .

فقد تجمع عدد كبير من المحـــامين يطالبون بمنع عرض الفيلم .. بدعوى ان الفيلم يسىء الى مهنة المحاماة ، والى القضاء المصرى .

وبلغ عدد القضايا المرفوعة من المحامين ضد هذا الفيلم .. اربع قضايا .. واحدة



أفلام.. أمام المحاكم

الممثل « ال باتشينو » على درج احد المحاكم الامريكية فى فيلم « العدالة للجميع »

منها فى اسوان حيث حكمت المحكمة بالفعل بمنع عرض الفيلم فى دور العرض باسوان .. اما القضايا الثلاث الاخرى فقد نظرت امام ثلاث دوائر مختلفة بمدينة القاهرة .

وفى احدى جلسات المحكمة بمحكمة جنح الازبكية ، استمرت الجلسة تسع ساعات كاملة ، شاهدت فيها هيئة المحكمة شريطا سينمائيا لفيلم « الافوكاتو » فى قاعة سينما تابعة للمعهد العالى للسينما .. ثم شاهدت شريط « فيديو » يجمع بعض المشاهد التى اعترض عليها المحامون ، بدعوى انها تسىء لمهنة المحاماة .. وقررت المحكمة سماع شهادة بعض اساتذة معهد السينما .. وايضا شهادة بعض الكتاب والنقاد والصحفيين الذين تداولوا بمقالاتهم .. رايهم حول الفيلم .

وقد اكتسبت القضايا المرفوعة ضد فيلم « الافوكاتو » اهمية خاصة .. لانها صادرة من محامين اصحاب مهنة تدافع عن الحق وحرية التعبير .. وكان هذا الموقف بالذات هو الذى اثار تعليقات عدد كبير من الكتاب والصحفيين .

والمثير للتامل .. انه فى مقابل عدد المحامين الذين احتجوا على صورة المحامى فى الفيلم .. كان هناك عدد آخر من المحامين الذين انضموا للشهادة والدفاع عن الفيلم ، من زاوية حق الفن فى التعبير .

ماذا يقول « الافوكاتو » ؟

وفيلم « الافوكاتو » يقدم صورة خيالية ساخرة ، لمحام بسيط يهوى التصدى للقضايا الكبيرة والتى يكون فيها المتهمون من الخارجين على القانون .. ويستند فى دفاعه على حقائق التعامل فى الحياة اليومية .. وحيث كاد ان يصبح الخطا هو القاعدة التى يتحرك من خلالها كبار اصحاب النفوذ .. وبالتالى اصبح ما يترتب على الخطا ، هو عرف سائد لا يستحق العقاب !

ويقدم الفيلم صورة كاريكاتيرية ساخرة لحياة هذا المحامى مع زوجته المدرسة ، والتى لا يشغلها شىء سوى ارضاء زوجها .. ثم هناك هذه الشقيقة وخطيبها ومشاكل البحث عن شقة لاتمام الزواج .

وفى المقابل يقدم الفيلم بنفس السخرية الحياة داخل السجن حيث هناك حجرات خاصة لكبار المسجونين (احدهم مليونير ويعمل فى تهريب المخدرات .. والثانى احد مراكز القوى فى الحياة السياسية السابقة) وكلاهما حول حجرته الى حياة كاملة مزودة بكل وسائل الترف ، مستخدما حارس السجن فى تحقيق رغباتهما !!

وينزل هذا المحامى ضيفا على السجن .. محكوما عليه بتهمة الاساءة الى هيئة المحكمة التى كان يلقى امامها دفاعه .

وفى داخل السجن وخارجه .. تتشابك الأحداث لتنتهى بتحالف الفساد الذى يمثله هذا المهرب المليونير ، وذلك السياسى القديم .. ضد هذا المحامى .

ولاشك ان مؤلف الفيلم ومخرجه « رأفت الميهى » استخدم كل براعته فى اختراع المواقف الخيالية الساخرة ، ليؤكد على رايه الذى انتهت به احداث الفيلم .. من ان الحيتان الكبيرة فى المجتمع لا يهمها سوى مصلحتها الشخصية ، وانها فى سبيل ذلك قد تتحالف مع الشيطان للبقاء على قيد الحياة ، والمواصلة رغباتها الجهنمية فى الثراء والسلطة والنفوذ !!

واستطاع الفنان « عادل امام » بكل موهبته فى الاضحاك .. ان يحمل عبء الفيلم على كتفيه .. وان كان العيب الواضح فى سيناريو الفيلم انه بدا بداية مشجعة ومثيرة للخيال والدهشة ، ولكن ما ان اقترب الفيلم من ثلثه الاخير حتى تفرعت الاحداث وضعفت خيوط السيناريو حتى كاد الفيلم يفقد بريقه المتميز .

ولكن .. مهما كانت العيوب الفنية فى الفيلم .. الا ان السؤال المطروح لا يتعلق بهذه النقاط .. ولكن يدور اساسا ، لماذا غضب بعض المحامين من الفيلم ؟ ولماذا تحمسوا للجوء الى القضاء لمنع الفيلم بحجة انه يشوه صورة المحامين ؟

حق الفنان فى التعبير

لا نريد ان نتعرض لصلب القضية المطروحة امام القضاء .. ولكننا فقط نناقش حرية الفنان فى التعبير ، وحقه فى استخدام الشكل الفنى الذى يراه مناسبا لتوصيل الفكرة التى يريد ان يقولها للجمهور .

لقد لجا فيلم « الافوكاتو » الى الخيال الكاريكاتيرى فى التضخيم والمبالغة .. بغرض الخروج عن القوالب التقليدية فى سرد الحكاية .

فليس هذا السجن الذى قدمه الفيلم سجنا حقيقيا .. وليس حارس السجن ، حارسا حقيقيا .. وليست الزوجة المدرسة ، نموذجا مالوفا .. وليس هذا المحامى ، شخصا بعينه .. وانما الصورة كلها اشبه بشخصيات ومعالم مكان تخيلها رسام كاريكاتير .. فاختصر بعض الملامح ، وركز على البعض الآخر .. واستغل نقط الضعف فى الشخصية ، فابرزها بشكل مبالغ فيه حتى يلفت إليها الانتباه .. وهكذا يفعل كل رسامى الكاريكاتير فى لوحاتهم على صفحات الجرائد والمجلات ..

فلماذا يصبح من حق رسام الكاريكاتير ، ان يحرك خطوطه كما يشاء .. ولا يصبح هذا من حق فنان السينما ؟!

الحساسية العاطفية

ان الاجابة على كل هذه التساؤلات .. تنحصر فى جملة واحدة هى .. الحساسية العاطفية .



الممثل « بيتر فينش » اوسكار احسن ممثل عن فيلم « شبكة التليفزيون »

عادل امام فى لقطة من فيلم المتسول

جورج سكوت .. فى فيلم المستشفى

ولطالما عانينا فى مجتمعنا العربى من هذه الحساسية ، على كل المستويات .. ابتداء من السياسة ، وحتى لغة التحاور اليومى .

والفن لا يستطيع التعامل داخل محاذير الحساسية .. انه يصبح فنا ناقصا ومشلولا ..

ولهذا لجا كثير من الكتاب الى استخدام الرموز فى كتاباتهم .. وترك مهمة فك الرموز الى اجتهاد وخيال القارىء .. فهذا الشرطى يرمز الى السلطة .. وهذه المراة ترمز الى الوطن .. وهذا الشخص الابكم يرمز الى المثقفين .. وهذا الطفل يرمز الى النقاء والبراءة .. الخ ..

ولعبة الرموز قد يستخدمها بعض الكتاب بذكاء ومهارة وفن .. ولكن يستخدمها البعض الآخر ، كنوع من المعادلات الحسابية المرهقة والمعقدة ، والتى تلقى بالقارىء فى دوامة بلا قرار !!

واذا كانت المباشرة فى الفن ، هى اسوا انواع الفن ..فان الغرق فى دوامة الرموز تفسد متعة التواصل بين الكاتب وقرائه !

ومن هنا قد يلجا الكاتب الى اسلوب اخر .. وهو اسلوب الخيال ليجسد شخصياته خارج حدود الزمان والمكان .

وهى كلها العاب فنية ، واساليب معروفة فى المجتمعات التى تعانى من تعدد اجهزة الرقابة والمساءلة .

بعيدا عن الخوف

والفن لا يمكن ان يزدهر .. الا فى جو من الحرية .

حينئذ تصبح قضية الفنان ، كيف يعرض موضوعه بشكل جديد ومبتكر .. بعد ان انتهت بالنسبة له مسالة الخوف من مطاردة مسئول . وتفسيرات متعصب .. وحسابات اقليمى او مهنى ينظر للامور نظرة ضيقه متشنجة !

ولهذا ايضا نتامل بدهشة لكل صور الفن التى تاتينا من الخارج .. ونكاد نتساءل بفضول .. كيف سمحوا لهم بان يقولوا هذا ؟ !

وامامنا نماذج كثيرة من السينما العالمية .. بهرت مشاهديها .. واستحقت الجوائز .. لانها قامت اساسا على الحرية .. الحرية فى الفكر والتعبير ..

فمثلا فى السينما الامريكية .. نتذكر العديد من الافلام التى كشفت وفضحت ما يدور فى دهاليز قمة النظام الحــاكم .. بدءاً من رئيس الجمهورية الى اقــوى المؤسسات العسكرية واجهزة المخابرات الامريكية ..

ومن منا ينسى فيلم « كل رجال الرئيس » الذى يجسد كل تفاصيل فضيحة ووترجيت بالوقائع والاسماء كاملة ..

ومن ينسى فيلم «ثلاثة ايام عصيبة» الذى يدين اجهزة المخابرات الامريكية بوضوح وبدون لف او دوران .. حينما قدم المخرج الامريكى « سيدنى بولاك » تنازع اجهزة المخابرات وتورطها الذى راح ضحيته عدد من الابرياء ..

وهناك على سبيل المثال فيلم « مفقود » للمخرج الفرنسى « كوستا جافراس » والذى يدين فيه ايضا المخابرات الامريكية ودورها المشبوه فى انقلاب شيلى ..

وفيلم « نهاية العالم .. الآن » للمخرج الامريكى « فرانسيس كوبولا » والذى يقدم ادانة بالغة للجيش الامريكى والفلسفة الامريكية فى السيطرة الغاشمة اثناء حرب فيتنام .. حيث يسود منطق العنف والابادة الكاملة ، وعدم الاعتراف بحق الآخرين فى الحرية او الحياة .



لقطة من الفيلم الانجليزى « مستشفى بريطانيا » والسخرية اللاذعة من كل شيء في انجلترا

أفلام .. أمام المحاكم

وما اكثر الافلام الامريكية التى تعرضت للفساد فى اجهزة البوليس الامريكية .. ومنها على سبيل المثال فيلم « سيد المدينة » الذى اخرجه « سيدنى لوميت » من خلال وقائع حقيقية تعرض لها ضابط بوليس عمل لفترة فى قسم مكافحة المخدرات ثم خرج ليكتب مذكراته عن مدى الفساد المنتشر بين رجال البوليس فى هــــذا الجهاز ..

وفى احد مشاهد ذلك الفيلم ، نرى مواجهة بين احد الذين القي عليهم الاتهام وبين القاضى الذى يحقق معه .. وتتردد هذه العبارات فى قاعة المحاكمة : « نحن نعرف كيف تصبحون قضاة .. لقد دفعت لك رشوة خمسة الاف دولار .. والآن ترتدى روب القاضى .. تريدون القاء الجميع فى السجن ، لتبقوا انتم تحت الاضواء .. تريدون حماية النظام باخفاء عيوبه .. عليكم اللعنة جميعا » !

ولم يحتج احد فى امريكا ضد هذا الفيلم .. لا رجال البوليس ولا رجال القضاة .. بل المثير تماما ان المدعى العام الامريكى صرح بعد عرض هذا الفيلم « ان كمية الفساد الذى انتشر وسط فرقة الضباط فى قسم مكافحة المخدرات ، لا يمكن تصور مداها فى الحقيقة .. بينما الفيلم تساهل معهم كثيرا .. وقدمهم على انهم مجرد حفنة من الرجال الظرفاء .. ولكن الواقع ان هؤلاء هم المسئولون عن توزيع المخدرات وانتشارها فى مدينة نيويورك » ..

اى ان المدعى العام الامريكى اعترض على هذا الفيلم لانه لم يقل كل الحقيقة !

قمة الضحك على القوة

وفى مجال السخرية والخيـــــال الكاريكاتيرى .. لا يمكن ان ننسى الفيلم الامريكى « ماش » الذى اخرجه « روبرت التمان » ليضحكنا من الجيش الامريكى ، وهذه المؤسسة العسكرية التى تحاول تخويف الشعوب بالقوة والحروب وسفك الدماء ..

ومن داخل مستشفى ميدانى يسمى « ماش » نلتقى بمجموعة من الشباب الامريكى وجنرالات الحرب .. فى مجموعة طبية تقوم بالعمليات الجراحية والاسعافات لجرحى الحرب .. وفى نفس الوقت تتشابك العلاقات والاحداث لتشكل فى النهاية « قمة روح العبث والاستهتار والفاشية والصلف .. كل هذا فى مزيج شديد السخرية حتى ينتهى الفيلم بلقطة لجندى يقود سيارته عائدا الى وطنه وهو يصيح حانقا « ياله من جيش ملعون » !

وقد فاز هذا الفيلم عام ٧٠ بالجائـــزة الكبرى لمهرجان كان .. واصبح هذا الفيلم من اهم ملامح السينما الامريكية المعاصرة .. ولم يحتج احد على مدى سخرية الفيلم من الجيش الامريكى !

نقد الصحافة والتليفزيون

وبنفس منطق حرية فنان السينما فى التعبير عن رأيه ، وبالشكل الفنى الذى يراه مناسبا .. شاهدنا فى الســـــينما الامريكية العديد من الافلام التى تنقد الصحافة .. نذكر منها الفيلم الكوميدى اللاذع « الصفحة الاولى » للمخرج « بيلى وايلدر » والذى لعب بطولته « جاك ليمون » و « والتر ماتيو » الذى يفضح فيه لا انسانية بعض الصحفيين فى سباقهم المجنون من اجل الانفراد بخبر .. وعلاقة حاكم المدينة بالصحيفة .

ومن ذروة الضحك ، والخيال الساحر فى فيلم « الصفحة الاولى » .. الى قمة المأساة التى قـد تتسبب فيها احدى الصحفيات ، فى فيلم « غياب مالبس » الذى اخرجه الامريكى سيدنى بولاك .. ولعبت بطولته « سالى فيلد » مع « بول نيومان » ..

وفى نفس الاتجـــاه .. لم ينـــج التليفزيون من قبضة السينما ومحاولات كشف الفساد داخل شبكات التليفزيون الامريكية .. وابرز مثال على هذه النوعية من الافلام .. الفيلم الذى اخرجه « سيدنى لوميت » بعنوان « شبكة التليفزيون » ، واستحق عليه ممثله « بيتر فينش » جائزة اوسكار احسن ممثل .. وقد مات قبل ان يتسلم جائزته .

ونقد الأطباء ورجال القضاء

وتعرضت السينما الامريكية .. لكل مهن المجتمع بدون حساسية او خوف .. فادانت رجال القضاء فى فيلم « العدالة للجميع » .. وادانت جشع الاطباء وفساد الضمير فى فيلم « غيبوبة » .. ومزج فيلم « الحكم » بطولة نيومان ، بين اهمال الاطباء والتدخل فى القضاء !

الممثل الامريكى « روبرت ريدفورد » بطل فيلم « كل رجال البوليس » عن فضيحة ووترجيت



الممثل الفرنسى « جان لوى ترايتتان » يلعب دور احد رؤساء الجمهورية الفرنسية

عادل إمام يحاول اثبات اصابته عندما نقل الى مستشفى السجن .. لقطة من فيلم « الافوكاتو »

وربما لا ننسى فيلم « المستشفى » للمخرج « ارثر هيلر » والذى لعب بطولته جورج سكوت .. والفيلم عن ســـيناريو « بادى تشايفسكى » من اشهر كتاب السيناريو فى السينما الامريكية .. حيث قدم فى هذا الفيلم نموذجا من الكوميديا السوداء لمستشفى امريكى تقوم فيه الممرضات باعطاء الحبوب المنومة للمرضى لكى تتفرغ الممرضات لعلاقاتهن العاطفية بالاطباء .. بينما يتوالى الضحايا من المرضى الذين يسقطون صرعى الاهمال والقتل ..

من انجلترا وفرنسا وايطاليا

وفى السينما الانجليزية .. قدمت اخيرا فيلم « مستشفى بريطانيا » للمخـــرج « ليندساى اندرسون » الذى يتفجر بالسخرية من نظام العلاج فى بريطانيا .. (راجع دراسة كاملة عن الفيلم فى مقال الدوحة لشهر اكتوبر ٨٢) .. حيث لا ينجو احد من سخرية هذا الفيلم .. ابتداء من الممرضات الى عمال المطبخ فى المستشفى الى الاطباء وحتى الى ملكة انجلترا .. وفى الطريق يتعرض المخرج الى الاضرابات الانجليزية .. والى الحكام العسكريين الهاربين من بلادهم فيلجاون الى انجلترا بحجة العلاج .. الى التليفزيون الانجليزى !!

وفى فرنسا الآن .. يعرض الفيلم الفرنسى « المتعة » والذى يتعرض لدهاليز قصر الاليزيه .. ورواية تحكى عن علاقة عاطفية كان قد تورط فيها رئيس الجمهورية الفرنسية ، قبل أن يتقلد منصبه .. وكيف تحاول مخابرات رئاسة الجمهورية ان تخفى هذه العلاقة حتى لا تستغلها صحف المعارضة .

وفيلم « المتعة » كتبت قصته « فرانسواز جيرود » والتى كانت تشغل منصب الوزيرة فى وزارتين اثناء حكم الرئيس الفرنسى السابق « جيسكار ديستان » .. وقد حققت هذه القصة عندما طبعت فى كتاب أعلى أرقام فى التوزيع .

ولعبت بطولة الفيلم « كاترين دينيف » مع « جان لوى ترايتتان » .

وفى السينما الايطالية .. تبلغ السخرية مداها ، وبخفة الدم الايطالية المعروفة .. حيث تتفجر المواقف بالجراة والنقد والتهكم الواضح فى كل المســـائل والموضوعات .. بلا حرج او خوف .

وربما يذكر المتتبع للسينما الايطالية .. كيف قدم المخرج الراحل «بازوليني» وجهة نظره الساخرة فى رجال الكنيسة بايطاليا .. وكيف قدم المخرج « فلليني » سخريته اللاذعة من كل ما يحدث فى ايطاليا .. من خلال افلامه ـ ٨ ـ الحياة اللذيذة ـ روما فلليني ـ انى اتذكر ـ مدينة النساء .. حتى انه فى فيلم « روما فلليني » قدم مشهدا عجيبا لعرض ازياء يقوم به رجال الكنيسة الايطالية !

وفى السينما الايطالية ايضا .. نجد المخرج « فرانشيسكو روزى » وافلامه السياسية الجريئة والتى تعرض من خلالها للفساد فى البوليس ، وللرشوة فى القضاء .. وللصراع بين الاحزاب السياسية .. فى افلام « الأيدى فوق المدينة » ـ « التحدى » ـ « قضية ماتيه » ـ « جثث لذيذة » .

● ●

ما معنى كل هذه الأمثلة والنماذج من السينما العالمية ؟ .

معناها .. ان الفن الذى بلا خـــوف ولا حساسية .. هو الفن الذى يزدهر .. وينتشر فى ارجاء العالم .. ويبقى دائما فى الأذهان علامة على انتصار حرية التعبير .. وايضا شهادة على قدرة الفنان فى الخلق والابتكار ..

واذا احتج كل صاحب مهنة ضد فيلم .. ولو تدخل الرقباء وكبار الموظفين بدافع الحرص وعدم المساس بالآخرين .. لما استطاع الفن ان يتنفس .. ولا استمرت عجلة السينما فى الدوران والابداع كل يوم .

رءوف توفيق



دوحة القراء

إشـــراف
سـنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

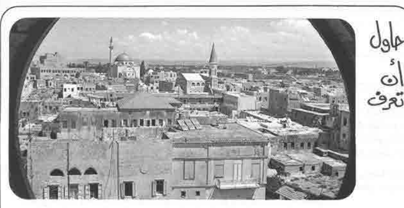
(٢) المسابقة العامــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الاولى : مدينة عربيــة تاريخية بشمال فلسطين المحتلة ، تقع على خليج باسمها فى مواجهة مدينة حيفا ، احتلتها بريطانيا من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٨ ، ونص مشروع تقسيم فلسطين (١٩٤٧) على ان تؤول للعرب ولكن اغتصبها اليهود .. ما اسم المدينة ؟ .



الصورة الثانية : شاعر عربى ، يعتبر من اواخر الرعيل الشعرى الكبير الذى تفتخر العربية بانه احـد اعمدة الشعر الكبار .. ما اسم هذا الشاعر .. وما اهم دواوينه الشعرية ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين العدد ٩٩





الصورة الأولى : تايلاند
● الفائز : سعيد محمد سعيد ـ الامارات
الفائز : سليم سخى محمود ـ سلطنة عمان

الصورة الثانية : عباس بن فرناس
● الفائز : نجيب ابراهيم ـ عدن
● الفائز : مرسي حسين ـ مصر

طرائف بليغة



● سئل الكاتب الفرنسي أندريه موروا « لماذا يتم الطلاق لأتفه الأسباب ؟ » فأجاب : لأن الزواج الآن يتم لأتفه الأسباب !!

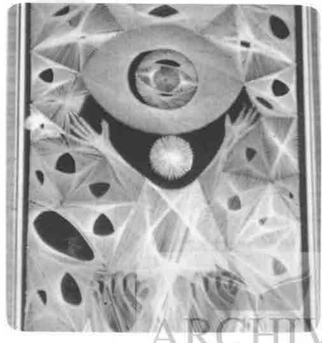
● قال المنصور لأحد الخوارج ، وقد اتي به إليه أسيرا : اخبرني أى أصحابي كان أشد فى مبارزتكم ؟

فأجاب الخارجي : ما أعرف وجههم مقبلين وانما أعرف اقفاءهم مدبرين ، فمرهم يديروا ظهورهم لأعرفك أشدهم ادبارا !

● التقى صديقان عند مدخل عيادة أحد الأطباء النفسانيين فقال الأول : هل انت قادم ام منصرف ؟ وأجاب الثاني لو كنت أعرف .. لما جئت الى هنا .

محمود آدم بشير
السودان – حلفا الجديدة

لقطة الشهر



تكوين

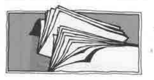
لوحة للقارىء محمد شاكر الشيباني – الدوحة .. وقد فاز بالجائزة مائة ريال قطرى .

الشاعر القتيل

كتب الخليفة المنصور الى احد الولاة ليقسم مالا بين المقعدين والعميان والأيتام ، فدخل على الوالي اعرابي وقال : اكتبني في القواعد ! قال الوالي عافاك الله ! القواعد هن النساء اللاتي انقطعن عن الأزواج والأولاد ومن يعولهن . قال الأعرابي : فاكتبني في العميان ! قال الوالي : اكتبوه في العميان ! قال تعالى : إنها لاتعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » قال الاعرابي : واكتب ابني في الأيتام ! قال الوالي : نعم ، من كنت انت أباه فهو يتيم !

عبد القادر عزت الخضري – مصر

لحظة من فضلك



من فضلك تريث قليلا عندما تتكلم او تكتب هذه العبارة ، لتتبين الخطا من الصواب :

الخطا	الصواب
اصلاح الفروض	تصليح الفروض
تحوك البنت ملابسها	تحيك البنت ملابسها
إن ذلك لا يحسم الشقاق	إن ذلك لا ينهى الشقاق
من هذه البئر العميقة	من هذا البئر العميق
الكشافون يجولون فى الجبال	الكشافون يتجولون فى الجبال
لا أقبل المسيء قدوة	لا اقبل بالمسيء قدوة

ميهربى سعدى – الجزائر







مسابقة الدوحة

مَن ؟

شاعر عربى ولد فى عام ١٩٠٦ ، تخرج من مدرسة الحقوق ، وبدأ ينظم الشعر على الأسلوب القديم فى صباه المبكر ، وتأثر بما قرأه من المترجمات عن الأدب الغــــربى والاتجاهات التجديدية فى الشعر العربى المعاصر وخاصة اتجـــاه « جبران » الرومانسى ، وظهر أثر ذلك فى شعره الناضج الذى يمثل صراع الشباب والموت والفرح والحزن واليأس والأمل .. اسمه مكون من شقين و ١٥ حرفاً .

٦ ، ٥ ، ٩ شيء يكتب به .

١٢ ، ٢ ، ١١ صغير الأسد .



ولد هذا الشاعر فى قريـــة « الشابية » ، وهى فى دولة عربية احتلها الفرنسيون عام ١٨٨١ وحصلت على استقلالها الكامل فى مارس ١٩٥٦ ، ويتكون اسم هذه الدولة من مقطع واحد وأربعة حروف .

٣ ، ٤ ، ١ بمعنى تركت .

مـا ؟

تشتهر هذه الدولة بمحصول رئيسى ينتج انواعاً عديدة منه تصدر للخارج ، واسم هذا المحصول مكون من مقطع واحد وخمسة حروف .

٤ ، ٥ بمعنى سار .

٤ ، ١ ، ٣ بمعنى توفى .



الإجـــابـــة الصحيـــحـــة

١ – ولد الشاعر محمود بيرم التونسى فى : تونس ، الاسكندرية القاهرة .

٢ – هل هذه العبارة صحيحة علمياً :

تسمى نقطة نشوء الزلازل تحت السطح بالبؤرة .

٣ – من دواوين الكاتب والشاعر والباحث الأدبى زكى مبارك : الحان الخلود ، ....

٤ – نيروبى عاصمة لدولة افريقية هى : اوغنده – كينيا – تنزانيا .

٥ – اجر الجندى ، الصخب والعنف ، فى النزع الاخير .. كلها روايات لروائى امريكى عاش فى الفترة ما بين ١٨٩٧ و١٩٦٢ ونال جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٤٩ .. فمن هو ؟

٦ – عنصر فلزى ابيض كالفضة لامع ، قابل للطرق والسحب : النحاس – الحديد – الفضة .

٧ – معركة العلمين من اشـــهر معارك الحرب العالمية الثانية . ما تاريخ وقوعها : ١٩٤٠ – ١٩٤٢ – ١٩٤٣ .

٨ – الطربوش : هل هى كلمة فارسية الاصل ام تركية ؟

٩ – اكمل هذا البيت وانسبه لقائله : لمصر ام لربوع الشام تنتسب ..

١٠ – اعلان حقوق الانسان : وثيقة تاريخية هامة فى تاريخ الدساتير الفرنسية .. ما اسم واضعها ؟

حل مسابقة العدد ٩٩

من : سعد زغلول .

اين :جمهورية مصر العربية

مـــا : القطن .

الاجوبة الصحيحة

١ – عمرو بن العاص .

٢ – المريخ .

٣ – ايطـــالى وتعنى التفاحة الذهبية .

٤ – الجبال الجليدية .

٥ – ٦٣٧ .

٦ – نوع الغاز داخل انبوب المصباح .

٧ – السودان .

٨ – خطا .

٩ – بنسلفانيا الأمريكية

١٠ – نبئت ان رسول الله اوعدنى . والعفو عنـــد رسول الله مأمول (كعب بن زهير) .

أسماء الفائزين في مسابقة

● اصل وصورة : الشعر – خطوط الجبهة – الانف – الشارب – الفم – الذقن – الاذن .

الفائزون : (١) صفية حسن عبد العزيز – مصر (٢) فضل محمد محمد – جنيف .

● لوحة لم تتم : الفنان عبد الحليم حافظ

الفائزون : (١) رنا محمود الشاهد – قطر (٢) نوال محمد علي صالح – السودان .

● يخلق من الشبه اربعين : رقم (٥) .

الفائزون : (١) عمر احمد قطان – الكويت (٢) على صالح الصمادى – الأردن .

● المثل يقول : شر البلية ما يضحك – من حفر حفرة لاخيه وقع فيها .

الفائزون : (١) عبد المنعم محمد الشيخ –

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى :
القارئة امينة عبد الله ابراهيم ـ البحرين

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى :
القارىء على عثمان عبد الله ـ السودان .

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى :
القارئة بدرية جمعة السيد بلال ـ مصر .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ عمر ابراهيم محمد عطية	الاردن
٢ ـ عبد المجيد ازر على الامارات ـ الشارقة	
٣ ـ سميرة عبد الكريم العليوات	البحرين
٤ ـ محمد سعيد	الامارات ـ دبى
٥ ـ ابراهيم مراد	سوريا
٦ ـ علي احمد المصطفى سليمان	السودان
٧ ـ تسالى سلامه ادم	مصر
٨ ـ لمواوى محمد	المغرب
٩ ـ منى محمد عبد الله	عدن
١٠ ـ فاطمة عباس	تونس

استراحة الدوحة العدد ٩٩

السودان (٢) هويدا ابراهيم عمر ـ مصر

● لعبة الظلال : رقم (٢) .
الفائزون : (١) محمد فؤاد عبد القادر ـ السودان . (٢) نادية القريوسى ـ المغرب .

● دورى الكاريكاتيرى : اللاعب رقم (٨) .
الفائزون : (١) ناصر عبد الله عوض ـ عدن (٢) جعفر الجعافرة ـ قطر .

● هات اجمل تعليق : « ما تيجى نبقى مجانين زي اللى بره » ـ الفائز عثمان الحداد ـ السعودية .

● هوه الناس بيمشوا على رجليهم ليه .. هما مجانين ولا ايه ؟ » .
الفائز سيد محمود عبد الشافى ـ مصر .

أجمل الطيور

يتميز طائر الطاووس بالجمال والخيلاء ، وموطنه الأصلى الهند ، جاءت به سفن سليمان واخذ الى أوربا منذ القدم ، وكان القدماء المصريون يفاخرون به ويأكلونه لارتفاع ثمنه ، ومن الوان الطعام الضرورية فى ولائمهم العظيمة طبق كانوا يطبخونه على ادمغة الطاواويس والسنتها ، وارتبطت هذه العادة بالقرون الوسطى .

والطاووس مشهور بحسن قوامه وجمال الوان ريشه . والطاووس البرى يفوق الطاووس الداجن جمالا فى شكله والوانه ، وهو بحجم الأنثى من الديك الحبشى ، ويؤثر سكن الغابات والسهول المنخفضة ، كما يحتمل برد الجبال فى شمال الهند ، والذكر اجمل من الأنثى فى المنظر .

والطاووس انواع . منه العادى وهو ابدعها لطيف الحركة حسن القوام ، طوله من مقدمة المنقار الى اطراف الذنب ٤ أقدام ، ريشه ملون بالأخضر ، والذهبى ، والأصفر ، والأزرق وغير ذلك من الألوان الزاهية ، وذيله طويل ينشره كمروحة يفوق جمال منظرها وزهاء الوانها الوصف .. أما أنثاه فسمراء اللون ، وليس لها من الذيل مثل ما للذكر ، الذى هو معجب بنفسه لدرجة أنه يضرب به المثل ويقال : يختال كالطاووس

ثروت حافظ سعدان
اسيوط ـ ج . م . ع

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاســم : ____________________

العنــوان : ____________________

____

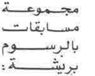
اسم المسابقة : ____________________

رقم العدد : ____________________





مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





الزعيم احمد عرابى الذى عين ناظرا للحربية فى وزارة اللواء محمود سامى البارودى ، **ووقف فى وجه المستعمر عام ١٨٨٢** ، وحكم عليه بالإعدام ، ثم ابدل الحكم بالنفى إلى سيلان - **ان بين اصل وصورة هذا الزعيم** سبع اختلافات بسيطة ، اذا عرفتها حصلت على الجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!

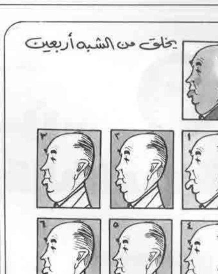
إذا كنت قوى الملاحظة فحاول التعرف على الرسوم التى امامك وهى لسبعة اشياء متداخلة ثم ارسل الحل إلينا لتفوز بجائزة .

لوحة لم تتم



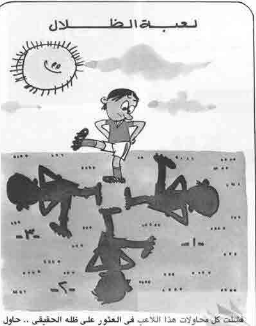
هذه اللوحة لفنان عربى كبير تغنى الناس بالحانه فى كل مكان .. حاول أن تكمل اللوحة لتتعرف على الفنان وتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصورة الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه باشهر مخرجى افلام الرعب : الفريد هتشكوك .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تمام الشبه .. إذا تعرفت عليها ارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



فشلت كل محاولات هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. حاول أن تساعده فى حل مشكلته لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير

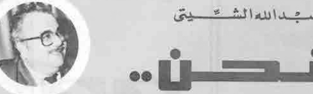
اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

هات أجمل تعليق :



حاول ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة



عبدالله الشيتي

نحن.. والقوة الخامسة!



الأمير نايف بن عبد العزيز

عصر القوة البدنية ولى مع استمرار بث حلقات برامج المصارعة « الحرة ! » من تليفزيونات العالم ـ والقوة اليوم ذات شقين مادى ومعنوى تتشكل منهما ارادة التحدى وفعل العطاء الواثق الموثوق .. وهو ما ندعو اليه ونتمناه !

هذا ما يمكن ان استخلصه من ندوة الحوار المفتوح التى عقدها مؤخرا فى (الرياض) سمو الامير نايف بن عبد العزيز وزير داخلية المملكة العربية السعودية ورئيس المجلس الاعلى للاعلام ، وقد التقى الامير المتحدث عن السياسة الاعلامية فى ابعادها المختلفة حديث العارف البصير امام المئات من اساتذة وطلبة ورجال الاعلام والثقافة والادباء فى المملكة الشقيقة .

وقرر سمو الامير نايف ان الاعلام فى يومنا ، اصبح « القوة الخامسة فى العالم » مؤكدا ان الاعلام بشموليته ـ وفى عصرنا الراهن ـ قوة توازى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة السياسية والقوة العلمية .

انها اذن القوة الكبرى المؤثرة فى حياة الناس والموجهة لمصائرهم ، ناهيك بان القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية ـ كما اكد المتحدث للحاضرين ـ لا تستغنى عن الاعلام اذ يقوم بمهمة التعبئة المعنوية ، وبمهة التخذيل النفسي (للعدو) فى المجال العسكرى ، ويسهم اسهاما كبيرا فى تنمية القوة الاقتصادية فى الحفز على العمل ، وبالارشاد الزراعى والصناعى والتجارى ، واهم من ذلك جميعا ، انه يخدم القرار السياسى ، ويسهل تدفق المعلومات العلمية على اوسع مدى ..

والنقطة الثانية التى استلفتتني فى تلك الندوة الحاشدة الحافلة (بالحوار المفتوح) والعقل المفتوح امام حقائق الحياة وحقائق الأشياء ، فلسفة الامير نايف للحرية من وجهة نظره وفهمه لها على انها حرية البناء ـ مهما كان التعبير او التاثير بالغ القوة اذا كان موضوعيا وهادفا ، وليس من الحكمـــة لا المنطق بالطبع ان يتقبل المجتمع او يشجع حرية الهدم .

انها اذن حرية الفعل الجميل ـ ان جاز التعبير ـ لا حرية الانفعال والارتجال ..

فالحرية ـ تعقيبا على شرح وايضاح رئيس المجلس الاعلى للاعلام السعودى ـ لا يمكن ان تكون افلاتا من القفص فى رايي ـ كما يتوهم ذلك الشعراء واصحاب الخيال ـ انها فى القفص ذاته قفص الضمير !

وما اصعب واشق ، ان يكون هذا الضمير (مستترا) او حتى نائما عند بعض حملة القلم ممن تتحول اقلامهم فى ايديهم الى معاول .. وحتى ولو اضحت كذلك ، فلابد من ممارسة الفعل الايجابي : اقامة بناء جديد فوق ماتهدم ، لأن اشاعة « الخراب » سهل ، ولكن عملية البناء متواصلة . وذات معاناة وتفاعل حضاري لا يمكن فصله عن الماضي والتراث والتاريخ .

واعلامنا العربي الاسلامي ـ فى تصور سمو الامير نايف عبر ندوته تلك ـ لابد ان ينبع ـ فى الدرجة الأولى ـ من وحي عقيدة التوحيد ومبادىء الاسلام والالتزام بها والاغتراف من ينابيع التراث ، لا التنكر لها تحت اسم « التحديث »والتجديد ، غير السليم وغير المتماسك ..

بلى ، ان الاعلام فى هذه الصورة ، وهو الاطار ، هو القوة الخامسة ـ بين القوى الراسخة بين جبهتى العالم ـ ولابد لنا من ان نواكب روح العصر بجذور الماضي وروح التراث ، لئلا ننقطع ـ ولا قيد انمله ـ عن ماض تولى ..

« انما الحاضر احلى » ، اذا عرف واحدنا ـ فى يقيني ـ اعلاميا كان او اديبا او كاتبا او فنانا ، كيف يقيم جسور التواصل والترابط بين الماضي والحاضر ، فى تطلع واثق مقتدر لمستقبل افضل وغد اجمل ..

لقد كانت فكرة (الحوار المفتوح) ، صراحة وطرحا للهموم والتساؤلات ، وتداولا للمشكلات المحلية والعربية والدولية .. كانت فكرة ناضجة وضرورية ومؤكدة ، على ان امتنا من محيطها الى خليجها ، لا تستطيع ان تحيا او حتى تنمو بمعزل عن هذا العالم ..

« انما الحاضر احلى » ،مرة اخرى ، حين يعرف واحدنا ـ دولا وافرادا ـ كيف يستطيع ان يكون فعل العطاء عنده ، اقوى من « رغبة » الاخذ ..

وان للاعلام دورا اى دور ، فى هذا السبيل اذا ما انطلق من موقع المعايشة الصادقة ، من غير ما تضليل ولا تشويش ولا مبالغات ..